

الإمام المجتبي'
أبو محمد الحسن بن عليّ عليه السلام

حياته، مقامه، خلافته، حلمه
جريان صلحه، كلماته، خطبه، ردّ الاعتراضات
عن كتب أهل السنّة وصاححهم وتوار يخهم

الحقّ المفسّر
العلامة المصطفوي

إن لم أمت أسفاً عليك فقد
أصبحتُ مشتاقاً إلى الموت

الإمام الحسين (ع)

وكيف أطيق أن أُحْيِي مزيّاً
خُصِّصَتْ بِهِنَّ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ
لَكَ الشَّرْفَ الَّذِي فَاقَ الْبِرَايَا
وَجَلَّ عَلَاً عَلَى السَّبْعِ الشُّدَادِ
وَمَنْ يَكُ ذَا مِرَادٍ فِي أُمُورٍ
فَإِنَّ وِلَاءَكُمْ أَقْصَى مِرَادِي
الإربلي

الحمد لله الذي هدانا ووقفنا لسلوك صراطه المستقيم، صراط المنعمين عليهم من عباده المخلصين، والصلاة والسلام على عبده خاتم النبيين وسيّد المرسلين أبي القاسم محمّد وأهل بيته المعصومين المنتخبين. وبعد:

فهذا ممّا وفقني الله عزّ وجلّ لجمعه وكتابه وترتيبه وتحقيقه، فيما يرجع إلى الإمام المجتبي ربحانة الرسول سيّد شباب أهل الجنّة ابن بنت المصطفى الحسن بن عليّ بن أبي طالب، صلوات الله وتحيّاته عليه، وعلى جدّه وأبيه وأمه وأخيه، صلوات كثيرة متواترة متوافرة، مادامت الأيام والليالي متعاقبة.

وقد جمعت في هذا الكتاب ما روي في كتب أهل السنّة والجماعة، ممّا يتعلّق بحياته ومقامه وخلافته وفضله وكلماته وخطبه وصلحه ومكارم أخلاقه واعتراض المعترضين عليه ومظلوميّته ومسموميّته وشهادته وأزواجه وبنيه، صلوات الله وتحيّاته الوافرة عليه، ولعنة الله على ظالميه ومبغضيه.

قال رسول الله (ص): مَنْ أَحَبَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي.

وقال (ص): اللَّهُمَّ إِنِّي أَحَبُّهُمَا فَأَحَبُّهُمَا وَأَحَبُّ مَنْ يَحِبُّهُمَا.

وقد جمعت أصول الأحاديث الواردة في أبواب هذا الكتاب من صحاح كتب الحديث وأصولها المؤلّفة إلى خامس القرون، من كتب إخواننا أهل السنّة.

ثم نقلت بعض الروايات والأحاديث المربوطة من كتب أُخرى متأخرة، أو من كتب الحديث المعتمدة للطائفة الإمامية، المروية عن طرق أهل بيت العصمة والطهارة سلام الله عليهم أجمعين، تأييداً للمرام وتوضيحاً للحق والخطاب، وما توفيقى إلا بالله العزيز المستعان.

وقد احترزت عن التعصّب في المقال، وعن القول بما لا شاهد له، وعمّا لا يطمأنّ عليه، أو ما لا يقبله الفهم السليم.

ولم يكن مطلوبى إلبان الحقيقة وإظهار الصواب وكشف فصل الخطاب، وتوزّعت في النقل وما عدلت عن الحق والمنطق الصحيح والبرهان القويم.

وجعلتها هدية لسماحة حضرته العلياً صلوات الله وسلامه عليه وعلى جدّه وأبيه وأُمّه وأخيه أهل الكساء، وعسى أن يجوز قبولاً لدى محضره الأعلى، فإنّ الهدايا على مقدار مهديها.

حسن المصطفوي

١ - كلماتهم فيه عليه السلام

١- ذكُرَ سيّد الشباب والمصلح بين الأقارب والأحباب شبه رسول الله (ص) وحبّيه سليل الهدى وحليف أهل الثّق' خامس أهل الكساء وابن سيّدة النساء الحسن ابن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما^(١).

٢- الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أبو محمّد سبط رسول الله (ص) وريحانته، وآخر الخلفاء بنصّه. أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان، قال: الحسن والحسين إسمان من أسماء الجتّة ما سمّيت العرب بهما في الجاهليّة. وُلد الحسن رضي الله عنه في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وروي له عن النبيّ (ص) أحاديث، ورويت عنه عايشة وخلائق من التابعين، منهم ابنه الحسن وأبو الحوراء ربيعة بن سنان والشعبيّ وأبو وائل... وهو خامس أهل الكساء. قال العسكري: لم يكن هذا الإسم يعرف في الجاهليّة. وقال المفضّل: إنّ الله حجب اسم الحسن والحسين حتّى سمّي بهما النبيّ (ص) إبنيه^(٢).

٣- لا أسود ممّن سمّاه رسول الله (ص) سيّداً، وكان رحمة الله عليه حليماً ورعاً فاضلاً، دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله، وقال: والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني وما يضرّني، أن إليّ أمر أمة محمّد (ص) على أن يهراق في ذلك محجمة دم، وكان من المبادرين إلى نصر عثمان والذّابّين عنه^(٣).

(١) أخبار اصهبان، ج ١، ص ٤٤.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ٧٢.

(٣) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٥.

٤- وكان حليماً كريماً ورعاً، دعاه ورعه وحلمه إلى أن ترك الدنيا والخلافة لله عز وجل وكان أشبه الناس برسول الله (ص) (١).

٥- وقد كان الحسن بن عليّ يوم الدار - وعثمان بن عفان محصور - عنده ومعه السيف متقلداً به يحاجف عن عثمان، فخشى عثمان عليه فأقسم عليه ليرجعنّ إلى منزلهم تطيباً لقلب عليّ وخوفاً عليه رضي الله عنهم. وقد كان الصّدّيق يجمله ويعظمه ويكرمه ويحبّه ويتفداه، وكذلك ابن الخطّاب. وكان ابن عبّاس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ويرى هذا من النعم عليه. وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما ممّا يزدحمون عليهما، السلام عليهما (٢).

أقول: وما يقال في شأنه فهو دون مقامه، كيف وهو من قريش، ومن بني هاشم، ومن أهل بيت رسول الله (ص)، وهو ابن فاطمة الزهراء، بنت خاتم النبيّين، وابن عليّ بن أبي طالب أخي رسول الله، وهو سيّد شباب أهل الجنّة، ومن يحبّه الله ورسوله، وريحانة الرسول، وأفضل الناس علماً وورعاً، فلا يقاس به من الناس أحد.

٦- هو سبط رسول الله وريحانته وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة، وُلد للنصف من شعبان سنة ثلاث من الهجرة، وروى عن النبيّ (ص) أحاديث وعن أبيه، وروى عنه ابنه الحسن والشعبي وأبو الجوزاء وعبدالرحمن بن عوف وجماعة غيرهم (٣).

أقول: أبو الحوراء بالمهملة كما في (٢) وهو ربيعة بن شيبان. وأبو الجوزاء بالمعجمة هو أوس بن عبدالله، وكلاهما بصريّان، والظاهر أنّ المراد والصحيح هو الأوّل - كما في خلاصة التّذهيب - .

(١) طبقات الشعرا في الإمام.

(٢) البداية، ج ٨، ص ٣٧.

(٣) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ١٩٩.

٢ - علو مقامه وفضله

١- عن حذيفة، إن النبي (ص) قال: ألا إن الحسن بن عليّ قد أُعطي من الفضل ما لم يُعط أحد من ولد آدم ما خلا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله عز وجل^(١).

تهذيب ابن عساكر (ج ٤، ص ٢١١) نظيره.

٢- إن مروان بن الحكم قال يوماً: إني لمشعوف ببغلة الحسن بن عليّ، فقال له ابن أبي عتيق: إن دفعتها إليك أتقضي لي ثلاثين حاجة؟ قال: نعم، قال: إذا اجتمع الناس عندك العشيّة، فإني آخذ في مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن، فلمني على ذلك، فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ في مآثر قريش، فقال له مروان: ألا تذكر أوليّة أبي محمّد وله في هذا ما ليس لأحد، فقال: إنما كنّا في ذكر الأشراف، ولو كنّا في ذكر الأنبياء لقدّمنا ما لأبي محمّد، فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابن أبي عتيق، فقال الحسن وتبسّم: ألك حاجة؟ فقال: ذكرت البغلة! فنزل الحسن ودفعها إليه^(٢).

أقول: المشعوف أي العاشق. المآثر جمع المأثرة أي المكرمة. وفي الكامل: نعم ركوب البغلة. وفي البحار يقول: إن الكريم إذا خادعته انخدع.

٣- إن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني عليّ بن أبي طالب وعبدالله ابن جعفر وجماعة من قريش، فقال لهم: إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني فيها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه، قالوا: ذلك لك مبتذل منا، فاجتمعوا

(١) أخبار اصبهان، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٢) كامل المبرّد، ج ٢، ص ١٧٢.

ليوم وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لُبني، فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره، فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق! قال: هي مقضية كائنة ما كانت، قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال: نعم. قال: تهب لهم ولي لُبني زوجتك وتطلّقيها! قال: فإني أشهدكم أنّها طالق ثلاثاً، فاستحى القوم واعتذروا، فقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنّها هذه ما سألتناك إيّاها، فعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم فأعطاه وحملها ابن أبي عتيق إليه، فلم تزل عنده حتى انقضت عدتها، فسأل القوم أباهما فزوجها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا^(١).

أقول: قيس هذا هو قيس بن ذريح من رفقاء ابن أبي عتيق وكان عاشقاً للُبني، وله أشعار جيّدة في فراقها وحبّها. قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ١٤٧) هو من كنانة من بني ليث وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته لُبني وكانت تحته فطلّقتها وتتبعها نفسه واشتدّ وجده.

وأما لُبني بالضمّ: فهي بنت حباب الكعبي.

وأما ابن أبي عتيق: فهو عبدالله بن محمد أبي عتيق بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة. وفي الإستيعاب (ج ٤، ص ١٧١٢): رأى النبي (ص) هو وأبوه عبدالرحمن وجده أبو بكر وجدّ أبيه أبو قحافة، ولا يعلم أربعة رأوا النبي (ص) على هذه الصفة غيرهم. وعبدالله هذا هو الذي غلبت عليه الدعاية.

٤- عن ابن عباس، قال: بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ أقبلت فاطمة عليها السلام تبكي، فقال لها النبي (ص): ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله! إنّ الحسن والحسين خرجا فوالله ما أدري أين سلكا! فقال النبي (ص): لا تبكين فذاك أبوك، فإنّ الله عزّ وجلّ خلقهما وهو أرحم بهما، أللهمّ إن كانا أخذا في برّ فاحفظهما وإن كانا أخذا في بحر فسلمهما. فهبط جبرئيل عليه السلام، فقال: يا أحمد! لا تغتمّ ولا تحزن

(١) الأغانى، ج ٢، ص ١٢٨.

هما فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة وأبوهما خير منهما، وهما في حظيرة بني النجار نائمان وقد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما. قال ابن عباس: فقام رسول الله (ص) وقنا معه حتى أتينا حظيرة بني النجار فإذا الحسن معانق الحسين... ثم قال: والله لأشرفنهما اليوم بما شرفهما الله، فخطب، فقال:

أيها الناس! ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، جدّهما رسول الله (ص) وجدّتهما خديجة بنت خويلد. ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس أباً وأماً! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، أبوهما علي بن أبي طالب وأمهما فاطمة بنت محمد (ص). ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس عمّاً وعمّة! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، عمّهما جعفر ابن أبي طالب وعمّتها أم هاني بنت أبي طالب. ألا أيها الناس أخبركم بخير الناس خالاً وخالة! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، خالهما القاسم ابن رسول الله (ص) وخالتها زينب بنت رسول الله (ص). ألا إن أباهما في الجنة وأمهما في الجنة وجدّهما في الجنة وجدّتهما في الجنة وخالتهما في الجنة وعمّهما وعمّتهما في الجنة وهما في الجنة ومن أحبهما في الجنة، ومن أحب من أحبهما في الجنة^(١).
أقول: ويأتي في الباب الآتي ما يقرب منها من كتب أهل السنة. والحظيرة: الموضع المحدود المحاط.

٥- دخل الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) على معاوية وعنده شباب من قريش يتفاخرون والحسن ساكت، فقال له: يا حسن! والله ما أنت بكليل اللسان ولا بمأشوب الحسب، فلم لا تذكر فخركم وقديمكم! فأنشأ:

فِيمَ الْكَلَامِ وَقَدْ سَبَقْتُ مُبْرَزاً سَبَقَ الْجَوَادِ مِنَ الْمَدَى الْمُتْبَاعِدِ
نَحْنُ الَّذِينَ إِذِ الْقُرُومُ تَخَاطَرُوا طَبْنَا عَلَى رَعْمِ الْعَدُوِّ الْحَاسِدِ^(٢)

(١) كشف الغمّة، ص ١٥٦.

(٢) كشف الغمّة، ص ١٦٥.

أقول: الشباب بالفتح جمع الشاب والشبّ. المأشوب: المختلط. برّز الرجل: فاق أصحابه في الفضل. القروم جمع قرم: الفحل والسيد. التخاطر: التسابق.

٦- محمد بن إسحاق في كتابه قال: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله (ص) ما بلغ الحسن، كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما مرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته، فمرّ الناس.

ولقد رأيت في طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشي، حتى رأيت سعد بن أبي وقاص.

وأنشد:

إليكم كلّ مكرمة تؤول إذا ما قيل جدّكم الرسول
كفاكم من مديح الناس طراً إذا ما قيل أمكم البتول
فلا يبقى لمادحكم كلام إذا تمّ الكلام فما يقول^(١)

٧- أبو السعادات في الفضائل، إنه أملى الشيخ أبو الفتوح في مدرسة الناجية: إنّ الحسن بن عليّ (ع) كان يحضر مجلس رسول الله (ص) وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمّه فيلقي إليها ما حفظه، وكلّمها دخل عليّ (ع) وجد عندها علماً بالتنزيل، فيسألها عن ذلك، فقالت: من ولدك الحسن. فتخقّ يوماً في الدار، وقد دخل الحسن وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيها إليها فارتجّ، فعجبت أمّه من ذلك، فقال: لا تعجبي يا أمّاه فإنّ كبيراً يسمعي واستماعه فقد أوقفني، فخرج عليّ (ع) فقّبله^(٢).

وفي رواية: فلّ بياني وكلّ لساني لعلّ سيّداً يرعاني.

(١) المناقب، ج ٢، ص ١٤٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٩٣.

٣ - حسبه ونسبه (ع)

١- عن حبيب بن أبي ثابت: لما بويح معاوية خطب فذكر علياً فقال منه ونال من الحسن، فقام الحسين ليردّ عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام، فقال: أيها الذاكر علياً! أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة، وأمك هند، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدّك حرب، وجدّتي خديجة، وجدّتك قُتَيْبَة (*). فلعن الله أحمّلنا ذكراً والأمنّا حسباً وشرّنا قدماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقال طوائف من المسجد: آمين. قال فضل أحد الرواة: فقال يحيى بن معين شيخه: ونحن نقول: آمين. قال أبو عبيد: ونحن أيضاً نقول: آمين. قال أبو الفرج المؤلّف: وأنا أقول: آمين^(١).

إرشاد المفيد (ص ١٩٦) يروي مثلها.

٢- عن جابر، عن النبيّ (ص): إنّ الله خلقني وخلق عليّاً نورين بين يدي العرش، نسّح الله ونقدّسه قبل أن يخلق آدم بالفي عام، فلما خلق الله آدم أسكّنّا في صلبه ثم نقلنا من صلب طيّب وبطن طاهر حتّى أسكّنّا في صلب إبراهيم، ثم نقلنا من صلب إبراهيم إلى صلب طيّب وبطن طاهر حتّى أسكّنّا في صلب عبدالمطلب، ثم افترق النور في عبدالمطلب، فصار ثلاثاه في عبدالله وثلثه في أبي طالب، ثم اجتمع النور منّي ومن عليّ في فاطمة، فالحسن والحسين نوران من نور ربّ العالمين^(٢).

(*): لم أجد ذكراً لها بهذا الإسم، ولا باسم فتيلة أو نتيبة في كتب التاريخ.

(١) المقاتل، ص ٧٠.

(٢) نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٦.

٣- الأصمعيّ قال: بعث الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال له: أنت الذي تقول إنّ الحسن بن عليّ ابن رسول الله (ص) والله لتأتيني بالخرج أو لأضربنك عنقك، فقال له: فإن أتيتك بالخرج فأنا آمن؟ قال: نعم، قال له إقرأ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ - إلى قوله - وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ فمن أقرب: عيسى إلى إبراهيم وإمّا هو ابن ابنته أو الحسن إلى محمّد (ص)؟ قال الحجاج: فوالله لكأنّي ما قرأت هذه الآية قطّ^(١).

٤- قال الحجاج ليحيى: أنت تزعم أنّ الحسن والحسين إنا رسول الله (ص)؟ قال: نعم، قال: والله لأقتلنك إن لم تأت بآية تدلّ على ذلك! فقال: نعم، إنّ الله يقول: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ - إلى قوله - وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى﴾، وهو ابن مريم وقد نسبه إليه. قال الحجاج: أولى لك قد نجوت.

ولمّا أنزل الله تعالى آية المباهلة، دعا النبيّ (ص) الحسن والحسين فدعا بهما إلى المباهلة، ولمّا قدم عليّ البصرة اتخذ الأحنف طعاماً فحضره فقعد على سرير الحسن عن يمينه والحسين عن يساره وجاء محمّد بن الحنفية فلم يكن له على السرير موضع، فقعد ناحية، فتغيّر لذلك، فقال أمير المؤمنين له: إنّهما إنا رسول الله وأنت ابني^(٢).

٥- الحسن بن عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب (شبيبة) بن هاشم (عمرو) بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، واسم أبي طالب عبد مناف، وأمّ عليّ هي فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أول هاشمية تزوجها هاشمي، وأمّ فاطمة بنت رسول الله (ص) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي^(٣).

(١) عقد الفريد، ج ٣، ص ٢٤٢.

(٢) المحاضرات، ج ١، ص ٢١٦.

(٣) الأغاني، ج ١٤، ص ١٥٦.

٦- وقال معاوية يوماً لجلسائه: مَنْ أكرم الناس أباً وأماً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم، فأخذ بيد الحسن بن عليّ وقال: هذا أبوه عليّ بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت محمّد وجدّه رسول الله (ص) وجدّته خديجة وعمّه جعفر وعمّته هالة بنت أبي طالب وخاله القاسم بن محمّد وخالته زينب بنت محمّد (ص) (١).

٧- وقال معاوية يوماً وعنده أشرف الناس من قريش وغيرهم: أخبروني بأكرم الناس أباً وأماً وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة وجدّاً وجدّة؟ فقال مالك بن عجلان وأوماً إلى الحسن بن عليّ (ع) - هو ذا أبوه... (*) ونهض الحسن، فقام رجل من بني سهم وقال: أنت أمرت ابن عجلان على مقالته؟ فقال ابن عجلان: ما قلت إلاّ حقّاً وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلاّ لم يعط أمنيته في دنياه وختم له بالشقاء في آخرته، بنو هاشم أنضركم عوداً وأوراكم زنداً، كذلك يا معاوية؟ قال: اللَّهُمَّ نعم (٢).

٨ - وأتى الحسن بن عليّ رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عبّاس رحمه الله، فأمر معاوية بإنزاله، فبينما معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزباد المدعى إلى أبي سفيان يتحاوون في قديمهم ومجدهم، إذ قال معاوية: قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن عليّ وعبدالله بن العبّاس لقصّروا من أعنتكم، فقال زياد: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم في غرّب منطقه ولا لما في بواذخنا (***)، فأبعث إليهما حتى نسمع كلامهما. فقال معاوية لعمرو: ما تقول في هذا الليل، فأبعث إليهما في غد.

(١) عقد الفريد، ج ٣، ص ٢٨٢.

(*) كما في عقد الفريد.

(٢) محاضرة الأبرار، ص ١٧٨.

(***) في محاسن البيهقي: ولا لنا في بواذخنا.

فبعث معاوية بابنه يزيد إليها، فأتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية، فقال: إني أجلكما وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فإنك ابن رسول الله (ص) وسيّد شباب أهل الجنّة، فشكر له.

فلما استويا في مجلسهما علم عمرو إنّ الحدة ستقع به، فقال: والله لا بدّ أن أتكلّم فإن قهرت فسيبيل ذلك وإن قُهرت أكون قد ابتدأت، فقال: يا حسن! إنّنا قد تفاوضنا فقلنا إنّ رجال بني أميّة أصبر على اللقاء وأمضى في الوغاء وأوفى عهداً وأكرم خيماً وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبدالمطلب.

ثمّ تكلم مروان بن الحكم، فقال: كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فإن شئنا عفونا وإن شئنا بطشنا.

ثمّ تكلم زياد، فقال: ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله ويمجدوا الفخر في مظانّه نحن الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً.

فتكلّم الحسن بن عليّ رضي الله عنهما، فقال: ليس من الحزم(*) أن يصمت الرجل عند إيراد الحجّة ولكن من الإفك أن ينطق الرجل بالحنا ويصوّر الكذب في صورة الحقّ، يا عمرو! افتخاراً بالكذب وجرأة على الإفك! ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرّة بعد مرّة(**)، أتذكر مصابيح الدجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الأقران وأبناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة، وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال...

ثمّ قال: وأما أنت يا مروان! فما أنت والإكثار في قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تنقلب في خزاية إلى سواة، وقد أتى بك إلى أمير المؤمنين يوم الجمل فلما رأيت الضرغام قد دميت برائنه واشتبتك أنيابه كنت كما قال الأوّل: بصبصن ثمّ رمين

(*) وفي محاسن البيهقي: ليس من العجز.

(**) وفي محاسن البيهقي: أبديها مرّة وأمسك عنها أخرى.

بالأبعار(*) . فلما منَّ عليك بالعمو...

ثم التفت إلى زياد وقال: وما أنت يا زياد وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً ثابتاً ولا منبتاً كريماً، كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار العرب، فلما ولدت لم تعرف ذلك العرب والداً فادّعاك هذا - يعني معاوية - فما لك والإفتخار تكفيك سمية ويكفينا رسول الله (ص) وأبي سيّد المؤمنين الذي لم يرتدّ على عقبه وعمّاي حمزة سيّد الشهداء وجعفر الطيّار في الجنة.

ثم التفت إلى ابن عبّاس، فقال: إنما هي بُعات الطير انتقضّ عليها البازي، فأراد ابن عبّاس أن يتكلّم، فأقسم عليه معاوية أن يكفّ فكفّ، ثمّ خرجا، فقال معاوية: أجاد عمرو الكلام أولاً لولا أن حجّته دحضت، وقد تكلم مروان لولا أنه نكص، ثمّ التفت إلى زياد، فقال: ما دعاك إلى محاورته ما كنت إلا كالحجل في كفّ العقاب.

فقال عمرو: أفلا رميت من ورائنا؟ قال معاوية: إذا كنت شريككم في الجهل، أفأفاخر رجلاً رسول الله (ص) جدّه وهو سيّد من مضى ومن بقي، وأمّه فاطمة سيّدة نساء العالمين، ثمّ قال لهم: والله لئن سمع أهل الشام ذلك إنّه للسوأة السوأة...

فخلا ابن عبّاس بالحسن رضي الله عنه، فقبّل بين عينيه، وقال: أفديك يا ابن عمّي والله ما زال بحرك يزخر وأنت تصول حتىّ شفيتني من أولاد البغايا.

ثمّ إنّ الحسن رضي الله عنه غاب أيّاماً، ثمّ رجع حتىّ دخل على معاوية وعنده عبدالله بن الزُّبير، فقال معاوية: يا أبا محمّد! إنّي أظنّك تعباً نصباً فأت المنزل فأرح نفسك!

فقام الحسن رضي الله عنه، فخرج.

فقال معاوية لعبدالله بن الزُّبير: لو افتخرت على الحسن فأنت ابن حواري رسول

(*) وفي محاسن البيهقي:

ليث إذا سمع اللّيوث زئيره بصصن ثمّ قذفن بالأبعار.

الله (ص) وابن عمته ولأبيك في الإسلام نصيب وافر!

فقال ابن الزبير: أنا له، ثم جعل ليلته يطلب الحجج.

فلما أصبح دخل على معاوية، وجاء الحسن رضي الله عنه، فجاء معاوية وسأله عن مبيته؟ فقال: خير مبيت وأكرم مستفاض.

فلما استوى في مجلسه، قال له ابن الزبير: لولا أنك خوار في الحروب غير مقدم، ما سلمت لمعاوية الأمر... أما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت أنني ابن الزبير وأني لا أنكص عن الأبطال، وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفيّة بنت عبدالمطلب وأبي الزبير... إلخ.

فالتفت الحسن إليه وقال: أما والله لولا أن بني أمية تنسبني إلى العجز عن المقال لكففت عنك تهاوناً بك، ولكن سأبين لك لتعلم أنني لست بالكليل، أيتاي تعير وعليّ تفتخر، ولم تك لجدك في الجاهلية مكرمة إلا تزوجه عمّتي صفيّة بنت عبدالمطلب، فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها، فكيف تفاخر من في القلادة واسطتها وفي الأشراف سادتها، نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا الشرف الناقب والكرم الغالب.

ثم تزعم أنني سلمت الأمر لمعاوية: فكيف يكون ويحك كذلك، وأنا ابن أشجع العرب، ولدتني فاطمة سيّدة النساء وخيرة الأمهات، لم أفعل ويحك ذلك جبناً ولا فرقاً ولكنّه بايعني مثلك وهو يطلب بتره (*) ويداجيني المودّة فلم أثق بنصرته لأنكم بيت غدر وأهل أحن ووتر، فكيف لا تكون كما أقول وقد بايع أمير المؤمنين أبوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله (ص) ليضلّ بها الناس، فلما دلف نحو الأعنة ورأى بريق الأسنة قتل بمضيعة لا ناصر له، وأتي بك أسيراً وقد وطئتكم الكماة بأظلافها والحيل بسنابكها واعتلاك الأستر، فغصصت بريقك وأقعت على عقبيك كالكلب إذا احتوشته الليوث، فنحن ويحك نور البلاد

(*) في محاسن البيهقي: بيرة.

وأملأكها، وبنا تفتخر الأمة وإلينا تلقى مقاليد نصول^(*)، وأنت تختدع النساء ثم تفتخر على بني الأنبياء، لم تزل الأقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة، دخل الناس على دين جدِّي طائعين وكارهين، ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار إلى أبيك وطلحة حين نكثنا البيعة وخذعا عرس رسول الله (ص) فقتلا عند نكثهما بيعته، وأتى بك أسيراً تبصص بذنبك، فناشدته الرحم ألا يقتلك فعفا عنك، فأنت عتاقة أبي وأنا سيّدك وأبي سيّد أبيك، فذق وبال أمرك.

فقال ابن الزبير: اعذرنا يا أبا محمد، فإنما حملني على محاورتك هذا، واشتهدى الإغراء بيننا، فهلاً إذ جهلتُ أمسكت عني فإنكم أهل بيت سجيّتم الحلم.

قال الحسن: يا معاوية! أنظر أكع^(**) عن محاورة أحد، ويحك أتدري من أيّ شجرة أنت وإلى من أنتمي؟ إنته قبل أن أسمك بسمه يتحدّث بها الركبان في آفاق البلدان.

قال ابن الزبير: هو لذلك أهل^(١).

محاسن البيهقي (ص ٧٨) يروي نظيره.

أقول: الأعتة جمع عنان الفرس. غرّب المنطق واللّسان: حدّته. البواذخ: جمع باذخ وهو العالي. المسامرة: التحادث بالليل. التفاوض: المذاكرة والتحدّث. الوغى: الحرب. الحنّنا: الفحش. الطراد: حمل بعضهم على بعض. الحتوف: جمع الحتف وهو الموت. دمى تدمية: أخرج الدم. البرائن جمع البرثن: ما هو بمنزلة الإصبع من السباع. بصبص: حرّك ذنبه. البُغات: طائر صغير. الحجل: طائر كالحمام. داجاه العداوة أو المودّة: سرّها. الأحن والوتر: الحقد والظلم. الحشيّة: الفراش. دلف: تقدّم ومشى كالمقيّد.

(*) كذا في الأصل، وفي محاسن البيهقي، مقاليد الأزمة أتصول.

(**) في محاسن البيهقي: أكيع. يقال كاع يكيع عنه إذا خاف.

(١) المحاسن والأضداد، ص ٩٠.

٩- وذكروا إنَّ الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما دخل على معاوية، فقال في كلام جرى من معاوية في ذلك:

فِيمَ الْكَلَامِ وَقَدْ سَبَقْتُ مُبْرَزاً سَبَقَ الْجَوَادِ مِنَ الْمَدَى وَالْمِقْوَسِ

فقال معاوية: إياي تعني؟ والله لآتيتك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك، أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن أجودها جوداً وأكرمها أبوة وجدوداً وأوفاهها عهداً، أنا ابن من ساد قريشاً ناشئاً (*).

فقال الحسن: أجل إياك أعني، أفعليّ تفتخر يا معاوية! وأنا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضى الرّحمن وسخطه سخط الرّحمن، فهل لك أب كأي أو قديم كقديمي؟ فإن تقل لا: تُغلب. وإن تقل نعم: تكذب.

فقال: أقول لا، تصديقاً لقولك.

فقال الحسن رضى الله عنه:

الْحَقُّ أْبْلَجُ لَا تَنْزِيْعُ سَبِيْلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ (١)

المحاسن للبيهقي (ص ٨٢) يروي نظيره.

أقول: الجواد: الفرس السريع. المدى: الغاية. المِقْوَس: الميدان للسباق. الأبلج: الواضح الظاهر.

١٠- ويروي أيضاً (ص ٩٤): قال معاوية ذات يوم وعنده أشرف الناس من قريش وغيرهم: أخبروني بأكرم الناس أباً وأماً وعماً وعمّة وخالاً وخالة وجدّاً وجدّة؟

(* في محاسن البيهقي: ناشئاً وكهلاً.

(١) المحاسن والأضداد، ص ٩٤.

فقام مالك بن عجلان(*) وأومئ إلى الحسن بن عليّ صلوات الله عليه، فقال: هو ذا، أبوه عليّ بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله (ص) وعمّه جعفر الطيّار وعمّته أمّ هاني بنت أبي طالب وخاله القاسم ابن رسول الله (ص) وخالته زينب بنت رسول الله (ص) وجدّه رسول الله (ص) وجدّته خديجة بنت خويلد.

فسكت القوم، ونهض الحسن، فأقبل عمرو بن العاص على مالك، فقال: أحبّ بني هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل؟

فقال ابن عجلان: ما قلت إلاّ حقّاً، وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلاّ لم يُعط أمنيته في دنياه وختم له بالشقاوة في آخرته، بنو هاشم أنضركم عوداً وأوراكم زنداً، أكذلك يا معاوية؟ قال: اللّهمّ نعم.

المحاسن للبيهقي (٨٣) يروي مثله.

١١- ويروي أيضاً (ص ٩٥): استأذن الحسن بن عليّ رضي الله عنه على معاوية وعنده عبدالله بن جعفر وعمرو بن العاص، فأذن له فلماً أقبل، قال عمرو: قد جاءكم الفهّ العيّ الذي كان بين لحبيبه عُقلة. فقال عبدالله بن جعفر: مه والله لقد رُمّت صخرة مملّمة تنحبط عنها السيول وتقصر دونها الوعول، لا تبلغها السهام، فإيّاك والحسن إيّاك، فإنّك لا تزال راتعاً في لحم رجلٍ من قريش، ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورىّ زندك.

فسمع الحسن الكلام، فلماً أخذ مجلسه قال: يا معاوية! لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس أما والله لئن شئت ليكوننّ بيننا ما تتفاقم فيه الأمور وتخرّج منه الصدور، ثمّ أنشأ يقول:

أتأمرني يا معاويَ عبدَ سهم بشتمي والملا مئنا شهود
أأنت تظللّ تشتمني سفاهاً لضعن ما يزول ولا يببّد

(*) في محاسن البيهقي: العجلان.

فهل لك من أب كأبي تَسامىُ به من قد تسامى أو تكيد
 ولا جدّ كجدّي يا ابن حرب رسول الله إن ذكر الجُدود
 ولا أمّ كأُمّي من قريش إذا ما حُصّل الحَسب التليد
 المحاسن للبيهقي (ص ٨٣) يروي مثله.

أقول: الفهم العيّي: الوهن الضعيف العاجز. المملّمة: المستدير. الوعول: الاشراف.
 تفاقم: عظم ولم يجر على استواء. التليد: القديم الثابت.

١٢- ويروي أيضاً (ص ٩٦): وذكروا أنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية: إبعث إلى
 الحسن بن عليّ (ع) فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون في ذلك ما نعيّره
 به، فبعث إليه معاوية فأمره أن يخطب، فصعد المنبر وقد اجتمع الناس، فحمد الله
 وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس! من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن
 ابن عليّ بن أبي طالب ابن عمّ النبيّ، أنا ابن البشير النذير السراج المنير، أنا ابن من
 بعثه الله رحمة للعالمين، أنا ابن من بعث إلى الجنّ والإنس، أنا ابن مستجاب الدعوة،
 أنا ابن الشفيح المطاع، أنا ابن أوّل من ينفذ رأسه من التراب، أنا ابن أوّل من يقرع
 باب الجنّة، أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر، وأمعن في
 هذا الباب ولم يزل حتى اظلمت الأرض على معاوية.

فقال: يا حسن! قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك.

قال الحسن: إنّما الخليفة من سار بسيرة رسول الله (ص) وعمل بطاعته، وليس
 الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أباً وأمّاً، ولكن ذلك ملك أصاب
 مُلكاً يُمتّع به قليلاً ويعذب بعده طويلاً وكان قد انقطع عنه واستعجل لذّته وبقيت
 عليه التبعة، فكان كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، ثمّ
 انصرف.

فقال معاوية لعمرو: ما أردت إلا هتكّي، ما كان أهل الشام يرون أحداً مثلي حتى

سمعوا من الحسن ما سمعوا.

المحاسن للبيهقي (ص ٨٤) يروي مثله.

١٣- ويروي (ص ٩٦): وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية، فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام، فلما نظر إليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به ويقدومه، فحسده مروان، وقد كان معاوية قال لهم: لا تحاوروا هذين الرجلين فقد قلداكم العار عند أهل الشام، يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبدالله بن عباس.

فقال مروان: يا حسن! لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناه له أباه الكرام من المجد والعلو: ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك، وأنت لهذا مستحق، بقودك الجماهير إلينا فلما قاومتنا وعلمت ألا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية: أذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الأمان، أما والله لولا ذلك لأراق دمك ولعلمت أننا نعطي السيوف حقها عند الوغى، فاحمد الله إذ ابتلاك بمعاوية وعفا عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى.

فنظر إليه الحسن وقال: ويلك يا مروان! لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخازلة عند مخالطتها، هيلتك أمك، لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم إن شكرتم النعم السوابغ، ندعوكم إلى النجاة وتدعوننا إلى النار، فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببني أمية وتزعم إنهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء، ثكلتك الثواكل أولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبدالمطلب، أما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الأهوال ولا حادوا عن الأبطال، كالليوث الضارية بالأسلة الحنقة، فعندها وليت هارباً وأخذت أسيراً، فقلدت قومك العار لأنك في الحروب خوَار.

أتهريق دمي فهلاً أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار، فذبحه كما يذبح الحمل

وأنت تشغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الكوعاء (*)، ما دفعت عنه بسهم ولا منعت دونه مجرب، قد ارتعدت فرائصك وغشي بصرك واستغثت (***) كما يستغيث العبد بربه، فأنجيتك من القتل ثم جعلت تبحث عن دمي وتحض على قتلي، ولو رام ذلك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن عقان وأنت معه أقصر يداً وأضيق باعاً وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك، ثم تزعم أنني ابتليت بجلم معاوية، أما والله هو أعرف بشأته وأشكر لنا إذ وليناه هذا الأمر، فمتى بدا له فلا يغضين جفنه على القذى معك، فوالله لأعتقن (***) أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه، ثم لا ينفك عند ذلك الروغان والهرب، ولا تنتفع بتدريجك الكلام، فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الأكابر، وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل. إنطق إن كنت صادقاً.

فقال عمرو: ينطق بالخنا وتنطق بالصدق.

المحاسن للبيهقي (ص ٨٥) يروي مثله.

أقول: الصنديد: السيّد والشجاع. ثكلته أمّه وهبلته من باب علم: فقدته. البهلول: السيّد الجامع للخير. الذادة جمع ذائد: المدافع المحامي. الضاري: الشديد. الباسل والحنق: شديد الاغتياظ والغضب والشجاع. الخوّار: الضعيف الجبان. ثغت الشاة: صوّت.

وأما نسب عيسى (ع) (في حديث ٣ و ٤): فهو عليه السلام ينتهي نسبه إلى داود (ع) بثمان وعشرين واسطة، وينتهي نسب داود إلى إبراهيم (ع) بأربع عشرة واسطة، كما في الباب الأوّل من إنجيل متى: حيث يذكر نسب يوسف النجار وهو ابن عمّ مريم (ع)، فيكون نسب مريم أيضاً كذلك.

(*) في محاسن البيهقي: اللكعاء.

(**) في محاسن البيهقي: واستغثت بي.

(***) في محاسن البيهقي: لأثخن أهل الشام بجيش يضيق عنه فضاؤها.

وأما سؤال معاوية عن أكرم النسب (كما في حديث ٦ - ٧): فلازم أن يسأل عن أكرم النسب في الأولين والآخرين وفي قاطبة الناس أجمعين، فإن رسول الله (ص) أشرف المرسلين، وابنته فاطمة (ع) سيّدة نساء العالمين، وأبوه عليّ (ع) أفضل الوصيّين وحجّة الله في الأرضين، وأخوه الحسين (ع) سيّد شباب أهل الجنّة، وعمّه جعفر الطيّار في الرضوان، وعمّ أبيه حمزة سيّد الشهداء، فمن مثله في بني آدم من الماضين واللاحقين.

وأما قول عمرو بن العاص إنه فهو عيّ: فهو إفتراء محض ورمي باطل، ولسان سوء في حقّه، يريد به تضعيفه وتعييبه، والله متمّ نوره ولو كره المجرمون.

قال ابن أبي الحديد (ج ٤، ص ١٠): قال المدائني: وكان الحسن أكبر ولد عليّ وكان سيّداً سخياً حليماً خطيباً وكان رسول الله (ص) يحبّه.

وقال طه حسين في الفتنة الكبرى ولنعم ما يقول (ص ٢٠٢): والحسن قد خطب الناس غير مرّة في حياة أبيه وبعد وفاته، فلم يعرف الناس منه عيّاً أو حصرأً، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك من أهل بيت لم يُعرفوا قطّ بعيّ أو حصر، وإنما كانوا معدن الفصاحة واللّسن وفصل الخطاب، وقد خطب الحسن فقال خير ما كان يمكن أن يقال وأصدق ما كان يمكن أن يقال أيضاً.

وأما أمثال هذه المناظرات: فلا عجب من تظاهر هذه الحياة الدنيا وهي دار الغرور، حيث قارن الإمام وهو سيّد شباب أهل الجنّة وابن رسول الله وأفضل الخلق في زمانه، بهؤلاء النفر من منافق وفاسق وظالم وطاغ وجاهل. وقد تقدّم إليه في مجرى جريان هذا التظاهر أبوه أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وإمام الثقلين عليّ بن أبي طالب، وكان يقول: فيا عجباً للدّهر إذ صرّت يُقرن بي من لم يسعّ بقدمي ولم تكن له كسابقتي التي لا يُدلي أحداً بمثلها، إلا أن يدّعي مُدّع ما لا أعرفه ولا أظنّ الله يعرفه - نهج البلاغة - كتاب ٩.

نعم، إنّ الناس عبید الدرهم والدينار، وغرّتهم الحياة الدنيا وزينتها، وهم

محجوبون عن الحياة الروحانية الطيبة وعن المعارف والحقائق الإلهية، وهم لا يميلون إلا بأمتثالهم ولا يحبون إلا نظائرهم، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، والذين كفروا بالحق بعضهم أولياء بعض، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين، الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا.

٤ - ولادة الإمام (ع)

١- عن أمّ الفضل إنّها قالت لرسول الله (ص): إنّي رأيت في المنام كأنّ عضواً من أعضائك في بيتي أو في حجرتي! قال: تلد فاطمة غلاماً تكفليته، قال: فولدت فاطمة حسناً، فدفعه النبيّ (ص) إليها فأرضعته بلبن ابنها قُثم بن العباس^(١).

٢- عن أمّ الفضل قالت: رأيت كأنّ في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله (ص)، قالت: فجزعت من ذلك، فأتيت رسول الله (ص) فذكرت ذلك له، فقال: خيراً، تلد فاطمة غلاماً فتكفليته بلبن ابنك قُثم، قالت: فولدت حسناً فأعطيتها فأرضعته حتّى تحرك أو فطمته، ثمّ جئت به إلى رسول الله (ص) فأجلسته في حجره فبال، فضربت بين كتفيه، فقال: ارفقي بابني رحمك الله أوجعتِ ابني^(٢).

٣- وقد مقدم إلى معاوية، فقال معاوية: أعلمت أنّ الحسن بن عليّ توفّي، فرجع المقدم، فقال له معاوية: أتراها مصيبة؟ فقال: ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله (ص) في حجره وقال: هذا منّي وحسين من عليّ رضي الله عنهما^(٣).

٤- أبو محمّد وُلد في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، قاله ابن سعد وابن البرقي وغير واحد، وقيل في شعبان منها، وقيل وُلد سنة أربع وقيل خمس، والأوّل أثبت^(٤).

(١) أخبار اصبهان، ج ١، ص ٤٦.

(٢) مسند أحمد، ج ٦، ص ٣٣١.

(٣) مسند أحمد، ج ٤، ص ١٣٢.

(٤) الإصابة (الحسن بن عليّ).

٥- وللنصف من شهر رمضان كان مولد الحسن بن عليّ (ع) ، أي من السنة الثالثة^(١).

٦- وأخرج المحافظ عن سودة بنت سرج قالت: كنت ممن حضر فاطمة حين ضربها المخاض، فأتانا رسول الله (ص)، فقال: كيف هي كيف هي ابنتي فديتها! قلنا: إنّها لتجهد، قال: فإذا وضعت فلا تحدي شيئا حتى تؤذيني! قالت: فلما وضعته سررته (يعني قطعت سرّته) ولففته في خرقة صفراء، فجاء رسول الله، فقال: ما فعلت ابنتي فديتها وما حالها وكيف هي؟ قلت: يا رسول الله! قد وضعت غلاماً وأخبرته بما صنعت، فقال: لقد عصيتني! قلت: أعود بالله من معصية الله ورسول الله، سررته يا رسول الله ولم أجد من ذلك بدءاً، فقال: اتّني به، فأتيته به، فألقى عنه الخرقة الصفراء ولفّه في خرقة بيضاء وتفل في فيه وألباه بريقه (يعني أرضعه إياه)، ثم قال: ادعي لي عليّاً، فدعوته، فقال: ما سمّيته يا عليّ، فقال: سمّيته جعفرأ، قال: لا، لكنّه حسن وبعده حسين وأنت يا عليّ أبو الحسن والحسين^(٢).

٧- بإسناده عن عليّ، قال: كنت رجلاً أحبّ الحرب، فلما ولد الحسن هممت أن أسمّيه حرباً، فسماه رسول الله (ص) الحسن^(٣).

٨- وُلد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وأذن رسول الله (ص) في أذنه، وسمّاه الحسن^(٤).

٩- رأيت رسول الله (ص) أذن في أذن الحسن بن عليّ حين ولدته فاطمة بالصلوة^(٥).

(١) التنبيه والإشراف، ص ٢١٠.

(٢) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٠١.

(٣) الأغاني، ج ١٤، ص ١٥٧.

(٤) طبقات الشعرا (الحسن بن عليّ).

(٥) سنن أبي داود، ج ٢، ص ٣٤١.

وفي مسند أحمد (ج ٦، ص ٩): أذن في أذنيه.

سنن الترمذي (ص ٢٤٠)، ومسند أحمد (ج ٦، ص ٣٩١) مثلها.

١٠- ويروى عن عليّ (ع): إن رسول الله (ص) عقّ عن الحسن بشاة، وقال: يا فاطمة! احلّقي رأسه وتصدّقي بزنة شعره فضّة، فوزنته فكان وزنه درهماً وبعض درهم.

١١- فولدت فاطمة لعليّ: الحسن وتكنّى أبا محمّد، وكان مولد الحسن في سنة ثلاث للنصف من شهر رمضان، فعقّ عنه النبيّ (ص) بكبش^(١).

١٢- ويروى أيضاً عن أبي إسحاق: إن عليّاً قال: لما ولد الحسن سمّيته حرباً. فجاء النبيّ (ص)، فقال: أرني ابني ما سمّيتموه؟ قلنا: حرباً. فقال: هو الحسن.

مستدرک الحاكم (ج ٣، ص ١٦٥) عن عليّ رضي الله عنه، نظيره.

١٣- ويروى أيضاً (ص ١٧٣) عن محمّد بن عليّ الباقر: إن النبيّ (ص) سمّى الحسن بن عليّ يوم سابعه وإنه اشتقّ من اسمه اسم حسين، وذكر: إنّه لم يكن بينهما إلاّ الحبل.

١٤- ولدته أمّه فاطمة بنت رسول الله (ص) في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، هذا أصحّ ما قيل في ذلك إن شاء الله، وعقّ عنه رسول الله (ص) يوم سابعه بكبش، وحلق رأسه وأمر أن يتصدّق بزنة شعره فضّة^(٢).

١٥- عن محمّد بن عليّ (ع) قال: وزنت فاطمة بنت رسول الله (ص) شعر حسن وحسين وزينب وأمّ كلثوم فتصدّقت بزنة ذلك فضّة^(٣).

ويروي روايات أخر في الحسن والحسين (ع).

(١) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٤٠٤.

(٢) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٤.

(٣) سنن البيهقي، ج ٩، ص ٣٠٤.

١٦- عن أبي رافع قال: لما ولدت فاطمة حسناً قالت: ألا أعقّ عن ابني بدم؟ قال: لا، ولكن احلّقي رأسه وتصدّقي بوزن شعره من فضّة على المساكين... ففعلت ذلك، قالت: فلما ولدت الحسين فعلت مثل ذلك^(١).

أقول: نذكر ما يلزم ذكره ممّا يتعلّق بهذه الروايات:

١- أمّ الفضل (حديث ١ - ٢): هي لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبي (ص)، وزوجة العباس بن عبدالمطلب، وأمّ أكثر بنيه الفضل وعبدالله وعبدالله وقثم وعبدالرحمن.

٢- المقدم (حديث ٣): الظاهر أنّه هو ابن معد يكرب الكندي، يعدّ في أهل الشام وبالشام مات سنة ٨٧، وهو ابن إحدى وتسعين سنة، وهو أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله (ص).

٣- سودة بنت سرح (حديث ٦): وفي الإستيعاب - سودة بنت مسرح، وفي ذيل الصفحة - بنت مشرح بالشين -، قال: روي عنها حديث واحد.

٤- سبق من الإصابة (٤) إنّ ولادته في النصف من شهر رمضان أثبت، وكذا في التنبيه (٥) والطبقات (٨) والإستيعاب (١٤).

وفي إرشاد المفيد (ص ١٩١) وُلد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وجاءت به أمّه فاطمة (ع) إلى النبي (ص) يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنة كان جبرئيل نزل بها إلى النبي (ص) فسماه حسناً وعق عنه كبشاً. وفي مطالب السؤل (ص ٦٤): أصحّ ما قيل في ولادته أنّه ولد في المدينة في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

٥- فديتها (٦): هذه الكلمة تدلّ على نهاية محبة رسول الله (ص) فاطمة ابنته،

(١) مسند أحمد، ج ٦، ص ٣٩٠.

ومشعرة بتعظيمها وتجليلها كمال التجليل والتعظيم .

٦- وتفل في فيه وألباه بريقه (٦): هذه الجملة تدلّ على الإفاضة المعنوية والإشراق الروحانيّ والتوجّه الباطنيّ التامّ إليه .

٧- كأنّ عضواً من أعضائك في بيتي (١): يدلّ على كمال الارتباط والتوافق الباطني والتجانس الروحي بين رسول الله (ص) والإمام المجتبيّ ربحانته وحببيه .

٥ - بعد ميلاد الإمام (ع)

١- عن ابن عباس: كان رسول الله (ص) يعوذ الحسن والحسين، يقول: أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شرّ شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ويقول: هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل^(١).

مستدرك الحاكم (ج ٣، ص ١٦٧) يروي نظيره.

مسند أحمد (ج ١، ص ٢٣٦) يروي مثلها.

٢- عن عائشة: كان رسول الله (ص) يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهذه الكلمات: أعيدكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة^(٢).

٣- قال عليّ رضي الله عنه: لما حضرت ولادة فاطمة، قال النبيّ (ص) لأسماء بنت عميس وأمّ سلمة: أحضراها فإذا وقع ولدها واستهلّ صارخاً فأذنا في أذنه اليمنى وأقما في اليسرى، فإنه لا يفعل بمثله إلاّ عصم من الشيطان، فلما كان يوم السابع سمّاه النبيّ (ص) حسناً.

قال النسفي: لما ولدت فاطمة الحسن، قال النبيّ (ص) لعليّ (ع): سمّه! فقال: ما يسمّيه إلاّ جدّه، فقال النبيّ (ص): ما كنت لأسبق بتسمية ربيّ، فجاءه جبرئيل وقال: يا محمد! إنّ الله يهنّئك بهذا المولود ويقول لك سمّه باسم ابن هارون شبر، ومعناه حسن، ولما ولد الحسين قال: يا محمد! إنّ الله يهنّئك بهذا المولود ويقول لك

(١) سنن الترمذي، ص ٣٠١.

(٢) عقد الفريد، ج ٢، ص ١٥٥.

سمّه باسم ابن هارون شبير، ومعناه حسين^(١).

٤- عن عقيل: إنَّ عليّاً سمّي ابنه الأكبر باسم عمّه حمزة، وسمّي حسيناً بعمّه جعفر. فدعا رسول الله (ص) عليّاً رضي الله عنه، فقال: إني قد أمرت أن أُغيّر اسم هذين، فقال: الله ورسوله (ص) أعلم. فسماهما حسناً وحسيناً^(٢).

تذكرة الخواص (ص ١١) يرويها عن مسند أحمد، ثم يقول: وأخرجه أحمد أيضاً في الفضائل.

٥- عن عليّ رضي الله عنه: لما وُلد الحسن جاء رسول الله (ص)، فقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟ قلت: سمّيته حرباً، قال: بل هو حسن^(٣).

٦- الإستيعاب (الحسن بن عليّ) يروي مثلها، وفيها: فلما وُلد الحسين، قال: أروني ما سمّيتموه؟ قلت: سمّيته حرباً، قال: بل هو حسين. فلما وُلد الثالث جاء النبي (ص)، فقال: أروني ما سمّيتموه؟ قلت: حرباً. قال: بل هو محسن. زاد أسد: ثم قال: إني سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبّر وشبير ومشبّر.

٧- وعق رسول الله (ص) عنه يوم سابعه وحلق شعره، وأمر أن يتصدّق بزنة شعره فضّة، وهو خامس أهل الكساء^(٤).

أقول: نذكر بعض ما يحتاج إلى البيان:

١- سبق في (الولادة) ما يتعلّق بهذا الباب، وكذا فيما يأتي.

٢- كلمات الله التامة: أي مظاهر قدرته تكويناً من الملائكة المقربين، أو مقاماته العليا وأسماؤه الحسنى الملكوتية.

(١) نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٥.

(٢) مستدرک الحاكم، ج ٤، ص ٢٧٧.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٤) تاريخ الخلفاء، ص ٧٢.

٣- الهامة: كل ما يُقلق ويُحزن ويُذيب الجسم وما كان له سم من الحشرات والحيوان وما تهمّ بسوء.

٤- اللامة: كل ما يخاف من فزع وشرّ وكل عين مصيبة بسوء.

٥- شبر (حديث ٣ - ٦): في لسان العرب (شبر) ووجدت ابن خالويه قد ذكر شرحها، فقال: شَبْرٌ وشَبِيرٌ ومُشَبَّرٌ، هم أولاد هارون (ع) ومعناها بالعريّة حسن وحسين ومُحَسَّنٌ، قال: وبها سمّي عليّ (ع) أولاده شَبْرٌ وشَبِيرٌ ومُشَبَّرٌ، يعني حسناً وحسيناً ومُحَسَّنًا، رضوان الله عليهم أجمعين.

ولا يخفى أنّ في هذه التسمية وفي انتخاب أسامي أبناء هارون (ع) إشارة لطيفة إلى قوله (ص) في عليّ (ع): أنت مئّي بمنزلة هارون من موسى، وتثبيتاً لشركته ووزارته. وفي روضة الواعظين (ص ١٣٢) في ولادة السبطين: قالت أسماء بنت عميس: جاء النبيّ (ص)، فقال: يا أسماء! هاتي بابني! فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبيّ (ص) وقال: يا أسماء! ألم أعهد إليكم أن لا تُلَفُّوا المولود في خرقة صفراء، فلَفَفْتَه في خرقة بيضاء ودفعته إليه، فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثمّ قال لعليّ: أيّ شيء سمّيت ابني؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه وقد كنت أحبّ أن أسميه حرباً، فقال النبيّ (ص): وأنا لا أسبق باسمه ربّي عزّ وجلّ، ثمّ هبط جبرئيل، فقال: السّلام عليك يا محمّد، العليّ الأعلى يقرؤك السّلام ويقول: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبيّ بعدك، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون! قال النبيّ: وما اسم ابن هارون يا جبرئيل؟ قال: شبر. قال النبيّ (ص): لساني عربيّ، قال: سمّه الحسن، فسماه الحسن.

فلما كان اليوم السابع عقّ عنه النبيّ (ص) بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذاً وحلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً وطلّى رأسه بالخلوق، ثمّ قال: يا أسماء! الدم فعل الجاهليّة.

بحار الأنوار (ج ١٠، ص ٧٢) كا، بإسناده عن أبي عبدالله (ع) قال: عق رسول الله (ص) عن الحسن بيده وقال: بسم الله عقيقة عن الحسن، وقال: اللَّهُمَّ عَظْمُهَا بَعْظَمُهُ وَلَحْمُهَا بِلَحْمِهِ وَدَمُهَا بِدَمِهِ وَشَعْرُهَا بِشَعْرِهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا وَقَاءً لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

أقول: الكبش بالفتح: الغنم إذ أثنى أو أربع. الأملح: الأسود يعلو شعره بياض. الورق بالفتح فالكسر: الدرهم المضروب. الخلق بالفتح: طيب مركب من الزعفران وغيره. وأمّا أسماء: فهي بنت عميس (بصيغة التصغير) بن معبد الخثعمي، زوجة جعفر بن أبي طالب. ولما استشهد جعفر تزوّجها أبو بكر فولدت له محمّد بن أبي بكر.

٦ - كنيته وألقابه (ع)

١ - كنيته أبو محمد لا غير، وأمّا ألقابه فكثيرة: التقيّ والطيبّ والزكيّ والسيّد والسبط والوليّ، كلّ ذلك كان يقال له ويطلق عليه، وأكثر هذه الألقاب شهرة التقيّ، لكن أعلاها رتبة وأولاها به ما لقّبه به رسول الله (ص) حيث وصفه وخصّه بأن جعله نعتاً له، فإنّه صحّ النقل عن النبيّ (ص) فيما أورده الأئمة الأثبات والرواة الثقة أنّه قال: إنّ ابني هذا سيّد^(١).

٢ - ن، لي، بإسناده عن الرضا (ع) قال: كان نقش خاتم الحسن: العزة لله. وكان نقش خاتم الحسين: إنّ الله بالغ أمره^(٢).

ويروي (ص ٧٣) كا، بإسناده عن أبي عبدالله (ع): كان في خاتم الحسن والحسين: الحمد لله.

أقول: اختلاف النقوش من جهة تعدّد الخواتم.

وأما كنية أبي محمد: فهي كلمة كناه بها رسول الله (ص)، لحبّه ولشدة علاقته له، من جهة استجماعه محامد الصفات وتشبّهه بمحضته في الظاهر والباطن.

فكيف أُطيق أن أحصي مزايا خُصِّصَتْ بهنّ من بين العباد
لك الشرف الذي فاق البرايا وجلّ علماً على السبع الشداد

[الإربلي]

(١) مطالب السؤل، ص ٦٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٦٨.

٧ - سائله (ع)

- ١ - بإسناده: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيهه بالنبي ليس شبيهاً بعليّ، وعليّ يضحك^(١).
- ٢ - الحسن بن عليّ عليهما السلام وكانت فاطمة عليها السلام تقول: بأبي شبيه النبي غير شبيهه بعليّ. ويقال: إنّ أبا بكر قال له يوماً وقد لقيه في طريق المدينة: بأبي شبه النبي غير شبيهه بعليّ^(٢).
- ٣ - عن أنس قال: لم يكن في ولد عليّ أشبه برسول الله (ص) من الحسن^(٣).
- ٤ - عن أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله (ص) وإن كان أشبه الناس به الحسن ابن عليّ^(٤).
- ٥ - عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله (ص) من الحسن بن عليّ وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين^(٥).
- ٦ - بإسناده عن أنس، قال: لم يكن أحد أشبه بالنبيّ (ص) من الحسن بن عليّ^(٦).

(١) البخاري، ج ٢، ص ١٨٨.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٣٩.

(٣) مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٦٨.

(٤) مسند أحمد، ج ٤، ص ٣٠٧.

(٥) مسند أحمد، ج ٣، ص ١٦٤.

(٦) البخاري، ج ٢، ص ١٨٨.

٧- عن أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله (ص) أبيض قد شاب وكان الحسن ابن عليّ يشبهه^(١).

٨- ويروي أيضاً عنه: رأيت رسول الله (ص) وكان الحسن بن عليّ يشبهه. ويروي أيضاً (ص ٥٤٠) نظير ما في البخاري.

٩- ويروي أيضاً عن عليّ قال: الحسن أشبه برسول الله (ص) ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه برسول الله (ص) ما كان أسفل من ذلك. الإستيعاب (ج ١، ص ٣٨٤) مثلها.

مسند أحمد (ج ١، ص ٩٩) مثلها. وفيه: أشبه الناس.

وكذلك في تهذيب التهذيب (ج ٢، ص ٢٩٦).

١٠- عن عبدالله البهيّ: تذاكرنا من أشبه بالنبيّ (ص) من أهله! فدخل علينا عبدالله بن الزبير، فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم إليه: الحسن بن عليّ، رأيتته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال: ظهره فما يُنزلهُ حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيتته يجيء وهو راع فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر^(٢).

تهذيب التهذيب (ج ٢، ص ٢٩٦) مثلها.

١١- وكان الحسن بن عليّ عليه السلام أصبح الناس وجهاً، كان يشبه برسول الله (ص) وكذلك عبدالله بن الحسن المحض^(٣).

أقول: عبدالله بن الحسن المحض هو عبدالله بن الحسن المثقّى بن الحسن (ع)، كان

(١) سنن الترمذي، ص ٤٠١.

(٢) الإصابة (الحسن بن عليّ).

(٣) ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٤٨٣.

شيخ بني هاشم، وكانت فاطمة بنت الحسين (ع) أمه، قتل شهيداً في سجن المنصور، ومن أولاده محمد النفس الزكية وإبراهيم قتيل باخمرى وموسى الجون.

ثم إنَّ المحققين من علماء علم القيافة حكموا بالارتباط التام والتناسب الكامل بين الظاهر والباطن والخلق والخلق، فإنَّ الظاهر مجلى الباطن وعنوانه، والقائف يرى من الصورة وخصوصياتها جميع ما في الباطن من الصفات النفسانية والمقامات الروحانية، ولا ريب أنَّ رسول الله (ص) في الحدِّ الأكمل والمقام الأعلى من الإنسائية والروحانية وأنه لعلّ خلق عظيم. فمن كان يشبهه في الصورة يقطع فيه بالشباهة المعنوية في الصفات الباطنية، فتكون شمائل الإمام تماثلاً لإنسان كامل وصورة لأعلى مرتبة البشرية ومرآة لخلق عظيم وروحانية تامة عالية.

١٢- وقد كان رسول الله (ص) أحسن الناس وأجمل قريش، وكان ريحانته الحسن بن عليّ يشبهه^(١).

١٣- كان الحسن بن عليّ (ع) أبيض مُشرباً حمرةً أدعج العينين سهل الخدين دقيق المسربة كث اللحية ذا وفرة وكان عنقه إبريق فضة عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين ربعة ليس بالطويل ولا القصير مليحاً من أحسن الناس وجهاً وكان يخضب بالسواد وكان جعد الشعر حسن البدن^(٢).

أقول: أشرب الثوب حمرةً أي مزجها وذاك مُشرب بصيغة المفعول. والدّعج سواد العين مع سعتها. سهل الوجه: قليل لحمه. المسربة بالفتح وضمّ الراء: الشعر وسط الصدر إلى البطن، الكردوسة بالضمّ: كلّ عظيمين التقيا في مفصل. الربع بالفتح والربعة: الوسيط القامة. الجعد بالفتح: الشعر المتقبّض خلاف المسترسل.

وهذه الخصوصيات والعلام الظاهرة من جهة قوانين فنّ القيافة تكشف عن

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٩٨.

(٢) كشف الغمّة، ص ١٥٧.

عظمة روحه وطهارة نفسه وجلالة مقامه وعلو منزلته ودقّة تدبيره وتفكيره وحسن خلقه وسريته وصفاء سيرته وخلوص نيّته، سلام الله وصلواته عليه وعلى جدّه وأبيه وأُمّه صلوات دائمة.

٨ - أهل البيت (ع) والإمام (ع)

١- عن جابر، قال: رأيت رسول الله (ص) في حجّته يوم عرفة، وهو على ناقته القصوى، يخطب فسمعته يقول: أيُّها النَّاسُ! إنِّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ثمَّ يروي بأسنادٍ آخر قريباً منها^(١).

٢- وفيه (ص ٥٤١) عن زيد بن أرقم، قال رسول الله (ص): إنِّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلُّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

٣- من خطبة نقلها عن رسول الله (ص): فإنِّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا: كتاب الله وأهل بيتي، ألا هل بلّغت^(٢)!

٤- عن أمّ سلمة، إنّ النبيّ (ص) جلّ علبيّاً وحسناً وحسيناً وفاطمة كساءً، وقال: اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، اللَّهُمَّ أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً^(٣).

أقول: يستفاد من هذه الأحاديث أنّهم قرين كتاب الله ولا يمكن أن يتفرّقا، ولن يضلّ أحد يتمسك بهما ويأخذ عنهما، نعم إنّ الله تعالى أذهب عنهم الرّجس (وهو

(١) الترمذي، ص ٥٤١.

(٢) عقد الفريد، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٧.

خسيسة نفسانيّة توجب الخطاء والعصيان والخلاف) وطهّرهم تطهيراً، فمن أطاعهم وأتبع سبيلهم فقد أطاع كتاب الله وأتبع سبيل الحقّ.

٥- قال أمير المؤمنين (ع): هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون... إلخ^(١).

٦- وفيه (ص ٣٠): لا يقاس بآل محمّد (ص) من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدّين وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة، الآن رجع الحقّ إلى أهله ونُقل إلى مُنتقله.

٧- في ذيل الخطبة: نقول: إنّه كان أولى بالأمر وأحقّ، لا على وجه النصّ، بل على وجه الأفضليّة، فإنّه أفضل البشر بعد رسول الله وأحقّ بالخلافة من جميع المسلمين، لكنّه ترك حقّه لما علمه من المصلحة، وما تفرّس فيه هو والمسلمون من اضطراب الإسلام وانتشار الكلمة^(٢).

أقول: وليعجب المتعجب من هذا الكلام، فإنّه مع اعترافه بأنّ عليّاً (ع) كان أفضل البشر، يقول: لكنّه ترك الحقّ! غفلةً منه عن شكواه في كثير من كلماته، وعن خلافه جريان الحكومة وإبائه عن البيعة، وكيف يكون ترك الحقّ صلاحاً! وهل يمكن أن يكون خلافة المفضول حقّاً وصحيحاً مع وجود من هو أحقّ وأولى بها!

٨- عن زيد بن يثيع، قال: سمعت أبا بكر الصّدّيق، قال: رأيت رسول الله (ص) خيم خيمة وهو يتكئ على قوس عربيّة، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: معشر المسلمين! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة وحرب لمن حاربهم، وليّ لمن والاهم، لا يحبّهم إلّا سعيد الجدّ طيّب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقيّ

(١) نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٦٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٤٦.

الجدّ رديء الولادة^(١).

٩- علم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ، وبذلك صرح البيهقي والبعوي، بل نصّ عليه الشافعي فيما حكى عنه من قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

أي كاملة، أو صحيحة على قول مرجوح لإمامنا الشافعي^(٢).

١٠- ومن خطب الحسن رضي الله عنه في أيامه في بعض مقامه إنّه قال: نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله (ص) الأقربون، وأهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله (ص)، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول عليه في كل شيء^(٣).

١١- ويروى أيضاً: وقد كان عليّ رضي الله عنه وكرّم الله وجهه اعتلّ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصليّ بالناس يوم الجمعة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله لم يبعث نبياً إلّا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً، فوالذي بعث محمداً بالحقّ لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلّا نقصه الله من عمله مثله، ولا يكون علينا دولة إلّا وتكون لنا العاقبة، ولتعلمنّ نبأه بعد حين.

أقول: يستفاد من هذه الأحاديث أمور:

١- قال رسول الله (ص) في حقهم: إن أخذتم به لن تضلّوا. فيجب على الأمة الإسلامية اتّباعهم والأخذ منهم لئلا يضلّوا ولا يعدلوا عن صراط الحقّ.

(١) مقتل الخوارزمي، ج ١، ص ٤.

(٢) نور الأبصار، ص ١٠٤.

(٣) المروج، ج ٢، ص ٥٣.

٢- إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي: التمسك هو الإلتزام والأخذ الشديد المستمرّ. فيجب على المسلمين بعد رحلة رسول الله (ص) أن يتمسكوا بهم ويتعبّدوا بأقوالهم ويتبعوا آثارهم ولا يأخذوا عن غيرهم إذا خالفوا.

٣- لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ: فمن يتمسك بالقرآن وحده بدون العترة فهو في الضلال البعيد. فالعترة يفسّرون القرآن بأقوالهم وأعمالهم، وهم في الحقيقة القرآن الناطق وحجج الله تعالى في أرضه على خلقه.

٤- فانظروا كيف تخلفوني فيهما: نعم، قد خلفوا في أهل بيت رسول الله بإحراق بيّتهم وطعنهم وشتيمهم وبغضهم وحرّيمهم وقتلهم وأسرههم ولعنهم وأذيمهم، ولو أنّ رسول الله (ص) أوصاهم بالبغض والطعن ما زادوا على ذلك.

٥- اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي: وقد صرّح بهم وعيّنهم وخصّهم بالذكر لثلاثا ببقى' اشتباه بعده.

٦- اللَّهُمَّ أذهب عنهم الرّجس وطهرهم: دعا لهم وكشف عن حالهم ومقامهم وخصّهم بالطهارة والنزاهة، لثلاثا يقول فيهم قائل ولا يتردّد في شأنهم شائئاً.

٧- قال في النهج: لا يقاس بآل محمّد (ص) من هذه الأمتة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدّين وعماد اليقين.

٨- قال رسول الله (ص): أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة وحرب لمن حاربهم، لا يبغضهم إلا شقيّ.

كفاية الطالب (ص ١٢) بعد رواية حديث الثقلين عن زيد بن أرقم، وبعد نقله قول زيد إنّ أهل بيته من حرّم الصدقة عليه بعده، يقول: قلت إنّ تفسير زيد أهل البيت غير مرضي. فإنّ حرمان الصدقة يعمّ زمان حياة الرسول وبعده، ولأنّ الذين حرّموا الصدقة لا ينحصر في المذكورين فإنّ بني المطّلب يشاركونهم في الحرمان، ولأنّ آل الرجل غيره على الصحيح، فعلى قول زيد يخرج أمير المؤمنين (ع) عن أن يكون من

أهل البيت. بل الصحيح أنّ أهل البيت عليّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام، كما رواه مسلم بإسناده عن عايشة أنّ رسول الله (ص) خرج ذات غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وهذا دليل على أنّ أهل البيت هم الذين ناداهم الله بقوله أهل البيت وأدخلهم رسول الله (ص) في المرط. وأيضاً روى مسلم بإسناده أنّه لما نزلت آية المباهلة دعا رسول الله (ص) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أهلي.

أقول: آية المباهلة بقريئة التنزيل والتطبيق من جانب رسول الله (ص) وكذا آية التطهير تدلّان على أنّ المراد من أهل البيت هو: عليّ والحسنان وأمّهما (ع). وهذا التطبيق ممّا اجتمعت عليه الأُمَّة ولم يختلف فيه أحد من المسلمين. فالآيتان الكريمتان تكشفان عن كونهم أحبّ الخلق وأقربهم إلى الله وإلى الرسول. والتعبير بصيغة الجمع في آية المباهلة باعتبار الطرفين المتباهلين. ويأتي في الباب الآتي مزيد توضيح.

٩ - الإمام (ع) وآية التطهير

١ - بإسناده عن عايشة، قالت: خرج النبي (ص) غداة وعليه مرط مُرَحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

٢ - عن شهر بن حوشب، قال: أتيت أمّ سلمة أعزّيتها على الحسن بن عليّ رضي الله عنه، فقالت: دخل رسول الله (ص) فجلس على منامة لنا فجاءته فاطمة بشيء فوضعتة، فقال: ادعي لي حسناً وحسيناً وابن عمك عليّاً، فلما اجتمعوا عنده، قال: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ حَامَتِي وَأَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً^(٢).

٣ - عن عطاء بن يسار، عن أمّ سلمة، إنّها قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال: فأرسل رسول الله (ص) إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي. قالت: قلت: يا رسول الله! فما أنا من أهل البيت؟ قال: بلى! إن شاء الله^(٣).

أقول: تصديقه كونها من أهل البيت على تقدير صحّة هذا الجزء الأخير، لا بدّ أن يحمل على معناه العامّ العرفي، لئلا يكون هذا الجزء منافياً صدر الرواية والروايات الأخر.

(١) صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٣٠.

(٢) أخبار اصهبان، ج ١، ص ١٠٨.

(٣) أخبار اصهبان، ج ٢، ص ٢٥٣.

راجع كتابنا: الحقائق في تاريخ الإسلام.

٤- عن أم سلمة: إن النبي (ص) جلّ علياً وحسناً وحسيناً وفاطمة كساءً، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(١).

٥- عن واثلة: إن رسول الله (ص) جاء ومعه عليّ وحسن وحسين، أخذ كل واحد منها بيده حتى دخل، فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لفّ عليهم ثوبه - أو قال كساءه - ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي^(٢).

٦- وعن أم سلمة: إن رسول الله (ص) كان في بيتها، إذ جاءت فاطمة بمرمة (قدر من حجر) فيها خريرة (طعام من اللحم والدقيق) فدخلت عليه بها، فقال: ادعي زوجك وابنيك، فجاء عليّ وحسن وحسين، فدخلوا عليه فجعلوا يأكلون من تلك الخريرة وتحت كساء، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت: فأدخلت رأسي من البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ فقال: إنك إلى خير. وقوله وحامتي بالتشديد أي خاصتي.

٧- وعن أبي سعيد، قال رسول الله (ص): أنزلت هذه الآية في خمسة، فيّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ الآية. أقول: ينبغي أن يتوجه إلى أمور:

(١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٢) شرح المواهب اللدنية، ج ٧.

١- المرط: بالكسر كلّ ثوب غير مخيط أو كساء من صوف ونحوه. والمرحل: الثوب المنقش الملوّن. جلّله: غطّاه.

٢- يستكشف من هذه الروايات أنّ واقعة آية التطهير إنّما وقعت في موارد مختلفة: منها كما في حديث (١) عن عائشة إذ خرج النبيّ (ص) غداً وعليه مرط، ومنها كما في حديث (٢-٣-٤-٦) عن أمّ سلمة إذ جاءت فاطمة بشيء، ومنها كما في حديث (٥) عن وائلة أنّها (ص) جاء ومعه عليّ.

٣- إنّ عائشة وأمّ سلمة كانتا من أزواج رسول الله (ص)، وأمّا وائلة: فهو وائلة ابن الأسقع بن عبدالعزّي، أسلم والنبيّ (ص) يتجهّز إلى تبوك، وأنّه خدم النبيّ (ص) ثلاث سنين، وتوفيّ بدمشق وهو ابن مائة سنة.

٤- وأمّا الرّجس والتطهير عنه: فليس المراد منه ما يتعلّق بالعمل وما يختاره الانسان بسوء اختياره ولا ما يعتقده الانسان بضعف نيّته وانحراف فكره، بل ما يكون مبدأً لسيّئات الأعمال ومنشأً لردائل الأخلاق والأفكار، وهو الخبث والرّجس النفساني والكدورة والظلمة الروحانيّة، فبتطهير النفس عنها يحصل لها النور والصفاء، والعصمة من الزلل والخطاء، والطهارة من الأدناس والأرجاس، فالمراد مطلق الرّجس المتحصّل في النفس، وبتطهيره تحصل النورانيّة والروحانيّة المطلقة الكليّة.

٥- أللّهم اذهب عنهم الرّجس: هذا دعاء من رسول الله (ص) في خصوص أهل الكساء لا غيرهم، وقد استجيب دعاؤه في حقّهم، ونزلت الآية الكريمة في هذا المورد الخاصّ بموجب هذه الروايات وغيرها. وأمّا ارتباط الآية والبحث عمّا قبلها وما بعدها فهو بحث آخر.

٦- ولا يخفى أنّ المراد من كلمة (يريد الله) إرادة الله التكوينيّة لا التشريعيّة، فإنّ الإرادة التشريعيّة في جعل الأحكام والدعوة إلى الطاعة، وهي عامّة لجميع المكلفين

ولا اختصاص لها بأهل البيت (ع)، ثم إنَّ الإرادة التكوينية لا تتخلف عن المراد، وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن، فيكون.

٧- والمراد من إذهب الرّجس (ليذهب): هو الدفع والحفظ والصيانة والعصمة، بإفاضة النور الإلهي والروحانية الكاملة.

١٠ - المودّة في القُربى

١- وألزم مودّة قريبه كافة برّيته وفرض محبة جملة أهل بيته المعظم وذريّته، فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. ويروي ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس: إنّها لما نزلت، قالوا: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما^(١).

٢- روي أنّه لما نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: عليّ وفاطمة وابناهما^(٢).

٣- وحكى الإمام أبو بكر البيهقي في كتابه الذي صنّفه في مناقب الإمام الشافعي: إنّ الإمام الشافعي قيل له: إنّ أناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت، فإذا رأوا أحداً يذكر شيئاً من ذلك، قالوا: تجاوزوا عن هذا فهو رافضيّ! فأنشأ الشافعيّ يقول:

إذا في مجلس نذكر عليّاً وسبطيه وفاطمة الزكيّة
يقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضيّة
برئت إلى المهيمن من أناس يرون الرفض حبّ الفاطميّة^(٣)

أقول: القُربى مصدر يعني القرابة، ويراد به الأقربون وذوو القُربى، وهذا الاستعمال للمبالغة في قرابتهم، والمراد الأقربون من أرحام رسول الله (ص)،

(١) شرح المواهب اللدنيّة، ج ٧.

(٢) مقتل الخوارزمي، ج ١، ص ١.

(٣) نور الأبصار، ص ١٠٤.

وقد تعيّن وتشخّص أسماؤهم وذكر أشخاصهم في هذه الروايات وفي الأبواب السابقة، وبهذه الآية الكريمة أشير إلى خلاف الأُمَّة ونفاقهم وعدوانهم وبغضهم أهل البيت.

يقول الشافعيّ:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

ويقول العلامة السيّد بحر العلوم في تشطيره:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم حبّ الرسول ومن بالحقّ أرسله
أجر الرّسالة عند الله ودّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم قد أكمل الدّين فيكم يوم أكمله
وإنكم بشهادات الصلوة لكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

ثمّ إنّ المودّة قد جعلت في الآية أجراً للرسالة، ولما كان أمر الرسالة من أعظم الأمور في الدّين وأهمّ الموضوعات بعد التوحيد فيكون أجراً أيضاً مهمّة ومفروضة بحيث يكون التسامح فيها موجباً للتسامح والتقصير في موضوع الرسالة، ومن لم يؤدّ حقّ أمر الرسالة ولم يعمل بما تقتضيه: فهو مقصّر وظالم حقّ رسول الله (ص) ومخالف في أساس الدّين. ومن يعص الله ورسوله ويتعدّد حدوده يدخله ناراً.

١١ - لِيَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

١- عن ابن عمر: قال رسول الله (ص): الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما^(١).

٢- الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة^(٢).

٣- عن أبي سعيد: قال رسول الله (ص): الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة وفاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران^(٣).

٤- ويروي أيضاً عن أبي هريرة: أبطأ علينا رسول الله (ص) يوماً صبور النهار، فلما كان العشيّ قال له قائلنا: يا رسول الله! قد شقّ علينا لم نرك اليوم، قال: إنّ ملكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن الله في زيارتي فأخبرني وبشّرني إنّ فاطمة بنتي سيِّدة نساء أمّتي وإنّ حسناً وحسيناً سيِّدا شباب أهل الجنة.

ويروي أيضاً (ص ٢٦) كما في الترمذي.

٥- عن جابر، قال رسول الله (ص): من سرّه أن ينظر إلى سيِّد شباب أهل الجنة فليُنظر إلى الحسن بن عليّ. وقد رواه وكيع بإسناده عنه مثله. وجاء من حديث عليّ وأبي سعيد وبريدة أنّ رسول الله (ص) قال: الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما^(٤).

(١) ابن ماجه، ج ١، ص ٥٦.

(٢) سنن الترمذي، ص ٥٣٩.

(٣) خصائص النسائي، ص ٢٤.

(٤) البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٥.

٦- ومن حديث حذيفة رفعه: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة. وله طرق أيضاً^(١).

٧- وروي عن النبيّ (ص) من وجوه إنّه قال في الحسن والحسين: إنيها سيّدا شباب أهل الجنة^(٢).

٨- لما تنازع عليّ واليهوديّ في درع له رآه في يد اليهوديّ، وأتيا إلى شريح، قال: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قنبر والحسن يشهدان الدرع درعي. فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب. فقال عليّ: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته! سمعت رسول الله (ص) يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة^(٣).

أقول: حقيقة الشباب الظهور التامّ للقوى البدنيّة وبلوغ كلّ شخص إلى حدّ كماله من جهة الأعضاء والجوارح وقواها وكون المزاج في الحدّ البالغ والمعتدل، ويقابله الشيب وهو ظهور الضعف والخروج عن الاعتدال والإنكسار في المزاج وفي قواه. ثمّ إنّ أهل الجنة كلّهم شبّان وفي صورة الشباب، فإنّ الجنة لا يدخلها إلاّ من كان بالغاً معتدلاً كاملاً لا ضعف فيه ولا انكسار ولا نقص ولا انحراف من جهة الظاهر والباطن.

نعم، يمكن أن تكون فيها عدّة من ضعفاء المؤمنين الذين يدخلون الجنة ويسكنون في الطبقات السافلة منها، وهؤلاء في صورة الشباب.

وعلى أيّ حال: إنّ الحسن والحسين (ع) سيّدا شباب أهل الجنة، بمعنى أنّهما سيّدا الكاملين والبالغين من أهل الجنة، وهذه فضيلة تعلق الفضائل كلّها، وهي موهبة إلهية يعطي من يشاء من عباده المخلصين وأوليائه المنتخبين.

والشباب بالفتح مصدر شبّ يشب. وأيضاً جمع الشبّ والشابّ.

(١) الإصابة (الحسن بن عليّ).

(٢) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٩١.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ٧١.

١٢ - وهو حامل الحسن والحسين (ع)

١- عن ابن عباس: كان رسول الله (ص) حاملَ الحسن بن عليّ على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبيّ (ص): نعم الراكب هو^(١).

٢- عن شدّاد بن الهاد، قال: خرج علينا رسول الله (ص) في إحدى صلاتي النهار الظهر والعصر، وهو حامل الحسن أو الحسين، فتقدّم فوضعه عند قدمه اليمنى وسجد رسول الله (ص) سجدة أطالها، فرفعت رأسي بين الناس فإذا رسول الله (ص) ساجد وإذا الغلام راكب ظهره، فقعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله (ص) قال ناس: يا رسول الله! لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ فقال: كلّ لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتّى يقضي حاجته^(٢).

٣- عن زرّ بن حُبَيْش، قال: كان رسول الله (ص) ذات يوم يصليّ بالناس، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما وهما غلامان فجعلا يتوثبان على ظهره إذا سجد، فأقبل الناس عليهما ينحيانهما عن ذلك، قال: دعوهما بأبي وأمّي من أحبّني فليحبّ هذين^(٣).

٤- عن أبي بكر: كان رسول الله (ص) يصليّ بالناس وكان الحسن بن عليّ رضي الله عنه يشب على ظهره إذا سجد، ففعل ذلك غير مرّة، فقالوا له: والله إنك لتفعل بهذا

(١) سنن الترمذي، ص ٥٤١.

(٢) مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ٦٢٦.

(٣) سنن البيهقي، ج ٢، ص ٢٦٣.

شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد؟ قال: إنَّ ابني هذا سيِّدٌ وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين^(١).

٥ - بإسناده عن أياس، عن أبيه، قال: لقد قُدتُ بنبيِّ الله (ص) والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبيِّ (ص) هذا قدامه وهذا خلفه^(٢).

أقول: قاد الدابة أي مشى أمامها آخذاً بقيادها. والشهباء: التي غلب بياضها، وهي اسم بغلة كانت لرسول الله (ص).

وفي هذه الروايات إشارات لطيفة:

١ - نعم الراكب هو.

٢ - وهو حامل الحسن أو الحسين.

٣ - ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله.

٤ - دعوهما بأبي وأمي.

٥ - من أحببني فليحبب هذين.

٦ - إنَّ ابني هذا سيِّدٌ وسيصلح الله به.

فلازم لنا التوجُّه التام والدقة الخالصة والنظر الثاقب في هذه الجملات الصادرة عن رسول الله (ص) الذي هو من جانب الله العزيز ولا ينطق عن الهوى ولا يتكلم بفرض مادّي، وهو يعلم أن قوله وفعله ومنطقه حجّة للمسلمين، ولا يجوز له الإغراء والمبالغة والقول بغير حقّ، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولا يريد إلا ما أَراده الله ولا يحب إلا ما يحبّه الله ولا يقول إلا صدقاً وحقاً.

فهل يجوز لرسول الله (ص) نظير هذا المنطق وهذا العمل في حقّ من ليس له مقام إلهيٍّ ومرتبة طاهرة زاكية. الله نور السموات والأرض، يهدي الله لنوره من يشاء.

(١) مسند أحمد، ج ٥، ص ٤٤.

(٢) مسلم، ج ٧، ص ١٣٠.

١٣ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا

١- عن زيد، قال: فخرج النبي (ص) وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي، قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فإذا الحسن والحسين على وركيه، فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا وَأَحِبُّ مَنْ يَحِبُّهُمَا^(١).

٢- عن أسامة بن زيد: كما في الترمذي، وفيها: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا^(٢).

٣- عن أبي هريرة، قال: خرج إلينا رسول الله (ص) ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرّة حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله! إِنَّكَ تَحِبُّهُمَا؟ فقال: نعم، مَنْ أَحِبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجهما^(٣).

مسند أحمد (ج ٢، ص ٤٤٠) مثلها.

٤- وأخرج الحافظ والخطيب عن أبي هريرة أنّه قال: سمعت النبي (ص) يقول: مَنْ أَحَبَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي. وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيناى، وذلك إني رأيت رسول الله (ص) يدخل

(١) سنن الترمذي، ص ٥٣٩.

(٢) خصائص النسائي، ص ٢٦.

(٣) مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١٦٦.

فمه في فمه ثم يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبِّهِ وَأَحِبَّ مَنْ يَحِبُّهُ! يقولها ثلاث مرّات^(١).
 ٥- وكذا في الإصابة، قال رسول الله (ص): اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهَا فَأَحِبِّهَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهَا^(٢).

٦- بإسناده: قال رسول الله (ص): مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي^(٣).

قال السندي في ذيل الحديث: بيان ما بينهما وبينه (ص) من الاتحاد بسبب الجزئية والكلية فصار حبها حبه وبغضها بغضه، وهذا يدل على أنّ محبتهم فرض لا يتم الإيمان بدونها، ضرورة أنّ محبته كذلك.

٧- عن سلمان، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: الحسن والحسين ابناي من أحبها أحبني ومن أحبني أحبته الله ومن أحبته الله أدخله الجنة، ومن أبغضها أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله النار^(٤).

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٨- عن عليّ: إنّ رسول الله (ص) أخذ بيد الحسن والحسين، فقال: مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٥).

٩- شرح المواهب (ج ٧) يروي نظيرها. ثم يقول: رواه أحمد والترمذي كلاهما من حديث عليّ.

١٠- وعن أبي هريرة، خرج علينا رسول الله (ص) ومعه الحسن والحسين، هذا

(١) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٢) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٩١.

(٣) ابن ماجه، ج ١، ص ٦٤.

(٤) مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١٦٦.

(٥) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٧.

على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرّة، حتّى انتهى إلينا، فقال: مَنْ أَحَبَّهَا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي^(١).

١١- عن أنس: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): أَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ: ادْعِي لِي ابْنِي، فَيَشْمُمُهَا وَيَضْمُمُهَا إِلَيْهِ^(٢).

١٢- عن عروة، عن أبيه: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَبَّلَ حَسَنًا وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَشْمُمُهُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: إِنَّ لِي ابْنًا قَدْ بَلَغَ مَا قَبَّلْتَهُ قَطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ فَمَا ذَنْبِي^(٣).

١٣- كان رسول الله (ص) يقبّل الحسن، فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الأولاد فما قبّلت واحداً منهم، فقال النبي (ص): فما أصنع إن كان الله... الحديث^(٤).

أقول: في هذه الروايات لطائف دقيقة:

١- فإذا حسن وحسين على وركيه.

٢- هذان ابناي وابنا ابنتي.

٣- اللَّهُمَّ إِنِّي أَحَبُّهُمَا فَأَحَبَّهُمَا.

٤- وَأَحَبُّ مَنْ يَحِبُّهُمَا.

٥- هذا على عاتقه وهذا على عاتقه.

٦- وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرّة.

٧- مَنْ أَحَبَّهَا فَقَدْ أَحَبَّنِي.

(١) الإصابة (الحسن بن علي).

(٢) سنن الترمذي، ص ٥٤٠.

(٣) مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٧٠.

(٤) المحاضرات، ج ١، ص ٢٠٢.

- ٨ - وَمَنْ أَبْغَضَهَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي .
 ٩ - مَنْ أَحَبَّهَا أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّهُ اللَّهُ .
 ١٠ - وَمَنْ أَبْغَضَهَا أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضَنِي أَبْغَضَهُ اللَّهُ .
 ١١ - مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذِينَ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي .
 ١٢ - ادْعِي لِي ابْنِي فَيَشْتَمَّهَا وَيَضْمَمَّهَا إِلَيْهِ .

كفاية الطالب (ص ٢٦) بعد رواية الحديث (٨) بإسناده عن نصر بن عليّ الجهضمي، عن عليّ بن جعفر بن محمد، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن الحسين، عن جدّه يقول: أخبرت عن الشافعيّ بسند يطول ذكره إنّه قال: هذا سند لو قرئ على مصروع لأفاق، وقال الحاكم أصحّ أسانيد أهل البيت: جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه إذا كان الراوي عن جعفر ثقة، والراوي عنهم (ع) نصر بن عليّ الجهضميّ شيخ الأمين البخاري ومسلم وقع إلينا عالياً بحمد الله.

أقول: كان رسول الله (ص) يرى من أمته ما صنعوا في أهل بيته الأطهار من طردهم وظلمهم وعدوانهم وشتيمهم وقتلهم وأسرهم، نعم لو كان رسول الله (ص) أوصاهم بتلك الأعمال السيئة الحبيثة في حقّ آله ما صنعوا مثل ما صنعوا وما قدروا أن يفعلوا أزيد ممّا فعلوا.

فراجع كتب الحديث والتاريخ ترى تفصيل ما صنعوا في السقيفة، وفي أخذ فدك عن فاطمة وإحراق بيتها وسوق عليّ (ع) بعلها وابن عمّ رسول الله وأحد أهل الكساء إلى المسجد وإجباره للبيعة وسمّ الحسن المجتبيّ وقتل الحسين مظلوماً عطشاناً وأسر أهل بيته. وهذا نتيجة توصية رسول الله (ص) لهم.

١٤ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ

١- بإسناده: رأيت النبي (ص) والحسن بن عليّ على عاتقه، يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ^(١).

٢- بإسناده عن النبي (ص) إنه قال لحسن: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يَحِبُّهُ^(٢).

٣- ويروي في (ص ١٣٠) بإسناده عن النبي (ص): أنه أتى خباء فاطمة، فقال: أُنِّمَّ لَكَعَ أُنِّمَّ لَكَعَ؟ يعني حسناً، فظننا أنه إنما تحبسه أمّه لأن تغسله وتلبسه سنجاباً، فلم يلبث أن جاء يسعي حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال رسول الله (ص): اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يَحِبُّهُ. ويروي أيضاً نظير ما في البخاري.

ابن ماجة (ج ١، ص ٦٤) كما في مسلم (ج ٧، ص ١٢٩) وفيها قال: وضمّه إلى صدره.

سنن الترمذي (ص ٥٤١) كما في البخاري.

٤- عن زهير، قال: لما قتل عليّ، قام الحسن فيخطب الناس، فقام رجل من أزد شنوءة، فقال: أشهد لقد رأيت رسول الله (ص) واضعه على جبهته وهو يقول: مَنْ أَحَبَّنِي فَلِيحِبُّهُ وَلِيبَلِّغَ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ، ولولا كرامة رسول الله (ص) ما حدثت به

(١) البخاري، ج ٢، ص ١٨٨.

(٢) مسلم، ج ٧، ص ١٢٩.

أبداً^(١).

٥- أخرج المحافظ عن علي رضي الله عنه أنه قال: دخل علينا رسول الله (ص) فقال: أين لكع هيينا لكع، فخرج عليه الحسن وعليه سَنَحَابِ قَرْنَفَلٍ، وهو مادّ يده، فقال بيده، فالتزمه وقال: بأبي أنت وأمي، مَنْ أَحَبَّنِي فَلِيحِبِّ هَذَا^(٢).

قال المهذب: السنحَابِ خِيْطٌ نَظَمَ فِيهِ قَرْنَفَلٌ. ولِكَعٍ يَرَادُ بِهِ الصَّغِيرُ. ثُمَّ يَرُوي عَنْ زَهْرٍ كَمَا فِي الْمُسْتَدْرَكِ. وَفِيهَا: وَلَوْلَا عَزْمَةُ رَسُولِ اللَّهِ (ص).

٦- عن أبي هريرة، عن النبي (ص)، قال لحسن: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبِّ مَنْ يُحِبُّهُ^(٣).

أقول: الخبَاءُ بِالْكَسْرِ مَا يَعْمَلُ مِنَ الصَّوْفِ أَوْ الْوَبْرِ أَوْ الشَّعْرِ لِلسَّكْنِيِّ، وَالْمَرَادُ هُنَا الْبَيْتُ. وَاللَّكَعُ بِالضَّمِّ فَالْفَتْحُ: الْوَلَدُ الصَّغِيرُ. وَالشَّنُوْةُ عَلَى فِعْلَةٍ بِمَعْنَى التَّبَاعُدِ، وَازْدَادَ شَنُوْةُ قَبِيْلَةٍ مِنَ الْيَمَنِ، وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهِ شَنِيٌّ كَحَنَفِيٍّ، وَسَمَّوْا بِذَلِكَ لِشَنَانِ كَانُ بَيْنَهُمْ. وَالسَّنْحَابُ بِالْفَتْحِ قِلَادَةٌ تَتَّخَذُ مِنْ قَرْنَفَلٍ وَسُكِّ وَحَلْبٍ لَيْسَ فِيهَا مِنَ اللَّوْلُوِّ وَالْجَوْهَرِ شَيْءٌ تُلْبَسُهُ الصَّبِيَّانُ.

نعم، يكذب مَنْ يَقُولُ: إِنِّي أَحَبُّ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَهُوَ لَا يَحِبُّ أَهْلَهُ، وَيَكْذِبُ مَنْ يَدَّعِي طَاعَةَ الرَّسُولِ وَطَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ يَبْغِضُ بَلْ يَظْلِمُ فِي حَقِّ آلِهِ، وَيَكْذِبُ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مُسْلِمٌ وَهُوَ يَخَالِفُ قَوْلَ الرَّسُولِ (ص) وَتَوْصِيَتَهُ فِي أَهْلِهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحِبُّ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِكَ وَنَتَّبِعُ سَبِيلَهُمْ وَطَرِيقَتَهُمْ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَمْسِكُ بِهِمْ وَبِكِتَابِكَ كَمَا أَوْصَىٰ بِهِمَا رَسُولُكَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ وَأَبْغَضَهُمْ وَظَلَمَهُمْ وَأَنْكَرَهُمْ وَلَمْ يَتَّبِعْ هُدْيَهُمْ وَسَبِيلَهُمْ.

(١) مسند أحمد، ج ٥، ص ٣٦٦. ومستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٧٣.

(٢) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٠٣.

(٣) مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٤٩.

٧- وقال مصعب بن عمير: تذاكرنا مَنْ أشبه الناس بالنبِيِّ (ص) من أهله، فدخل علينا عبدالله بن الزُّبير، فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله، وأحبهم إليه الحسن ابن عليّ، رأيتُه (ص) وهو يصليّ فإذا سجد ركب الحسن على رقبتِه، أو قال على ظهره، فما يتركه حتّى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيتُه يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتّى يخرج من الجانب الآخر، وكان يقول فيه: إنّه ريجانتي من الدنيا، وإنّ ابني هذا سيّد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين، وقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبَهُ فَأَحْبَبَهُ وَأَحَبَّ مَنْ يَحِبُّهُ.

وقال عاصم بن كليب: قال أبي لابن عبّاس: إنّي والله قد رأيتُه في المنام فذكرت الحسن بن عليّ! فقال ابن عبّاس: إنّه كان يشبهه، وكان رسول الله (ص) يأخذ بيد الحسن والحسين ويقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبْتُهُمَا فَأَحْبَبْتُهُمَا^(١).

٨- عن أبي جحيفة، قال: رأيت النبيّ (ص) وكان الحسن بن عليّ يشبهه، وقال رسول الله (ص): إنّ ابني هذا سيّد، مَنْ أَحْبَبْتِي فليحبّ هذا في حجري^(٢).

٩- عن ابن أبي مليّة، قال: كانت فاطمة تنقر الحسن بن عليّ وتقول: بأبي شبه النبيّ ليس شبيهاً بعليّ^(٣).

أقول: نقرت الصبيّ أمّه: رقصته. وسيجيء في باب (١٧) و (١٨) روايات واردة في موضوع: ريجانة رسول الله (ص)، وإنّه سيّد يصلح الله به بين المسلمين.

١٠- عن أبي هريرة، قال: لا أزال أحبّ هذا الرجل بعدما رأيت رسول الله (ص) يصنع ما يصنع، رأيت الحسن في حجر النبيّ (ص) وهو يدخل أصابعه في لحية النبيّ (ص) والنبيّ (ص) يدخل لسانه في فمه، ثمّ قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبْتُهُ فَأَحْبَبْتُهُ^(٤).

(١) تهذيب ابن عساکر، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٢) أخبار اصبهان، ج ١، ص ٢٩١.

(٣) مسند أحمد، ج ٦، ص ٢٨٣.

(٤) مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١٦٩.

١١- عن أبي هريرة، قال: جاء الحسن (ع) فاشتدَّ حتَّى وثب في حبوته، فأدخل فيه في فمه، ثمَّ قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يَحِبُّهُ، ثلاثاً. قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني^(١).

حلية الأولياء (ج ٢، ص ٣٥) ما يقرب منها.

أقول: الاحتباء هو الاشتغال بالثوب وهو أن يضمَّ الانسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعها به مع ظهره ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب. والاسم الحبوة بالكسر والضم.

ويظهر من روايات الباب أمور:

١- استقرَّ الحسن بن عليّ (ع) على عاتق رسول الله (ص).

٢- اعتنق رسول الله (ص).

٣- ضمَّه إلى صدره.

٤- إنَّ رسول الله (ص) واضعه على حبوته.

٥- ركب الحسن (ع) على رقبة رسول الله (ص).

٦- يفرِّج له بين رجله حتَّى يخرج من الجانب الآخر.

٧- يدخل أصابعه في لحية النبيّ.

٨- إنَّ النبيّ (ص) يدخل لسانه في فمه.

٩- قال (ص): اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ.

١٠- وقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يَحِبُّهُ.

١١- وقال: مَنْ أَحَبَّنِي فَلِيحِبِّهِ وَلِيَبْلُغَ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ.

١٢- وقال: إنَّه ريجانتي من الدنيا.

(١) مسند أحمد، ج ٢، ص ٥٣٢.

١٣- وقال: إنَّ ابني هذا سيِّد.

١٤- إنَّه كان يشبهه.

١٥- وقال: عسى الله أن يصلح به بين فئتين.

فليرجع الناظرون إلى هذه الكلمات البالغة من رسول الله (ص) وإلى هذه الأعمال الخارقة والوصايا العجيبة منه! ولو أن واحداً منها صدر في حق فرد لكان واجباً على كل مسلم أن يحبّه ويعظّمه ويوقّره، وأن يخشع لديه ويطيع أمره ويجعله وسيلة للفوز عند الله تعالى.

فيا للأسف لهذه الأمة الظالمة الجاهلة - أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون - وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون - ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم - ويريكم آياته فأَيُّ آيات الله تنكرون - يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون.

١٥ - شدة حبّ النبيّ (ص) له (ع)

١- عن داود بن بلال، قال: كنّا عند النبيّ (ص) فجاء الحسن بن عليّ فجعل يتمرّغ عليه، فرفع مقدّم قبيصه فقبّل زبيبه^(١).

أقول: يقال تمرّغ في التراب أي تقلّب. وتمرّغ عليه أي تلبّث وتوقّف.

٢- وقد كان رسول الله (ص) يحبّه حبّاً شديداً حتّى كان يقبّل ذبيته وهو صغير، وربّما مصّ لسانه واعتنقه وداعبه وربّما صعد معه إلى المنبر^(٢).

٣- قال ابن عباس: كان النبيّ (ص) حاملاً الحسن، فقال له رجل: يا غلام! نعم المركب ركبت^(٣).

وروي أنّه (ص) قال - وقد امتطاه الحسن والحسين - : نعم المطيّ مطيكما ونعم الراكبان أنتم، وأبوكما خير منكما.

أقول: في اللسان: في الحديث: مَنْ وُقِيَ شَرُّ ذَبْذِبِهِ وَقَبِقْبِهِ فَقَدْ وُقِيَ، أي فرجه وبطنه. وفي رواية: مَنْ وُقِيَ شَرُّ ذَبْذِبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، يعني الذّكر. ثمّ قال في مادّة الزّبّ: والزّبّ بالضمّ: الذّكر بلغة أهل اليمن، وخصّ ابن دُرَيْد به ذكّر الانسان.

ثمّ إنّ هذا العمل من الوالد بالنسبة إلى الأولاد يكشف عن شدة المحبّة وكمال العلاقة لهم، وكذلك مصّ اللسان والاعتناق والمداعبة والحمل والامتطاء.

(١) الكنى للدولابي، ج ١، ص ٥١.

(٢) البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٥.

(٣) المحاضرات، ج ٢، ص ٢٨١.

٤- عن أبي هريرة: إنه لقي الحسن بن عليّ، فقال: رأيت رسول الله (ص) قبّل بطنك فاكشف الموضع الذي قبّل رسول الله (ص) حتّى أقبله، قال: وكشف له الحسن، فقبله^(١).

مسند أحمد (ج ٢، ص ٤٩٣) ما يقرب منها. وفيها: فقبل سرّته.

أقول: يمكن أن يكون المراد من الزبيبة والذبيبة بقريته هذه الرواية: السرّة. ويحتمل أن يكون الراوي قد اشتبه له.

ولازم للقارئ الكريم أن يتفكّر في هذه الجملات:

١- فجاء الحسن يتمرّغ عليه.

٢- فرفع مقدّم قيصه فقبل.

٣- كان يحبّه حبّاً شديداً.

٤- حتّى كان يقبل ذبيبتّه أو سرّته.

٥- وربّما مصّ لسانه.

٦- وربّما اعتنقه وداعبه.

٧- وربّما سعد معه إلى المنبر.

٨- كان حاملاً له ويقول نعم المركب ركبت.

٩- يقول نعم المطيّ مطيكا.

١٠- يقول نعم الراكبان أنتما.

نعم، هذا رسول الله الذي لا يلهو ولا يعمل لغواً ولا يحبّ عبثاً ولا يقول باطلاً ولا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى علّمه شديد القوى، ونرى أنّه يصنع بهذه الأفاعيل التي تصدر مثلها من محبّ غالٍ بل من عاشقٍ مفرط، فليحكم الحاكمون وليقض القاضون فيها بما يشاؤون.

(١) مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٦٨.

١٦ - مَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى رَسُولَ اللَّهِ (ص)

١- عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ (ص) فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَبَالَ، فَقَالَ: ابْنِي ابْنِي لَا تَقْطَعُوا بَوْلَهُ، فَتَرَكَهُ حَتَّى قَضَى بَوْلَهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَى بَوْلِهِ^(١).

٢- ويحك يا أنس! دع ابني وثمره فؤادي فإنَّ مَنْ آذَى هَذَا فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ. أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَنَسٍ. سَبَبُهُ: بَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (ص) رَاقِدٌ عَلَى قَفَاهُ إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ يَدْرَجُ حَتَّى قَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ بَالَ عَلَيْهِ فَجَثَّتْ أَمِيطُهُ عَنْهُ، قَالَ: مَنْ ... إلخ^(٢).

أقول: درج الصبي أو الشيخ أي مشى. أماطه: أزاله وأبعده. ثم إنَّ هذه الرواية وما يقرب منها تدلُّ مضافاً إلى شدة محبة رسول الله (ص) عليه، على مقام روحانيته العليا ومرتبة ولايته الكبرى وقربه من الله تعالى ورسوله، بحيث يكون حبه حباً لله ولرسوله وإبداؤه إيذاءً لله ولرسوله.

ونعم ما يقول السيد الحميري:

تَعَسَّأَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ خَالَفَتْ	أَضَلَّهَا شَيْطَانُهَا الْأَكْوَعُ
وَأَظْهَرُوا غَدْرًا لِمَوْلَاهُمْ	وَضَيَّعُوا مَا قَالَ وَاسْتَبَدَّعُوا
وَقَطَّعُوا أَرْحَامَهُ بَعْدَهُ	فَسَوْفَ يُجْزَوْنَ بِمَا قَطَّعُوا

(١) الكنى للدولابي، ج ١، ص ٥١.

(٢) البيان والتعريف، ج ٢، ص ٢٦٥.

حتى إذا واروه في قبره وانصرفوا عن دفنه ضيِّعوا
ما قال بالأمس وأوصى به واشتروا الضرَّ بما ينفع

٣- بإسناده عن زيد بن أرقم: قال رسول الله (ص) لعلِّي وفاطمة والحسن
والحسين: أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم^(١).

سنن الترمذي (ص ٥٥٠) مثلها.

٤- قال أحمد بإسناده عن أبي هريرة: نظر رسول الله (ص) إلى عليّ وحسن
وحسين وفاطمة، فقال: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم^(٢).

وقد رواه النسائي من حديث أبي نعيم.

تهذيب ابن عساکر (ج ٤، ص ٢٠٨) كما في البداية، وفيها: لمن حاربكم وسلم لمن
سالمكم. وفي رواية: لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم.

أقول: في هذه الروايات الشريفة جملات:

١- ابني ابني لا تقطعوا بوله.

٢- ويحك يا أنس دع ابني وثمره فؤادي.

٣- فإن من آذى هذا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله.

٤- أنا سلم لمن سالمتم.

٥- حرب لمن حاربتم.

٦- سلم لمن سالمكم.

٧- حرب لمن حاربكم.

فويلاً للأمة المحاربة لهم الذين يؤذون الله ورسوله.

(١) ابن ماجة، ج ١، ص ٦٥.

(٢) البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٦.

١٧ - إنه ريحانة رسول الله (ص)

- ١- بإسناده، قال عبدالله بن عمر: أهل العراق يسألون عن الذباب (يقتله المحرم) وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله (ص)، وقال النبي (ص): هما ريحانتاي من الدنيا^(١).
 - ٢- إن رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب؟ فقال ابن عمر: انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله (ص) وسمعت رسول الله (ص) يقول: إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا^(٢).
خصائص النسائي (ص ٢٦) قريباً من الترمذي.
 - ٣- ويروى أيضاً عن أنس، قال: دخلت على رسول الله (ص) والحسن والحسين ينقلبان على بطنه، ويقول: ريحانتاي من هذه الأمة.
 - ٤- وفي حديث أبي بكرة في ذلك: وإنه ريحانتاي من الدنيا، ولا أسود ممن سمّاه رسول الله (ص) سيّداً^(٣).
- أقول: الرّيحانة والرّيحان كلّ نبات طيّب الرائحة، من راح يراح الشيء وجد رائحته، على صيغة عطشان. وهذا التعبير إشارة إلى نهاية الحبّ بحيث يتلذذ بلقائه ويتطيّب بنسبات وجوده ويتعطر بروائح جمال ذاته.
- ثمّ إنّ هذه الكلمة مأخوذة من آية سورة الواقعة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ ويشير إليها بقوله: من الدنيا. فهو ريحانة رسول الله (ص) في الدنيا في قبال ریحان الجنة في الجنة للمقرّبين.

(١) البخاري، ج ٢، ص ١٨٨.

(٢) سنن الترمذي، ص ٥٣٩.

(٣) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٥.

١٨ - الأحاديث في الصلح

- ١ - بإسناده: سمعت النبي (ص) على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول: ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين^(١).
- وفي (ج ٤، ص ١٤١) بإسناده قريب منها. وكذا في مسند أحمد (ج ٥، ص ٣٨).
- ٢ - عن أبي بكرة يقول: لقد رأيت رسول الله (ص) على المنبر والحسن معه وهو يقبل على الناس مرة... كما في البخاري^(٢).
- سنن أبي داود (ج ٢، ص ٢٨٥) قريب من البخاري.
- ٣ - سعد رسول الله (ص) المنبر، فقال: إنّ ابني هذا سيّد يصلح الله على يديه بين فئتين^(٣).
- ٤ - عن أنس، قال: لم يكن في أهل بيت النبي (ص) أحد أشبه به من الحسن عليه السلام، وكان قال له رسول الله (ص): ابني هذا سيّد لعلّ الله جلّ وعزّ أن يصلح به بين فئتين من المسلمين، وكان بينه وبين أخيه الحسين عليه السلام طهر واحد، وكان أسخى أهل زمانه^(٤).
- ٥ - مستدرک الحاكم (ج ٣، ص ١٧٥) يروي المضمون السابق بأسناد مختلفة،

(١) البخاري، ج ٢، ص ١٨٨.

(٢) سنن النسائي، ج ٣، ص ١٠٧.

(٣) سنن الترمذي، ص ٥٤٠.

(٤) المحاسن للبيهقي، ص ٥٥.

وفيها: بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

٦- وتواترت الآثار الصحاح عن النبيّ (ص) أنّه قال: إنّ ابني هذا سيّد وعسى الله أن يبقيه حتّى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(١).

رواه جماعة من الصحابة، وفي حديث أبي بكرة في ذلك: وإنّه ربحاني في الدنيا.

٧- إنّ ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين - وقد رواه البخاري أيضاً في فضل الحسن - وفي كتاب الفتن عن عليّ بن المديني، عن سفيان بن عيينة، عن أبي موسى، ورواه أبو داود والترمذي من حديث أشعث، وأبو داود أيضاً والنسائي من حديث عليّ بن زيد، كلّهم عن الحسن البصري عن أبي بكرة، وقال الترمذي: صحيح، وله طرق عن الحسن مرسلًا، وعن الحسن وعن أمّ سلمة به، وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبيّ (ص) سواءً^(٢).

٨ - قال النبيّ (ص): إنّ هذا سيّد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين، قال: فلما ولي لم يهرق في ولايته محجمة دم. وأخرجه إسماعيل الخطيبي من طريق حماد بن زيد عن عليّ بن زيد وهشام عن الحسن نحوه. قال: فنظر إليهم أمثال الجبال في الحديد، فقال: اضرب هؤلاء بعضهم ببعض في ملك من ملك الدنيا لا حاجة لي به^(٣)!

أقول: في هذه الأحاديث لطائف نشير إليها:

١ - ينظر إلى الناس مرّة وإليه مرّة، يقبل على الناس مرّة وعليه مرّة، يدلّ على أنّ توجّهه وإقباله إليه بمقدار توجّهه إلى جميع الناس.

٢ - النبيّ (ص) على المنبر والحسن إلى جنبه، على المنبر والحسن معه: يدلّ على

(١) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٤.

(٢) البداية والنهاية، ج ٨، ص ٩.

(٣) الإصابة (الحسن بن عليّ).

كمال محبته وعلاقته له بحيث كان يصعد المنبر وهو معه، مع كون هذا العمل خلاف المتعارف.

٣- إِبْنِي هَذَا سَيِّدٌ: إطلاق كلمة السَيِّد يدلّ على مطلق سيادته فهو سيّد شباب أهل الجنّة، وسيّد المسلمين، وسيّد المؤمنين، وسيّد المتّقين، والسَيِّد في الدنيا والآخرة. ويقول القسطلاني في شرح حديث البخاري: إنّ كلمة السَيِّد صفة جامعة لجميع صفات الكمال.

هذه المقدمات الثلاث تثبت أولويّته وولايته وأحقّيته وكونه في مقام أقرب الناس من رسول الله (ص).

٤- ولعلّ الله، وعسى الله أن يصلح: التعبير بهذه الكلمات إشارة إلى مطلوبيّته وأنّ الصلح صلاح الأُمَّة وخير لهم، وكأنّ رسول الله (ص) استدعاه ويطلب من الله وقوعه وتحقّقه بيده.

٥- أن يصلح بين فئتين من المسلمين: تنكير الفئة إشارة إلى أنّ المسلمين ينقسمون ويتشعبون إلى فئتين، ويتجهّزون للمقابلة والمحاربة، وسيكون هذا الجريان في موقعيّة إن اشتدّت نيران الحرب فيها يهلك أكثر المسلمين ويفنى أهل الحقّ أجمعون ويغلب الباطل على الحقّ.

وليعلم أنّ أكثر أصحاب الإمام كانوا قد بايعوه للدنيا وللتعصّب ولخلاف حكومة معاوية وللفتح والغنيمة ولجبر ما كان في صفّين ولدفع أذى أيادي حكومة بني أميّة وغيرها، ولم يكونوا عارفين بمقامه ومرتبته العُليا ولم يكن بيعتهم للولاية الإلهيّة والإمامة الحقيقيّة ولكونه خليفة الله وخليفة رسوله، وأنّه مفروض طاعته ولازم اتّباعه والتمسّك به.

كيف ولم يكن أكثر أصحاب أبيه أمير المؤمنين كذلك، وكانوا نظروا إليه نظر عادي، ويروونه كأحد من الخلفاء والحكّام، وكانوا اشترطوا عليه العمل بسيرة السابقين.

فعند ذلك لم يكن لمحاربة الإمام كثيرة فائدة.
وسيجيء للمقام مزيد توضيح في أبواب الصلح وأسراره وخلاف أصحابه.

١٩ - الإمام (ع) وأيام الشورى

١- لما خاف عليّ بن أبي طالب عبدالرحمن بن عوف والزبير وسعداً أن يكونوا مع عثمان، لقي سعداً ومعه الحسن والحسين، فقال له: اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً، أسألك برحم ابني هذين من رسول الله (ص) وبرحم عمي حمزة منك أن لا تكون مع عبدالرحمن ظهيراً عليّ لعثمان، فإني أولى بما لا يدلي به عثمان^(١).

ابن الأثير (ج ٣، ص ٢٩) ما يقرب منها.

قال عمر: ولكني سأستخلف نفر الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، فأرسل إليهم فجمعهم وهم عليّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف، وكان طلحة غائباً... واحضروا معكم من شيوخ الأنصار وليس لهم من أمركم شيء، واحضروا معكم الحسن بن عليّ وعبدالله بن عباس فإنّ لهما قرابة وأرجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من أمركم شيء^(٢).

أقول: قد فصلنا البحث في هذا الموضوع في كتابنا الحقائق في تاريخ الاسلام والبدع والأحداث فراجعته حتى تطلع على أسرار هذه الشورى وكيفية البحوث والمذاكرات فيها.

(١) عقد الفريد، ج ٣، ص ٧٧.

(٢) الإمامة والسياسة، ص ٢٢.

٢٠ - البعث إلى عثمان

١ - فبلغ علياً أنّ عثمان يراد قتله، فقال: إنّما أردنا منه مروان، وأمّا قتل عثمان فلا، وقال للحسن وللحسين: إذهبا بسيفكما حتى تقربا على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه بمكروه، وبعث الزبير ولده، وبعث طلحة ولده على كره منه، ورمى الناس عثمان بالسهم حتى خضب الحسن بن عليّ بالدماء على بابه، وأصاب مروان سهم في الدار، وخضب محمد بن طلحة، وشجّ قنبر مولى عليّ، وخشي محمد بن أبي بكر أن تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها، فأخذ بيد رجلين فقال لهما^(١).

الإمامة والسياسة (ص ٣٦ - ٣٨)، تاريخ الخلفاء (ص ٦٢)، يقرب منها.

٢ - فدخل الحسن والحسين ومن كان معها فوجدوا عثمان مذبحاً، فأكبوا عليه ليكون، وبلغ الخبر عليّاً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة، فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا، وقال عليّ لإبنه: كيف قتل أمير المؤمنين وأتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسين وضرب صدر الحسن وشم محمد بن طلحة ولعن عبدالله بن الزبير، ثمّ خرج عليّ وهو غضبان يرى أنّ طلحة أعان عليه، فلقيه طلحة، فقال: ما لك يا أبا الحسن؟ ضربت الحسن والحسين... لو دفع مروان لم يقتل^(٢).

المروج (ج ١، ص ٤٤١)، الإمامة (ص ٣٩) ما يقرب منها.

(١) عقد الفريد، ج ٣، ص ٨٣.

(٢) عقد الفريد، ج ٣، ص ٨٤.

٣- وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن ومحمد وابن الزبير وأشباهم فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم، وثاب إليهم ناس كثير، ولزم عثمان الدار^(١).

ابن الأثير (ج ٣، ص ٧٢) ما يقرب منها.

٤- ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله، فراموا الباب فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة... وخرج الحسن بن علي وهو يقول:

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير إلى طمار شمام^(٢)

ويروي ابن الأثير (ص ٧٣) قريباً منها.

٥- وكان علي كلاً اشتكى الناس إليه أمر عثمان، أرسل إليه ابنه الحسن، فلما أكثر عليه قال له: إن أباك يرى أن أحداً لا يعلم وما يعلم ونحن أعلم بما نفعل، فكف عنا! فلم يبعث علي ابنه في شيء بعد ذلك^(٣).

٦- وحبسوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه، فاحتمل فادخل داره... وشمر أناس من الناس فاستقتلوا منهم سعد بن مالك وأبو هريرة وزيد بن ثابت والحسن بن علي^(٤).

أقول: يستفاد من جملات هذه الأحاديث أن علياً (ع) والحسن والحسين (ع) لم يكونوا راضين بقتل عثمان، بل دفعوا عنه ومنعوا حتى خضبوا بالدم. في حديث (١): إنما أردنا منه مروان وأما قتل عثمان فلا.

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤١٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤١٨.

(٣) عقد الفريد، ج ٣، ص ٩٥.

(٤) الطبري، ص ٣٨٩.

إذهبا بسيفكما حتى تقربا على بابيه، فلا تدعا أحداً.
حتى خضب الحسن بن عليّ بالدماء على بابيه.
وفي حديث (٢): فوجدوا عثمان مذبحاً فأكبوا عليه يبكون.
وقال عليّ: كيف قتل، فلطم الحسين وضرب صدر الحسن.
ثم خرج وهو غضبان.
وفي حديث (٣): فرجعوا إلا الحسن، فجلسوا بالباب.
وفي حديث (٤): فمنعهم من ذلك الحسن.
وخرج الحسن بن عليّ وهو يقول: لا دينهم ديني.
وفي حديث (٦): وشمر أناس من الناس فاستقتلوا منهم الحسن.
ومع ذلك ترى جماعة من الذين لم ينصروه ولم يساعده بل أشاعوا الكلام فيه
وهيجوا عليه: نشروا الأباطيل واتهموا علياً بقتله وأثاروا الناس عليه، طلباً للفتنة
والفساد، ونيلاً إلى الدنيا وحكومتها. ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في
الأرض أولئك هم الخاسرون.

٢١ - الإمام (ع) ويوم الحمل

١- وبعث عليّ عمّار بن ياسر والحسن بن عليّ إلى أهل الكوفة يستنفرهم للمسير معه، فقدموا عليه فسار بهم إلى البصرة^(١).

٢- فإنّ أمير المؤمنين عليّاً رضي الله عنه وجّه إلى الكوفة ليأخذ البيعة له محمّداً ابنه ومحمّداً بن أبي بكر، وكان على الكوفة أبو موسى الأشعريّ وأبو مسعود، فامتنع أبو موسى أن يبايع، فرجعاً إلى أمير المؤمنين، فبعث الحسن ابنه ومالك الأشتر^(٢).

٣- ويروى عن الشعبي: أنّه لما قتل عثمان وبويع عليّ رضي الله عنه خطب أبو موسى وهو على الكوفة فنهى الناس عن القتال والدخول في الفتنة، فعزله عليّ عن الكوفة من ذي قار وبعث إليه عمّار بن ياسر والحسن بن عليّ، فعزلاه واستعمل قرظة ابن كعب.

٤- فسرنا حتّى نزلنا ذا قار... ثمّ قال: قد رأيتم ما صنع هؤلاء القوم وهذه المرأة! فقام إليه الحسن فبكى، فقال له عليّ: قد جئت تحنّ حنين الجارية! فقال: أجل، أمرتك فعصيتني فأنت اليوم تقتل بمصبعة لا ناصر لك. قال: حدّث القوم بما أمرتني به! قال: أمرتك حين سار الناس إلى عثمان ألاّ تبسط يدك ببيعة حتّى تجول جائلة العرب فإنّهم لن يقطعوا أمراً دونك، فأبيت عليّ، وأمرتك حين سارت هذه المرأة وصنع هؤلاء القوم ما صنعوا أن تلزم المدينة وترسل إلى من استجاب لك من شيعتك. قال

(١) الطبقات، ج ٣، ص ٣٢.

(٢) مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١١٧.

عليّ: صدق والله، ولكن والله يا بُنيّ ما كنت لأكون كالضبع وتستمتع للدم^(١).
أقول: المصبغة: الكبر والعظمة، ويمكن أن يكون الصحيح: بمصبغة. واللّدم:
الضرب بشيء كما يضرب صائد الضبع لتنام.

٥- الكامل لابن الأثير (ج ٣، ص ٩٤) يروي ما يقرب منها، وفيها: أمرتك يوم
أحيط بعمّان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها. فقال: أي بُنيّ! أمّا قولك لو
خرجت من المدينة حتّى أحيط بعمّان: فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به. وأمّا قولك
لاتبايع حتّى يبايع أهل الأمصار: فإنّ الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا
الأمر، ولقد مات رسول الله (ص) وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي، فبايع الناس
أبابكر الصّدّيق... وبايعوني طائعين غير مكرهين، فأنا مقاتل من خالفني بمن
أطاعني، حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

٦- وسار فانتهى إلى الرّبذة، وجاء خبر سبقهم إلى البصرة، فأقام ياتمر ما يفعل،
ولحقه ابنه الحسن وعذله في خروجه... كما في ابن الأثير^(٢).

أقول: إن صحّ وقوع هذا العذل، فلا ريب إنّه كان بمبلغ علمه الحسوليّ وبمقتضى
رأيه الظاهر، ومعلوم أنّ الإمام يعلم ما لا يعلم غيره، فإنّ له علماً ظاهرياً وباطنيّاً،
وهو يعمل على طبق وظيفته الخاصّة الإلهيّة.

٧- ولما رجع ابن عبّاس إلى عليّ بالخبر (من خلاف أبي موسى بالكوفة) دعا
الحسن بن عليّ فأرسله، وأرسل معه عمّار بن ياسر، فقال له: انطلق فأصلح ما
أفسدت، فأقبلا حتّى دخلا المسجد... فخرج أبو موسى فلقى الحسن فضمّه إليه...
فأقبل الحسن على أبي موسى، فقال: يا أبا موسى! لم تتبّط الناس! فوالله ما أردنا إلاّ
الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء، فقال: صدقت بأبي أنت وأمّي،

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٧٦.

(٢) ابن خلدون، بقية الثاني، ص ١٥٨.

ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول: إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم فيها (فقام إليه عمّار ووقعت مشاجرات) فقال الحسن: اكف عنا يا عمّار، فإنّ للإصلاح أهلاً، وقام الحسن بن عليّ، فقال: أيها الناس! أجيئوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم فإنّه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهي أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم. فساح الناس وأجابوا ورضوا به (ثمّ وقع مشاجرات) وقال الحسن: أيها الناس! إنّي غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظّهر، ومن شاء فليخرج في الماء، فخرج معه تسعة آلاف^(١).

أقول: تبيّن عنه أي عوّقه وشغله عنه. على الظّهر: طريق البرّ.

ابن الأثير (ج ٣، ص ٩٧) وابن خلدون (البيّة، ص ١٥٩) نظيرها.

٨ - وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويتبّطهم، يقول: أيها الناس! إنّ هذه فتنة عمياء... والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أمّ لك وتنح عن منبرنا. (وفي ص ٥١٢): ودخل الحسن بن عليّ وعمّار المسجد، فقالا: أيها الناس! إنّ أمير المؤمنين يقول: إنّي خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وإنّي أذكر الله عزّ وجلّ رجلاً رعى الله حقّاً إلّا نفر، فإن كنت مظلوماً أعانني وإن كنت ظالماً أخذ منّي، والله إنّ طلحة والزبير لأوّل من بايعني وأوّل من غدر، فهل استأثرت ببال أو بدلت حكماً، فانفروا فمروا بمعروف وانفروا عن منكر^(٢).

ابن الأثير (ج ٣، ص ٩٨) ما يقرب منها.

٩ - فلما دخل الحسن وعمّار الكوفة اجتمع إليهما الناس، فقام الحسن فاستنفر الناس، فحمد الله وصلى على رسوله، ثمّ قال: أيها الناس! إنّنا جننا ندعوكم إلى الله

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٩٧.

(٢) الطبري، ج ٣، ص ٥٠١.

وإلى كتابه وسنة رسوله وإلى أئمة من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون وأوفى من تبايعون، من لم يعبه القرآن ولم تجهله السنة ولم تقعد به السابقة، إلى من قرببه الله تعالى ورسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة، إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، ففرب منه وهم متباعدون وصلى معه وهم مشركون وقاتل معه وهم منزهون وبارز معه وهم محجمون وصدقه وهم يكذبون، إلى من لم ترد له ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحق ويأمركم بالمسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا راية بيعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومثلوا بعماله وانتهبوا بيت ماله، فاشخصوا إليه رحمكم الله، فمروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر واحضروا بما يحضر به الصالحون^(١).

أقول: في هذا الكلام دعوة خالصة إلى الله الحق وإلى إحياء الحق وإلى اتباع من هو مع الحق، وليس فيه قول من الحكومة والملك والمال والعصبية والأموال الدنيوية. وأما الطعن على الناكثين: فهو بعنوان مخالفتهم الحق والصلاح وتركهم المعروف.

١٠- ويروي أيضاً: قدم علينا الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر يستنفران الناس إلى علي عليه السلام، ومعهما كتابه فلما فرغا من قراءة كتابه، قام الحسن وهو فتى حدث، والله إني لأرثي له (أرق له) من حداثة سنه وصعوبة مقامه فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللهم سدّد منطق ابن بنت نبيّنا، فوضع يده على عمود يتساند إليه وكان عليلاً من شكوى به، فقال: الحمد لله العزيز الجبار الواحد القهار الكبير المتعال، سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعفاء على ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، امتنّ علينا بنبوته واختصّه برسالته، وأنزل عليه وحيه

(١) ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٩٢.

واصطفاه على جميع خلقه، وأرسله إلى الإنس والجنّ حين عبّدت الأوثان وأطيع الشيطان وجُحد الرّحمٰن، فصلّى الله عليه وعلى آله وجزاه أفضل ما جزى المسلمين. أمّا بعد، فأنيّ لا أقول لكم إلّا ما تعرفون، إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أرشد الله أمره وأعزّ نصره بعثني إليكم يدعوكم إلى الصّواب وإلى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله، ولقد علمتم أنّ عليّاً صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وحده، وإنّه يوم صدّق به لفي عاشره من سنّه، ثمّ شهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله جميع مشاهدته، وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسول الله (ص) راضياً عنه حتّى غمضه بيده وغسّله وحده والملائكة أعوانه والفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء، ثمّ أدخله حفرة، وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره، كلّ ذلك من منّ الله عليه، ثمّ والله ما دعا إلى نفسه ولقد تذاكّ الناس عليه تذاكّ الإبل الهيم عند ورودها، فبايعوه طائعين ثمّ نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ولا خلاف أتاه، حسداً له وبغياً عليه، فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والمجدّ والصبر والإستعانة بالله والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين، عصمنا الله وإيّاكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته، وأهملنا وإيّاكم تقواه، وأعاننا وإيّاكم على جهاد أعدائه، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

ثمّ مضى إلى الرّحبة فهيتاً منزلاً لأبيه أمير المؤمنين، قال جابر لثميم (المروي عنه الحديث): كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه؟ فقال: ولما سقط عنيّ من قوله أكثر، ولقد حفظت بعض ما سمعت.

أقول: هذا كلام منه عليه السلام وهو في غاية البلاغة والمتانة، وقد جمع بين الدعوة إلى الله الحقّ، وإثبات الولاية لأمر المؤمنين، ولزوم طاعته واتّباعه وإجابته، وسداد المنطق.

والتدأك: الإزدحام. والهيم بالكسر جمع الاهيم والهياء: الإبل المبتلى بشدة العطش. والخفوف إلى العدو: الإسراع إليه والإرتحال.

١١- ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد، مختلفو الرّيات، في أوّله راية كبيرة... قلت: من هؤلاء؟ قال: هذا عليّ بن أبي طالب، وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمّد بن الحنفية بين يديه ومعه الرّاية العظمى، وهذا الذي خلفه عبدالله بن جعفر، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتیان بني هاشم^(١).

١٢- وسار عليّ إلى البصرة حين بلغه ذلك في أربعة آلاف من أهل المدينة، فيهم أربعائة ممن بايع تحت الشجرة وثمانائة من الأنصار، ورايته مع ابنه محمّد بن الحنفية، وعلى ميمنته الحسن وعلى ميسرته الحسين وعلى الخيل عمّار بن ياسر^(٢).

عقد الفريد (ج ٣، ص ٩٨) ما يقرب منها.

١٣- قال عليّ: أين محمّد ابني؟ فقال: ها أنا ذا، فقال: أي بُنيّ! خذ الرّاية، فابتدر الحسن والحسين ليأخذها، فأخرهما عنها، وكان عليّ يؤخرهما شفقة عليها^(٣).

١٤- فسألت عايشة أن يؤمن ابن أختها عبدالله بن الزبير فأمنه، وتكلّم الحسن والحسين في مروان فأمنه، وآمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية^(٤).

١٥- واعتلّ عليّ بالبصرة فخرج الحسن يوم الجمعة وصلّى الغداة بالناس وحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه وقال: إنّ الله لم يبعث نبياً إلاّ اختاره نفساً ورهطاً وبيتاً، والذي بعث محمّداً بالحقّ لا ينتقص أحد من حقنا إلاّ نقصه الله من عمله، ولا

(١) مروج الذهب، ج ٢، ص ٨.

(٢) تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ١٥٦.

(٣) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٦٦.

(٤) مروج الذهب، ج ٢، ص ١٤.

تكون علينا دولة إلا كانت لنا عاقبة، ولتعلمنّ نبأه بعد حين^(١).

١٦- لما كان يوم الجمل، قام عليّ والحسن بن عليّ وعمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وزيد بن صوحان يدورون في القتلى، فأبصر الحسن بن عليّ قتيلاً مكبواً على وجهه، فقلبه على قفاه، ثمّ صرخ: إنّ الله وإنّا إليه راجعون فرخ قريش والله، فقال له أبوه: مَنْ هو يا بُنيّ؟ قال: محمد بن طلحة بن عبيدالله، فقال: إنّ الله وإنّا إليه راجعون، أما والله لقد كان شاباً صالحاً، ثمّ قعد كئيباً حزيناً، فقال له الحسن: يا أبت! قد كنت أنهاك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان وفلان، قال: قد كان ذلك يا بُنيّ، ولوددت أنّي متّ قبل هذا بعشرين سنة^(٢).

أقول: في هذه الروايات موارد للدقّة:

١- أبو موسى (حديث ٢): هو عبدالله بن قيس. قال في الإستيعاب: وكان منحرفاً عن عليّ لأنّه عزله ولم يستعمله، وغلبه أهل اليمن في إرساله في التحكيم فلم يجزه، وكان لحذيفة قبل ذلك فيه كلام.

٢- ذي قار (حديث ٣): موضع فيها ماء لبكر بن وائل بين الكوفة وواسط إلى جانب البصرة.

وأما قرظة بن كعب: فهو بفتحات ثلاث من أصحاب أمير المؤمنين (ع)، دفع له راية الأنصار حين خروجه إلى صفّين.

٣- الرّبذة (حديث ٦): بفتحات ثلاث، موضع قرب المدينة على ثلاثة أميال، إلى جانب العراق، فيها قبر أبي ذرّ.

٤- فتنة القاعد فيها خير من القائم فيها (حديث ٧): الفتنة تتحقّق إذا كانت

(١) كشف الغمّة، ص ١٧١.

(٢) مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١٠٣.

الواقعة غير معلومة لا يظهر فيها الصلاح من الفساد ولا يعرف فيها التكليف للأفراد ولا يكون الموضوع مشخصاً والحكم معلوماً، وهذا كما في إثارة عايشة وطلحة والزبير لأهل البصرة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وأما نصر الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطردهما الفتنة العمياء وكشف الحيلة المضلّة ورفعها وأتباع أمير المؤمنين الذي قال فيه رسول الله (ص): إنّه مع الحق والحق معه. وقال: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فهذه من فرائض التكليف ومن واجبات الأحكام.

فياللعجب إنّ أبا موسى يقول: أتباع عليّ أمير المؤمنين فتنة، وإعانة أهل الحق والحق فتنة، والأمر بالمعروف ودفع الباطل فتنة، والمبارزة للفساد والفتنة فتنة، والجهاد في سبيل الحق فتنة، والقتال مع الناكثين والمفسدين فتنة، والإعانة للمظلومين فتنة.

نعم، إنّ أبا موسى لم يتذكّر بهذه الآيات: وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّهُ لله، وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين لله، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدّ من القتل، وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله.

٥- لوددت أنّي متّ (حديث ١٦): هذه الجملة إن صحّت فهي صادرة عن تأثر طبيعيّ قبال هذه المناظر الحادثة والحوادث غير المنتظرة.

٢٢ - الإمام (ع) وحرب صفين

١- وأحبّ أهل المدينة أن يعلموا رأي عليّ في معاوية وقتاله أهل القبلة، أمجسر عليه أم ينكل عنه، وقد بلغهم أنّ ابنه الحسن دعاه إلى القعود وترك الناس، فدسّوا زياد بن حنظلة التيمي، وكان منقطعاً إلى عليّ، فجلس إليه ساعة، فقال له عليّ: يا زياد تيسّر! فقال: لأيّ شيء؟ فقال: لغزو الشام^(١).

٢- وقال (ع) في بعض أيام صفين، وقد رأى الحسن (ع) يتشرّع إلى الحرب: أملكوا عنيّ هذا الغلام لا يهدّني، فإننيّ أنفست بهذين على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله (ص)^(٢).

أقول: هذه أي هدمه. الأنفست أي الأبخل.

٣- ولقد هممت بالإقدام على القوم، فنظرت إلى هذين - يعني الحسن والحسين - قد ابتدراني، ونظرت إلى هذين - يعني عبدالله بن جعفر ومحمّد بن عليّ - قد استقدماني، فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمّد (ص) من هذه الأمة، فكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا^(٣).

٤- فدعا ابنه محمّداً فدفع إليه الراية، وقال: امش بها نحو هذه الراية مشياً رويداً، حتّى إذا أشرعت في صدورهم الرماح فأمسك حتّى يأتيك أمري، ففعل وأتاه

(١) الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٨٦.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢٠٦.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٤.

عليّ ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة، وقد كردس الخيل^(١).
أقول: أشرع عليه الرماح أي سدده. كردس الخيل: جمعها وجعلها كتيبة كتيبة.
راجع الأبواب الآتية التي تتعلق بمعاوية، تجد فيها أسراراً من حرب صفين ولزوم
تلك المحاربة.

٥- وكان فيما بين الميمنة إلى موقف عليّ في القلب أهل اليمن، فلما انكشفوا انتهت
الهزيمة إلى عليّ، فانصرف عليّ يمشي نحو الميسرة، فانكشفت عنه مضر من الميسرة
وثبتت ربيعة، وكان الحسن والحسين ومحمد بنو عليّ معه حين قصد الميسرة والنبل
يمرّ بين عاتقه ومنكبه، وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه فيتقدم فيحول بين أهل الشام
وبينه، فبصر به أحمر مولى أبي سفيان أو عثمان فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى
عليّ فاختلفا بينهما ضربتين فقتله أحمر، فأخذ عليّ بجيب درع أحمر فجذبه وحمله
على عاتقه ثم ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه، ودنا منه أهل الشام فما زاده
قربهم إلا إسرعاً، فقال ابنه الحسن: ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين
قد صبروا لعدوك من أصحابك، فقال: يا بُنيّ! إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطن به
عنه السعي ولا يعجل به إليه المشي^(٢).

٦- وفي تاريخ الطبري (ص ١٣): ومنكبه، وشدّ ابنا عليّ حسين ومحمد فضرباه
بأسيافهما حتى قتلاه، وأقبلا إلى أبيهما والحسن قائم، قال له: يا بُنيّ! ما منعك أن تفعل
ما فعل أخواك! قال: كفياني يا أمير المؤمنين.

وقعة صفين لنصر (ص ٢٨٠) ما يقرب من ٥ - ٦.

٧- ويروي نصر أيضاً (ص ٣٣٤): وبعث عبيدالله بن عمر إلى الحسن بن عليّ،
فقال: إن لي إليك حاجة فالقني. فلقية الحسن، فقال له عبيدالله: إن أباك قد وتر

(١) مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٦.

(٢) الطبري، ج ٤، ص ١٢ و ١٣، والكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ١٢٨.

قريشاً أولاً وآخراً، وقد شنئوه فهل لك أن تخلفه ونوِّيك هذا الأمر؟ قال: كلا والله لا يكون ذلك. ثم قال له الحسن: لكأني أنظر إليك مقتولاً في يومك أو غدك، أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مُخلِّقاً بالخلوق ترى نساء أهل الشام موقفك وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً. قال: فوالله ما كان إلا كيومه أو كالغد... إلخ.

٨ - لما انقضى أمر الحكيم واختلف أصحاب عليّ، قال بعض الناس: ما منع أمير المؤمنين أن يأمر بعض أهل بيته فيتكلّم، فإنه لم يبق أحد من رؤساء العرب إلا وقد تكلّم. قال: فبينما عليّ يوماً على المنبر إذ التفت إلى الحسن ابنه، فقال: قم يا حسن، فقل في هذين الرجلين عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص. فقام الحسن، فقال: أيها الناس! إنكم قد أكثرتم في هذين الرجلين وإنما بعثنا ليحكما بالكتاب على الهوى، فحكما بالهوى على الكتاب، ومن كان هكذا لم يسمّ حكماً ولكنه محكوم عليه، وقد أخطأ عبد الله بن قيس إذ جعلها لعبد الله بن عمر، فأخطأ في ثلاث خصال: واحدة إنه خالف (يعني أبا موسى) أباه (يعني عمر) إذ لم يرضه لها ولا جعله من أهل الشورى، وأخرى إنه لم يستأمره في نفسه، وثالثة إنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها على الناس. وأمّا الحكومة: فقد حكم النبيّ (ص) سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم بما يرضى الله به ولا شك، ولو خالف لم يرضه رسول الله (ص) (١).

٩ - ثم قال: قم يا حسن فتكلّم في أمر هذين الرجلين - كما في العقد باختلاف سير - وفيها: لم يستأمر الرجل في نفسه ولا علم ما عنده من ردّ أو قبول (٢).

أقول: هذه كلمات منتخبة حول موقف الإمام المجتبي (ع) في وقعة صفين، وترى فيها خروجه وجهاده وقتاله وكلامه.

(١) عقد الفريد، ج ٤، ص ٣٥٠.

(٢) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١١٥.

وأما جملة - إن ابنه الحسن دعاه إلى القعود - : إن صحّت فلعلّها صدرت في مقام المشاورة والمذاكرة، وقد أُلقيت منه بشرائط مخصوصة وخصوصيات وحدود وكيفيات. وبعد هذه كلّها فهو سلم قبال أبيه أمير المؤمنين ومطيع له ولا يخالفه طرفة عين، ولم ير منه تساهل ولا خلاف.

أنظر كلامه المروي عن نصر بن مزاحم (ص ١٢٧): ثمّ قام الحسن بن عليّ خطيباً، فقال: الحمد لله لا إله غيره وحده لا شريك له، وأثنى عليه بما هو أهله. ثمّ قال: إنّ ممّا عظم الله عليكم من حقّه وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره ولا يؤدّي شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول، ونحن إنّما غضبنا الله ولكم، فإنّه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه ونعماءه قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق يصدّق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربّنا، قولاً يزيد ولا يبديد، فإنّه لم يجتمع قوم قطّ على أمر واحد إلاّ اشتدّ أمرهم واستحكمت عقدهم، فاحتشدوا في قتال عدوّكم معاوية وجنوده، فإنّه قد حضر، ولا تخاذلوا فإنّ الخذلان يقطع نياط القلوب، وإنّ الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة، لأنّه لم يمتنع قوم قطّ إلاّ رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلّة وهداهم إلى معالم الملّة.

٢٣ - أسفاره (ع)

١- حجّ عشرين حجّة ماشياً وقاسم ماله ربّه تعالى ثلاث مرار وتجرّد من ماله مرّتين، دخل اصبهان غازياً مجتازاً إلى غزاة جرجان^(١).

٢- ويروي (ص ٤٧) بإسناده: إنّ الحسن قدم مع عبدالله بن الزبير غازيين إلى جرجان على طريق اصبهان.

٣- عن ابن عبّاس قال: ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلاّ أنّي لم أحجّ ماشياً، ولقد حجّ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما خمسة وعشرين حجّة ماشياً وإنّ النجائب لتقاد معه، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرّات حتّى أنّه يعطي الخفّ ويمسك النعل^(٢).

٤- غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان، ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله (ص) ومعه الحسن والحسين وعبدالله بن العبّاس وعبدالله عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص^(٣).

ابن الأثير (ج ٣، ص ٤٥) ما يقرب منها. وكذا في ابن خلدون (بقية الثاني ص ١٣٥).

٥- ثمّ إنّ عبدالله بن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستمده، فاستشار عثمان

(١) أخبار اصبهان، ج ١، ص ٤٤.

(٢) سنن البيهقي، ج ٤، ص ٣٣١.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٢٣.

الصحابة فأشاروا به، فجهّز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم: ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير، وساروا مع عبدالله بن أبي سرح سنة ستّ وعشرين، ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة، ثمّ ساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها، ثمّ ساروا إلى أفريقيا^(١).

أقول: جرجان معرّب گرگان مدينة بين خراسان وطبرستان. النجائب: قلنا إنّ الصحيح الجنائب وهو البعير قادها إلى جنبه. وبرقة بالفتح: من أطراف المدينة من صدقات رسول الله (ص) أو موضع آخر. وطرابلس بالفتح وضمّ الباء: بلدة من لبنان تبعد عن بيروت ٩٠ كيلومتراً شمالاً.

ثمّ إنّ أسفار الحجّ والسير إلى حرب البصرة وصفين مبينة لنا موضوعاً وحكماً والمقصد فيها معلومة، لا خفاء فيها.

وأما الأسفار إلى جرجان وطرابلس واصبهان وغيرها: إن تحققت وصحت رواياتها، فهي غير مكشوفة لنا، فهل هذه الأسفار قد وقعت باختيار أو بالإضطرار أو بالإجبار، وهل إنّ الإمام قد خرج فيها غازياً أو ناظراً أو هادياً أو بقصد السير والسياحة أو على تبة أخرى؟ فكلّ هذه مجهولة لنا، إذ لم يرد في خصوصياتها حديث أو رواية تاريخية أو نقل صحيح. والله أعلم بحقيقتها.

(١) ابن خلدون، بقية الثاني، ص ١٢٨.

٢٤ - عبادات الإمام (ع)

١- الحسن بن عليّ (ع) كان إذا فرغ من الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس وإن زُحزح^(١).

قال الزمخشري: زحزحه إذا نحّاه، والمعنى: وإن أريد تنحيه عن ذلك باستنطاق في بعض ما بهم.

٢- كان الحسن (ع) إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله (ص) يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهنّ وربما أتخفنه، ثم ينصرف إلى منزله^(٢).

٣- ويروي أيضاً عن أبي رزين قال: خطبنا الحسن بن عليّ يوم الجمعة، فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها. وعن ابن عساكر يروي عن الحسن: إنّه كان يقرأ كلّ ليلة سورة الكهف في لوح مكتوب يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه، قبل أن ينام وهو في الفراش.

أقول: أمّا قراءة سورة إبراهيم على المنبر: فإنّها في الدعوة إلى الله وإلى النور وإلى صراط الله وترك الظلمات والإعراض عن الدنيا وإطاعة الله واتباع نبيّه.

وأما قراءة سورة الكهف قبل أن ينام: فإنّها في بيان آياته وذكر أمور من مظاهر

(١) الفائق، ج ١، ص ٥٢٤، زحزح.

(٢) البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٧.

قدرته وحكمته، وفيها تنبيهات وإيقاظات من الغفلة إلى النور والمعرفة. ومن المجرّب قراءة آية: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ...﴾ للتيقظ والتنبيه من النوم في أيّ وقت يريد.

٤- قال الحسن بن عليّ: إني لأستحيي من ربّي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجله^(١).

حلية الأولياء (الإمام) يروي بإسناده نظيرها.

٥- طبقات الشعراني (الإمام) يروي مثلها، وفيها: وإذا اشتري من أحد حائطاً ثم افتقر البايع، يردّ عليه الحائط ويردّفه الثمن معه، وما قال قطّ لسائل لا، وكان لا يعطي لأحد عطية إلا شفّعها بمثلها.

٦- وقال أبو جعفر الباقر: حجّ الحسن ماشياً وجنائبه تقاد^(٢).

٧- وأخرج الحاكم: لقد حجّ الحسن خمساً وعشرين حجّة ماشياً وإنّ النجائب لتقاد معه^(٣).

أقول: الظاهر أنّ الصحيح هو الجنائب وهو جمع جنيبة، أي الدابة الطائفة التي تقاد إلى جنب الإنسان. وأمّا قوله: لأستحيي من ربّي، مشعر بكمال المعرفة ونهاية الخشوع والعبودية لوجهه الأعلى الأجلّ الأعزّ.

٨- وكان في الطواف، فقال له رجل وسأله أن يذهب معه في حاجة! فترك الطواف وذهب معه، فلمّا ذهب خرج إليه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه، فقال: يا أبا محمّد! تركت الطواف وذهبت مع فلان! فقال له حسن: كيف لا أذهب معه ورسول الله (ص) قال: من ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت كتبت له حجّة

(١) أخبار اصهبان، ج ١، ص ٤٤.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ٧٣.

وعمره، وإن لم تقض كتبت له عمرة، فقد اكتسبت حجة وعمرة ورجعت إلى طوافي^(١).

٩- وكان إذا توضحاً ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه، فقليل له في ذلك، فقال: حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفّر لونه ويرتعد مفاصله. وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول: إلهي ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم.

وله (ع):

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَغِيرَ دَارِ إِقَامَةٍ حَانَ الرَّحِيلِ فَوَدَّعَ الْأَحْبَابَا
إِنَّ الَّذِينَ لَقِيْتَهُمْ وَصَحْبَتَهُمْ صَارُوا جَمِيعاً فِي الْقُبُورِ تَرَابَا^(٢)

١٠- لي، بإسناده عن الصادق (ع)، عن أبيه، عن جدّه: إنّ الحسن بن عليّ (ع) كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم وكان إذا حجّ ماشياً وربما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله شهق شهقة يغشى عليه منها، وإذا قام في صلاته ترتعد فرائضه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم وسأل الله الجنة وتعوّذ به من النار، وكان لا يقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إلا قال: لبيك اللهم لبيك، ولم ير في شيء من أحواله إلا ذكر الله سبحانه، وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطلقاً^(٣).

أقول: لا يصل العبد إلى حقيقة العبادة إلا أن يتحقّق فيه حقّ العبوديّة، وذلك إذا

(١) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢١٥.

(٢) المناقب، ج ٢، ص ١٥٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٩١.

كان عبداً للمولى في جميع الأحوال وفي قاطبة الأوقات، وأن يكون كل من أعماله وحركاته وأطواره بقصد العبودية وفي الله والله وعلى سبيل الله.

فالعبد حقاً هو الذي يتوجه إلى ربه في أحواله كلها ويذكر مولاه في أعماله جميعها، ولا يرى منه إلا الصدق والحق والخلوص، ولا يشاهد منه إلا الطاعة وحسن الإنقياد والخشوع، ولا يشاء إلا ما يشاء مولاه، وهو يقول بلسان حاله في جميع أحواله: لبيك اللهم لبيك إن الحمد والتناء والشكر لك، وحدك لا شريك لك، وقلبي ساجد خاشع لك وأنا عبدك الخاضع الذليل، وأنت على كل شهيد.

﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمْ بِحَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

٢٥ - جُوده (ع)

١- بإسناده: خرج الحسن بن عليّ (ع) من ماله مرّتين، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرار، حتّى إن كان ليعطي نعلًا ويمسك نعلًا ويعطي خفًا ويمسك خفًا^(١). ويروي روايتين أخريين بهذا المضمون.

طبقات الشعراني (الإمام)، تاريخ الخلفاء (ص ٧٣) ما يقرب منها.

٢- جاءت جارية للحسن تحييه بشيء من الرّيحان، فقال: أنت حرّة لوجه الله! فقيل له: جاءتك جارية بريحان فأعتقتها! فقال: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾^(٢).

٣- أتى ابن فسوة عبدالله بن العبّاس وهو عامل لعليّ بن أبي طالب على البصرة، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه، فلمّا دخل عليه... قال: انطلق فأنا أقسم الله لئن بلغني إنك هجوت أحداً... فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليّ، فلقى الحسن بن عليّ وعبدالله بن جعفر فسألاه عن خبره مع ابن عبّاس فأخبرهما، فاشترى عرضه بما أرضاه، فقال يمدح الحسن وابن جعفر ويلوم ابن عبّاس:

أتيت ابن عبّاس فلم يقض حاجتي ولم يرج معروفى ولم يخش منكري
فليت قلوصي عُرّيت أو رحلتها إلى حسن في داره وابن جعفر

(١) حلية الأولياء (الحسن بن عليّ).

(٢) نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٨.

إلى ابن رسول الله يأمر بالتق' وللدين يدعو والكتاب المطهر
إلى معشرٍ لا يَخْصِفون نعالهم ولا يلبسون السبب ما لم يَخْصُر^(١)
أقول: القلوص هو الناقة الطويلة. عزيت أي من السرج. خصف النعل: خرزها
بالمخصف. السبب بالكسر: المجلد المدبوغ. الخصر: وسط الإنسان والمخصر دقيق
الوسط.

٤- ذكروا إنه أتاه رجل في حاجة، فقال: اذهب فاكتب حاجتك في رقعة وارفعها
إلينا نقضها لك.

قال: فرفع إليه حاجته، فأضعفها له.

فقال بعض جلسائه: ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله.

فقال: بركتها علينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمت أن المعروف ما
كان ابتداءً من غير مسألة، فأما من أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من
وجهه، وعسى أن يكون بات ليلته متملماً أرقاً يميل بين اليأس والرّجاء لا يعلم لما
يتوجّه من حاجته، أبكآبة الرّدّ، أم بسرور النّجح، فيأتيك وفرائضه ترعد وقلبه
خائف يخفق، فإن قضيت له حاجته فيما بذل لك من وجهه فإن ذلك أعظم ممّا نال من
معروفك^(٢).

٥- ويروي في (ص ٥٧): وكان الحسن بن عليّ (ع) أحد الأجواد، دخل على
أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه ويقول: وا كرباه! وا حزناه!

فقال: وما الذي أحزنك يا عمّ؟ قال: يا ابن رسول الله! ستون ألف درهم دين
عليّ لا أجد لها قضاءً، قال: هي عليّ.

(١) الأغاني، ج ١٩، ص ١٤٤.

(٢) المحاسن للبيهقي، ص ٥٥.

قال: فك الله رهاتك يا ابن النبي (ص)، الله أعلم حيث يجعل رسالاته.
 أقول: التملل هو التقلب على الفراش والإضطراب. الأرق: من ذهب عنه النوم.
 الكآبة: الغم والإنكسار. النجح بالفتح والضم: السهولة والظفر. الخفق: الإضطراب.
 الرهن: التقيّد والحبس والمسؤوليّة.

٦- ومن كلام لعائمة بن عاثم لأهل مكّة في جواب ثلب معاوية لبني هاشم: ومنا
 الحسن بن عليّ عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيّد شباب أهل
 الجنّة، وفيه يقول الشاعر:

يا أجلّ الأنام يا ابن الوصيّ أنت سبط النبيّ وابن عليّ (*) (١)

٧- وذكروا أنّ رجلين أحدهما من بني هاشم والآخر من بني أميّة، قال هذا:
 قومي أسمح، وقال هذا: قومي اسمح.

قال: فسل أنت عشرة من قومك وأنا أسأل عشرة من قومي.

فانطلق صاحب بني أميّة فسأل عشرة فأعطاه كلّ واحد منهم عشرة آلاف
 درهم. وانطلق صاحب بني هاشم إلى الحسن بن عليّ رضي الله عنه فأمر له بمائة
 وخمسين ألف درهم، ثمّ أتى الحسين (ع)، فقال: هل بدأت بأحد قبلي؟ قال: بدأت
 بالحسن، قال: ما كنت أستطيع أن أزيد على سيّدي شيئاً، فأعطاه مائة وخمسين ألفاً
 من الدراهم.

فجاء صاحب بني أميّة فحمل مائة ألف درهم من عشرة أنفس، وجاء صاحب
 بني هاشم فحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسين.

فغضب صاحب بني أميّة فردّها عليهم فقبلوها، وجاء صاحب بني هاشم فردّها

(*) في محاسن البيهقي:

ومن يك جدّه حقّاً نبيّاً فإنّ له الفضيلة في الأنام.

(١) المحاسن والأضداد، ص ١٠٣.

عليها فأبى أن يقبلها وقالوا: ما كنا نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق^(١).

٨ - أتى رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله، فقال الحسن: إن المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح أو فقر مُدقع أو حَمالة مُفضعة، فقال الرجل: ما جئتُ إلا في إحداهنّ، فأمر له بمائة دينار، ثمّ أتى الرجل الحسين بن علي رضي الله عنهما فسأله، فقال له مثل مقالة أخيه فردّ عليه كما ردّ على الحسن، فقال: كم أعطاك؟ قال: مائة دينار، فنقصه ديناراً، كره أن يساوي أخاه، ثمّ أتى الرجل عبدالله بن عمر فسأله فأعطاه سبعة دنانير، ولم يسأله عن شيء، فقال الرجل له: إنّي أتيت الحسن والحسين، واقتصّ كلامهما عليه وفعلهما به، فقال عبدالله: ويحك وأنتي تجعلني مثلهما إنّهما غرّاً العلم غرّاً المال^(٢).

أقول: الغرم بالضمّ: ما يلزم ادأؤه من المال والدين والضرر. والفادح: المثقل الصعب. والمدقع: الملتصق بالتراب فقراً وذللاً. والحَمالة بالفتح: الدّية والغرامة. والمفضع: الشديد في الشناعة. وغرّ الطائر فرخه: زقّه وأطعمه بمنقاره، والكلمة مثنيّ مجهول من الماضي.

٩ - عن المسيّب قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: أنا أحدثكم عني وعن أهل بيتي، أمّا عبدالله ابن أخي: فصاحب هو وسماح، وأمّا الحسن: فصاحب جفنة وخوان فتى من فتیان قريش لو التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم شيئاً في الحرب^(٣).
أقول: الجفنة بالفتح: القصعة الكبيرة وجمعها الجفان. والبطان بالكسر: الحزام الذي يجعل تحت بطن الدابّة و(التقت حلقتا البطان) أي عظم الخطب واشتدّ الأمر. وهذا كناية عن حلمه وسكونه ووقاره.

(١) المحاسن للبيهقي، ص ٥٦.

(٢) عيون ابن قتيبة، ج ٣، ص ١٤٠.

(٣) ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٤.

١٠ - بعث إلى الفرزدق مروان بكتاب محتوم، وقال: توصله إلى عاملي وقد كتبت إليه أن يدفع إليك ثلاثمائة دينار، فإذا أصبحت فاغد حتى تودّعني، وكتب إلى عامله أن يضربه مائة سوط ويحبسه، ثم ندم مروان فقال: يعمد إلى الكتاب ويفتحه ويقرأ ما فيه ويهجوني وأهل بيتي، فلما أصبح غدا عليه الفرزدق فقال له مروان: إنني قد قلت في هذه الليلة أبياتاً فاقراها! فقال: وما قلت؟ قال: قلت:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما نهيتك فاجلس
ودع المدينة إنها مذمومة واقصد لمكة أو لبيت المقدس
وإن اجتنبت من الأمور عظيمة فاعمد لنفسك بالزمام الأكييس

ففظن الفرزدق لما أراد، ثم رمى بالصحيفة في وجهه فخرج حتى أتى سعيد بن العاصي، وعنده الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر فأخبرهم الخبر، فأمر له كل واحد منهم بمائة دينار وراحلة، فأخذ ذلك وتوجّه إلى البصرة^(١).

أقول: الزمام بالفتح أي العزم.

١١ - روي عن الحسن عليه السلام إنه كان مازراً في بعض حيطان المدينة فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته فلم تعاتبه فيه بشيء؟ فقال: استتحت عيناى من عينيه أن أعاتبه، فقال له: غلام من أنت؟ قال: غلام أبان بن عثمان. قال: والحائط؟ قال: لأبان. فقال له الحسن: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك، فمر فاشترى الغلام والحائط وجاء إلى الغلام، فقال له: قد اشتريتك! فقام قائماً، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي. ثم قال: قد اشتريت الحائط وأنت حرّ لوجه الله والحائط هبة مني إليك. فقال الغلام: يا مولاي! قد وهبت الحائط للذي وهبني له^(٢).

(١) الأغاني، ج ٢١، ص ١٢٨.

(٢) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢١٤.

أقول : شاطره ماله أي قاسمه إياه مناصفة .

١٢- إن رجلاً جاء إليه وسأله حاجة، فقال له : يا هذا! حقّ سؤالك إياي يعظم لديّ ومعرفتي بما يجب لك تكبر عليّ ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله عزّ وجلّ قليل وما في ملكي وفاء بشكرك، فإن قبلت منّي الميسور ورفعت عني مؤونة الاحتيال والاهتمام لما أتكلّفه من واجبك فعلت! فقال: يا ابن رسول الله! أقبل القليل وأشكر العطيّة وأعذر على المنع، فدعا الحسن (ع) بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتّى استقصاها، فقال: هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم، فأحضر خمسين ألفاً، قال: فما فعل الخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي، قال: أحضرها، فأحضرها، فدفع الدراهم والدينار إلى الرجل^(١).

أقول : الجود كثيراً ما يوجد بين الناس، كما أنّ العبادة والطاعة كثيراً ما تشاهد بينهم. وأمّا الجود الخالص الحقّ: فقليل ما هو، كما أنّ العبادة الخالصة لا توجد إلاّ في المخلصين من عباد الله الصالحين .

نعم، الجود الخالص ما لا يشوبه ريب ولا يعتبر به غرض نفسانيّ ولا يتبعه منّ ولا أذى من قول أو فعل ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾، وقال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾.

فالجود الخالص الكامل: ما يتبعه الخضوع من صاحبه والقول المعروف وإظهار العجز عن أداء الحقّ والشكر في ذلك العمل الممدوح لله تعالى، كما ترى في ذلك الحديث .

(١) مطالب السؤل، الباب الثاني - في كرمه .

٢٦ - حلمه (ع)

١- كان الحسن رضي الله عنه سيِّداً حليماً ذاكينة ووقار وحشمة جواداً ممدوحاً يكره الفتن والسيِّف^(١).

٢- وفيه، وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال: ما تكلم عندي أحد كان أحبَّ إليَّ إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن عليٍّ، وما سمعت منه كلمة فحش قطَّ إلا مرّة، فإنّه كان بين الحسن وعمرو بن عثمان خصومة في أرض، فعرض الحسن أمراً لم يرضه عمرو، فقال الحسن: فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه، قال: فهذه أشدّ كلمة فحش سمعتها منه.

٣- وفيه، وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال: كان مروان أميراً علينا فكان يسبُّ عليّاً كلّ جمعة على المنبر، وحسن يسمع فلا يردّ شيئاً، ثمّ أرسل إليه رجلاً يقول له: بعليٍّ وبعليٍّ وبعليٍّ وبك وبك وبك، وما وجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أمي الفرس! فقال له الحسن: ارجع إليه فقل له: إني والله لا أمحو عنك شيئاً ممّا قلت بأن أسبِّك، ولكن موعدني وموعدك الله فإن كنت صادقاً جزاك الله بصدقك وإن كنت كاذباً فإنّه أشدّ نقمة.

٤- وفيه، وأخرج ابن سعد عن زريق بن سوار قال: كان بين الحسن وبين مروان كلام، فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له والحسن ساكت، فامتخط مروان بيمينه، فقال الحسن: ويحك، أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج أف لك! فسكت مروان.

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٧٣.

وفي تهذيب ابن عساكر (ج ٤ ص ٢١٧) يروي نظير رواية ٢ و ٤ وفيها: كان بين الحسين وعمرو بن عثمان خصومة، فعرض الحسين، وكان بين الحسين وبين مروان كلام.

أقول: امتخط أي أخرج المخاط من أنفه، والمخاط بالضم: ما يسيل من الأنف. وأما مروان: فهو ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان عاملاً لمعاوية بالمدينة. قال ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ١، ص ٣٦١): إنّه كان مجاهراً بالإلحاد هو وأبوه الحكم، وهما الطريدان اللعينان، كان أبوه عدوّ رسول الله (ص) يحكيه في مشيه ويغمز عليه... وكان ابنه أخبث عقيدة وأعظم إلحاداً منه.

٥- وفي تاريخ الخلفاء أيضاً: وأخرج ابن عساكر عن جويرية قال: لما مات الحسن بكى مروان في جنازته، فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه! فقال: إنّي كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا! وأشار بيده إلى الجبل.

تهذيب التهذيب (ج ٢، ص ٢٩٨) مثلها.

٦- إن رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابةً منه، فقال قلبي إليه فسألت عنه، فقيل لي: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فامتلاً قلبي له بغضاً وحسداً عليّاً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه فقلت له: أنت ابن أبي طالب؟ فقال: أنا ابن ابنه. فقلت: فبك وبأبيك أسبهما! فلما انقضى كلامي، قال لي: أحسبك غريباً! قلت: أجل. قال: فل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك وإلى مال آسيناك أو إلى حاجة عاوناك! قال: فانصرفت عنه، ووالله ما على الأرض أحد أحب إليّ منه^(١).

أقول: فبك وبأبيك أي الأذى بك.

(١) كامل المبرّد، ج ١، ص ٢٣٥.

ثم إنَّ الحلم صفة نفسانيّة تنبعث من وسع النفس ونورانيّتها وقوّتها ورحمتها، فإذا وجد الحلم فيصبر على الأذى والخلاف ويتحمّل ما لا يلائم نفسه، ولا يعاقب العاصي الآثم ولا يغضب ولا يعجل، ولا يرى العاجل بل يتوجّه إلى الآجل والعاقبة. وسيجيء في كلمات الإمام: إنّه سُئِلَ عن الحلم؟ فقال: هو كظم الغيظ وملك النفس.

وحلمه له المقام السّامي في حلمه ضلّت أولو الأحلام

من حلمه أصابه من البلا ما لا تطيقه السّموات العُلا (**)

٢٧ - وصية أمير المؤمنين له (ع)

١- ومن وصية له (ع) بما يعمل في أمواله: وإنه يقوم بذلك الحسن بن عليّ يأكل منه بالمعروف وينفق في المعروف، فإن حدث بحسن حدث وحسين حيّ قام بالأمر بعده وأصدره مصدره، وإنّ لابني فاطمة من صدقة عليّ مثل الذي لبني عليّ، وإني إنّما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة إلى رسول الله وتكريماً لحرمة وتشريفاً لوصلته^(١).

٢- ومن وصية له (ع) للحسن بن عليّ (ع) كتبها إليه مجازين منصرفاً من صقّين: من الوالد الفاني المقرّر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الدائم للدنيا الساكن مساكن الموتى والظاعن عنها غداً، إلى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الأسقام ورهينة الأيام ورمية المصائب... ووجدتك بعضي بل ووجدتك كليّ، حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني... إلخ^(٢).

٣- ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحقّ واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم... إلخ^(٣).

(١) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٢.

(٢) النهج، ص ٣٧.

(٣) النهج، ص ٧٦.

كامل ابن الأثير (ج ٣، ص ١٦٩)، والطبري (ج ٤، ص ١١٣)، وابن خلدون (بقيّة الثاني، ص ١٨٥)، والمروج (ج ٢، ص ٤٢) ما يقرب منها.

٤- وقال عليه السلام لابنه الحسن: يا بُنَيَّ! احفظ عني أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهنّ: أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب حسن الخلق. يا بُنَيَّ! إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفكك... إلخ^(١).

٥- وقال لابنه الحسن عليهما السلام: لا تدعون إلى مبارزة وإن دُعيت إليها فأجب فإنّ الداعي باغ والباغي مصروع^(٢).

٦- وقال لابنه الحسن (ع): يا بُنَيَّ! لا تخلفنّ وراءك شيئاً من الدنيا فإنّك تخلفه أحد رجلين، إمّا رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به، وإمّا رجل عمل فيه بمعصية الله... إلخ^(٣).

٧- أوصيك أي بُنَيَّ بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلّها... إلخ^(٤).

٨- ابن الأثير (ج ٣، ص ١٧٠) ما يقرب منها. وفيها: ثمّ كتب وصيته ولم ينطق إلاّ بـ لا إله إلاّ الله، حتّى مات رضي الله عنه وأرضاه.

٩- بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون، ثمّ إنّ صلاتي... إلخ^(٥).

(١) النهج، ص ١٤٧.

(٢) النهج، ص ١٨٨.

(٣) النهج، ص ٢٣٢.

(٤) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٣.

(٥) الطبري، ص ١١٣.

ابن أبي الحديد (ج ٢، ص ٤٤) يروي قريباً منها.

١٠- وقد كان عليّ نهى الحسن عن المثلة وقال: يا بني عبدالمطلب! لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ إلا قاتلي، أنظر يا حسن إن أنا متّ من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثّل بالرجل فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: إياكم والمثلة ولو إمّتها بالكلب العقور^(١).

ابن الأثير (ج ٣، ص ١٦٩) مثلها.

أقول: في هذه الوصايا مضافاً إلى الحقائق والحكم، جملات يستكشف منها مقام الإمام المجتبي (ع):

١- وإنّه يقوم بذلك الحسن بن عليّ: يدلّ على كمال الاعتماد والوثوق عليه بحيث جعله وصياً وقائماً مقامه.

٢- إبتغاء وجه الله وقربة إلى رسول الله وتكريماً لحرمة وتشريفاً لوصلته: يدلّ هذا الكلام على مقامه المنيع عند الله وعند رسوله، وعلى لزوم تكريمه وتشريفه.

٣- ووجدتك بعضي بل وجدتك كليّ حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني (حديث ٢): يدلّ على كمال محبّته وعلاقته عليه، حتى قال فيه إنّه بعضي أو كليّ.

٤- فاضربه ضربة: يدلّ على إقامته مقام الوصيّ الحاكم وتفويض الأمر إليه واعتماده عليه وكونه أهلاً لذلك.

٢٨ - الإمام (ع) عند وفاة أمير المؤمنين (ع)

١- قال: حدّثني أبي عليه السلام البارحة في هذا المسجد، فقال: يا بُنيّ! إنّي صلّيت ما رزق الله ثمّ نمت نومة فرأيت رسول الله (ص) فشكوت ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلّة رغبتهم في الجهاد! فقال: ادع الله أن يريحك منهم، فدعوت الله. قال الحسن: ثمّ خرج إلى الصلاة فكان ما قد علمت^(١).

٢- قال الحسن بن عليّ يوم قتل عليّ: خرجت البارحة وأبي يصليّ في مسجد داره، فقال لي: يا بُنيّ! إنّي بتّ أوقظ أهلي لأنّها ليلة الجمعة صبيحة بدر، فملكنتي عيناى فتمت فسنح لي رسول الله (ص)، فقلت: يا رسول الله! ماذا لقيت من أمّتك من الأود واللّدد! فقال لي: ادع عليهم، فقلت: أللّهمّ أبدلني بهم من هو خير منهم وأبدلهم بي من هو شرّ مني. فجاء ابن النباح فأذّنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه، فضربه ابن ملجم^(٢).

الإمامة والسياسة (ج ١، ص ١٣٣) ما يقرب منها.

٣- وغسّله الحسن والحسين ومحمّد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر، وكفنّ في ثلاثة أثواب ليس فيها قييص وصلّى عليه الحسن ابنه، ودفن في قصر الإمارة بالكوفة، وعمي قبره مخافة أن تنبشه الخوارج^(٣).

(١) كامل المبرّد، ج ٣، ص ١٣٥.

(٢) كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ١٦٨.

(٣) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٣٤.

٤- تاريخ الطبري (ج ٤، ص ١١٤)، وابن الأثير (ج ٣، ص ١٧٠) ما يقرب منها. وفيها: وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات.

أقول: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب هو زوج زينب بنت فاطمة (ع) وأحد أجواد الحجاز، والمصاحب مع الإمام في حضره وسفره، والمقتول بالحرّة ابناه عون وأبوبكر وبالطّف أيضاً ابنان آخران له.

٥- قال الحسن بن عليّ: وأتيت سحراً فجلست إليه، فقال: إني بتّ الليلة أوقظ أهلي فملكنتني عينايا وأنا جالس فسنح لي رسول الله (ص)، فقلت: يا رسول الله! ما لقيت من أمّتك من الأود واللّد، فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: أللّهمّ أبدلني بهم خيراً لي منهم وأبدلهم شراً لهم مني^(١).

أقول: بات يفعل كذا أي يفعل في الليل. سنح الأمر: عرض. الأود بالتحريك: الكدّ والتعب. واللّد بالتحريك: الخصومة الشديدة.

وابن النّباح: هو عامر بن النّباح مؤدّن أمير المؤمنين (ع).

ثمّ إنّ نقل أمير المؤمنين (ع) تلك الرؤيا المهمّة للإمام يكشف عن مقامه وخلافته ووصايته، فإنّ أمير المؤمنين يشير بهذه الرؤيا إلى مواجهة حادثة عظيمة توجب التحوّل في المملكة والملة، وعلى الإمام المجتبي أن يتهيأ في قبال هذه الفاجعة ويتشّبّه ويتصدّى لأمر الملة ويقوم بنظم اجتماعهم.

وهو شديدٌ بأسه والحقّ مُرّ فانهزم الجمع وولّوا الدُّبُر

يا ويلهم قد هدموا قصرًا سَمًا بالشّرف الأقصى إلى هام السّما

فخرٌ من عُليا قريش ماجد من لا يجاذي كعبه الأماجد

٦- عن عاصم: قلت للحسن بن عليّ: إنّ الشيعة يزعمون إنّ عليّاً رضي الله عنه

(١) الطبقات، ج ٣، ص ٣٦.

يرجع؟ قال: كذب أولئك الكذّابون، لو علمنا ذلك ما تزوّج نساءه ولا قسّمنا ميراثه^(١).

الطبقات (ج ٣، ص ٣٩) ما يقرب منها. وفيها: يزعمون إنّه دابّة الأرض وسيبعث قبل يوم القيامة؟ قال.

(١) مسند أحمد، ج ١، ص ١٤٨.

٢٩ - الإمام (ع) وابن ملجم

١- فدعا به الحسن رضي الله عنه، فقال عبدالرحمن (هو ابن ملجم): إن لك عندي سرّاً! فقال الحسن رضوان الله عليه: أتدرون ما يريد؟ يريد أن يقرب من وجهي فيعضّ أذني فيقطعها. فقال: أما والله لو أمكنتني منها لأفعلتها من أصلها. فقال الحسن: كلاً والله لأضربتك ضربة تؤدّيك إلى النار! فقال: لو علمت أنّ هذا في يديك ما اتخذت إلهاً غيرك. فقال عبدالله بن جعفر: يا أبا محمد! ادفعه إليّ أشفّ نفسي منه^(١).

٢- فلما قبض عليه السلام بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل عليّاً ومعاوية أو أموت دونها! فإن شئت خلّيت بيني وبينه ولك الله عليّ إن لم أقتله أو قتلته ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك! فقال له الحسن: أما والله حتى تعالين النار فلا، ثم قدّمه فقتله. ثم أخذته الناس فأدرجوه في بوازي ثم أحرقوه^(٢).

ويروي ابن الأثير (ج ٣، ص ١٧٠)، وابن خلدون (بقيّة الثاني، ص ١٨٥) ما يقرب منها.

أقول: قد سبق في وصيّة أمير المؤمنين (ع) ما يرتبط بالموضوع. والحطيم بالفتح:

(١) كامل المبرّد، ج ٣، ص ١٠٩.

(٢) تاريخ الطبري، ص ١١٤.

الجدار ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، أو الركن الذي فيه الحجر.

٣- عن ابن الحنفية قال: دخل علينا ابن ملجم الحمام، وأنا وحسن وحسين جلوس في الحمام، فلما دخل كأنهما إشمأزا منه، وقالوا: ما أجراك تدخل علينا! قال: فقلت لهما: دعاه عنكما! فلعمري ما يريد بكما أحشم من هذا. فلما كان يوم أُتي به أسيراً، قال ابن الحنفية: ما أنا اليوم بأعرف به مني يوم دخل علينا الحمام^(١).

أقول: الإشمأز: الإنباض والكرهة. الحشم: الغضب.

٤- روي عن النبي (ص) أنه قال: يا علي! أتدري من أشق الأولين والآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أشق الأولين عاقر الناقة وأشق الآخرين الذي يطعنك يا علي، وأشار إلى حيث طعن، قال: وخرج علي في ليلة قتل وهو يقول:

أشدّ حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيكَا

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكَا^(٢)

أقول: الحيزوم: وسط الصدر، وشدّ الحيازيم كناية عن الصبر. حلّ به: نزل فيه. الوادي: الطريق، ومنفرج بين الجبال، والمسيل.

٥- عن سعيد بن جبیر، إنّ الحسن بن عليّ خطب الناس، فقال: يا أهل الكوفة! لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت، مقتلكم أبي، ولم يتمّه^(٣).

(١) الطبقات، ج ٣، ص ٣٥.

(٢) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٣٥.

(٣) الكنى للدولابي، ج ٢، ص ٤٧.

٣٠ - خطبة الإمام (ع) بعد قتل أبيه

١- عن علي بن الحسين قال: خطب الحسن بن علي الناس حين قتل علي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون، وقد كان رسول الله (ص) يعطيه الراية فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فما رجع حتى يفتح الله عليه، وما ترك على أهل الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطايه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثم قال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي وأنا ابن النبي وأنا ابن الوصي وأنا ابن البشير وأنا ابن النذير وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وأنا من أهل البيت الذي افترض الله موذتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيه (ص): ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، فاقتراف الحسنة موذتنا أهل البيت^(١).

٢- فقال: لقد قتلتهم الليلة رجلاً في ليلة فيها نزل القرآن، وفيها رفع عيسى (ع)، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى (ع)، والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، والله إن كان رسول الله (ص) ليبعثه في السريّة وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة أو سبعمائة أرصد

(١) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٧٢.

لخادم^(١).

الكامل لابن الأثير (ج ٣، ص ١٧٣) يروي نظيرها.

٣- عن هبيرة، قال: جمع الناس الحسن بن عليّ وعليه عمامة سوداء لما قتل أبوه، فقال: لقد قتلتهم بالأمس رجلاً ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، وإن رسول الله (ص) قال: لأعطينَّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ويقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ثم لا تردّ رايته حتّى يفتح الله عليه، ما ترك ديناراً ولا درهماً إلاّ تسعمائة أخذها عياله من عطاء كان أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله^(٢).

٤- عن هبيرة، قال: سمعت الحسن بن عليّ قام يخطب الناس، فقال: يا أيّها النّاس! لقد فارقتكم أمس رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، لقد كان رسول الله (ص) يبعثه المبعث فيعطيه الرّاية فما يُردّ حتّى يفتح الله عليه، انّ جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، ما ترك صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً^(٣).

٥- يروي بإسناده: خطب الحسن بن عليّ بعد وفاة أمير المؤمنين عليّ (ع)، فقال: لقد قبض في هذه اللّيلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله (ص) فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه، وقد توفّي في هذه اللّيلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفّي فيها يوشع بن نون وصيّ موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً

(١) تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٩١.

(٢) خصائص النسائي، ص ٦.

(٣) الطبقات، ج ٣، ص ٣٨.

لأهله .

ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه، ثم قال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أنا ابن البشير أنا ابن النذير أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

ثم قام ابن عباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا له، وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه^(١).

٦- وقال الحسن صبيحة تلك الليلة: أيها الناس! إنّه قتل فيكم الليلة رجل كان رسول الله (ص) يبعثه، فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا ينثني حتى يفتح الله له، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم^(٢).

٧- خرج الحسن إلى المسجد الأعظم، فاجتمع الناس إليه فبايعوه، ثم خطب الناس فقال: أفعلتموه قتلتم أمير المؤمنين! أما والله لقد قتل في الليلة التي نزل فيها القرآن ورفع فيها الكتاب وجفّ القلم، وفي الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران وخرج فيها بعيسى^(٣).

أقول: الإقتراف أي الإكتساب. والإكتناف: الحفظ والإعانة. والإنشاء: الإنعطاف. والدرهم بالكسر: اسم للمضروب من الفضة قريباً من مثقال.

٨ - عن الحرث، قال: إن علياً قُتِلَ صبيحة إحدى وعشرين من رمضان،

(١) المقاتل، ص ٥١.

(٢) عقد الفريد، ج ٤، ص ٣٦٠.

(٣) الأخبار الطوال، ص ١٩٩.

فسمعت الحسن بن عليّ يقول وهو يخطب وذكر مناقب عليّ، فقال: قتل ليلة أنزل القرآن وليلة أسري بعيسى وليلة قبض موسى، وصلى عليه الحسن بن عليّ عليها السلام^(١).

أقول: في هذه الخطب التي خطبها الإمام تلقاء أكثر أهل الكوفة، وفيهم من المهاجرين والأنصار والتابعين ومن المخالفين والمؤلفين، ما يبلغ عددهم ألوفاً، جمالات في الإشارة إلى مقامات أهل البيت وبيان شأنهم وفضلهم، نشير إليها:

١- رجل لا يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون، والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده، لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل: فهو (ع) أفضل من سبق ومن تأخر إلا رسول الله (ص)، فإنّ خروجه خروج موضوعي واستثنائه معلوم لا مرية فيه.

٢- رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله: وردت روايات كثيرة تدلّ على هذا المعنى، في موارد مختلفة.

٣- يعطيه الرّاية فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، لبيعه في السريّة وجبريل، فيكنفه جبريل عن يمينه: هذا من فضائل أمير المؤمنين (ع) الخاصّة به، وأمّا خصوصيات هذه الفضيلة وكيفيّة معناها فلا يُحيط بها علماً.

٤- فما رجع حتّى يفتح الله عليه، ثمّ لا تردّ رايته حتّى، فما يردّ حتّى يفتح الله، فلا يرجع حتّى، فلا ينثني حتّى: إشارة إلى ثبوت قدمه ونفوذ أمره وشجاعته وقوّة قلبه، في مقابل أفراد آخرين الذين رجعوا وفرّوا عن القتال منهزمين خائفين.

٥- ما ترك على أهل الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطايه أراد أن يبتاع، والله ما ترك صفراء، ما ترك ديناراً، وما خلف صفراء: إشارة إلى نهاية زهده وتقواه بحيث ما ترك من الدنيا شيئاً مع أنّه كان سلطان العرب

(١) مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١٤٣.

والعجم وبيده ملك اليمن والحجاز والعراق وإيران ومصر وما والاها.

٦- أنا ابن النبي، أنا ابن الوصي، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس: يشير بهذه الجملات إلى منهاج سيره وطريق سلوكه وبرنامج عمله، ويصرح بها بأن خلافته خلافة نبوية ووصاية إلهية وليس مقصده إلا الدعوة إلى الله المتعال، فإنه من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

٧- افترض الله موذتهم على كل مسلم: يشير إلى أن موذته واتباعه واطاعته فريضة إلهية على كل من يعتقد بالله المتعال ورسوله (ص) وكتابه العزيز.

ثم إننا نستظهر من هذه الخطب التي خطب بها الإمام في أول يوم بعد رحلة أبيه أمير المؤمنين وفي مبداء زمان يتوقع فيها بيعة الناس له بالخلافة، برنامج خلافته.

ولا يبعد أن الإمام أيضاً كان ناظراً إلى هذا المعنى وقاصداً كشف ذلك البرنامج، ويدل عليه: أن الإمام بعد الإشارة إلى شهادة أبيه، قد عرّف نفسه بكلمات مخصوصة. ونحن نشير إجمالاً إلى خلاصة ما استظهرناه:

١- إنه خليفة من لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون.

٢- إنه يسلك سلوك من يكتنفه جبريل عن يمينه.

٣- إنه يتبع عمّن لا يرجع عن الجهاد حتى يفتح الله عليه.

٤- إنه يسير سيرة من لم يترك بعده إلا سبعمائة درهم.

٥- إنه وصي من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

٦- إنه خليفة من رفع في ليلة قبض فيها يوشع وعرج بعيسى بن مريم ونزل فيها القرآن. فختم أمره كذلك.

٧- إنه من أهل بيت التطهير الذين أذهب الله عنهم الرجس.

٨- إنه يسير إثر من لم يترك من الدنيا إلا سبعمائة درهم.

٩- إنه من أهل بيت افترض الله موذتهم على كل مسلم.

١٠- إنه ابن النبيّ وابن الوصيّ وابن البشير النذير الداعي إلى الله وابن السراج المنير. ولا بدّ إنّ سلوكه بلحاظ هذه العناوين الروحانيّة.
فهذا برنامج خلافته وولايته.

٣١ - خلافة الإمام (ع) والبيعة

- ١- وغسّله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر^(١).
- ٢- ويروي أيضاً (ص ٣٨) إنّ الحسن بن عليّ صلّى على عليّ بن أبي طالب، فكبرّ عليه أربع تكبيرات، ودفن عليّ بالكوفة عند مسجد الجماعة في الرّحبة ممّا يلي أبواب كِنْدَةَ قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر، ثمّ انصرف الحسن بن عليّ من دفنه، فدعا الناس إلى بيعته فبايعوه.
- ٣- ودخل عليه الناس يسألونه، فقالوا: يا أمير المؤمنين! رأيت إن فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن؟ قال: لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر^(٢).
- أقول: ولا يخفى أنّ سؤالهم هنا عن البيعة للخلافة الظاهرية والحكومة والإمارة العرفية، ولم يكن لها مفهوم غيرها يومئذ، وبدلّ عليه جريان الصلح والتفويض، فإنّ الولاية الحقيقية الإلهية غير قابلة للتفويض والإعراض.
- ٤- ولما قتل عليّ رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن وأوّل من بايعه قيس بن سعد، وقال: ابسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقاتل الملحدين! فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله، ويأتیان على كلّ شرط. ثمّ بايعه الناس. فكان يشترط عليهم: إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمته وتحاربون من حاربت، فارتابوا وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال^(٣).

(١) الطبقات، ج ٣، ص ٣٧.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٨٠، ومروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢، وابن خلدون، بقية الثاني، ص ١٨٥.

(٣) ابن خلدون، بقية الثاني، ص ١٨٦.

- ابن الأثير (ج ٣، ص ١٧٤)، وابن الوردي (ج ١، ص ١٦٦) مثلها.
- ٥- ولما قتل أبوه علي رضي الله عنه، بايعه أكثر من أربعين ألفاً، كلهم قد كانوا بايعوا أباه علياً قبل موته على الموت، وكانوا أطوع للحسن وأحبّ فيه منهم في أبيه، فبقي نحواً من أربعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان^(١).
- ٦- أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين وبيعة الحسن، فقام على المنبر... ثم قال: وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله (ص) وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أن يجبر الله به ما وهى ويشدّ به ما انثلم ويجمع به الشمل ويطفى به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا! فبايعت الشيعة كلّها وتوقفت ناس ممن كان يرى رأي العثمانيّة ولم يظهروا أنفسهم بذلك وهربوا إلى معاوية (أي من البصرة)^(٢).
- ٧- لما قتل علي بايع أهل الكوفة الحسن بن علي، وأطاعوه وأحبّوه أشدّ من حبّهم لأبيه^(٣).
- ٨- ولي الخلافة بعد قتل أبيه، وبايعه أكثر من أربعين ألفاً كانوا بايعوا أباه، وبقي نحو سبعة أشهر خليفة بالحجاز واليمن والعراق والخراسان وغير ذلك^(٤).
- ٩- لما بايعه أهل العراق فظفّق يشترط عليهم الحسن: إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمته وتحاربون من حاربت، فارتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال، فلم يلبث الحسن بعد ما بايعوه إلا قليلاً، حتى طعن بطعنة أشوته، فزاد لهم بغضاً ومنهم ذعراً وفزعاً، فكاتب معاوية^(٥).

(١) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٥.

(٢) الأغاني، ج ١١، ص ١١٦.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٤) طبقات الشعرا (الإمام).

(٥) تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٩٣.

١٠- مكث الحسن نحواً من ثمانية أشهر لا يسلم الأمر إلى معاوية، وحجّ بالناس تلك السنة سنة أربعين المغيرة بن شعبة من غير أن يؤمره أحد وكان بالطائف، وسلم الأمر الحسن إلى معاوية في النصف من جمادى الأولى من سنة إحدى وأربعين، فبايع الناس معاوية حينئذ، ومعاوية يومئذ ابن ستّ وستين إلا شهرين^(١).

قال أبو عمر: هذا أصحّ ما قيل في تاريخ عام الجماعة، وعليه أكثر أهل هذه الصناعة من أهل السرّ والعلم بالخبر، وكلّ من قال إنّ الجماعة كانت سنة أربعين فقد وهم ولم يقل بعلم.

١١- ثمّ صالح معاوية في شهر ربيع الأول سنة ٤١، وقد رأى قوم إنّ ذلك كان في جمادى الآخرة أو الأولى من هذه السنة، والأول أشهر وأصحّ عندنا من مدّة أيامه، وكانت خلافته إلى أن صالحه ستّة أشهر وثلاثة أيّام^(٢).

١٢- وبلغ عليّاً خبر بسر فوجّه جارية بن قدامة في ألفين... حتّى بلغ مكة، فقال لهم جارية: بايعونا! فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب عليّ، فتناقلوا ثمّ بايعوا، ثمّ سار حتّى أتى المدينة وأبو هريرة يصلّي بهم فهرب منه، فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثمّ قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن عليّ! فبايعوه وأقام يومه ثمّ منصرفاً إلى الكوفة^(٣).

١٣- عن حارثة، قال: سمعت الحسن بن عليّ يقول: والله لا أبايعكم إلاّ على ما أقول لكم، قالوا: ما هي؟ قال: تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت. ولما تمّت البيعة خطبهم^(٤).

١٤- وبويع الحسن بن عليّ ويكنّى أبا محمّد بعد وفاة أبيه بيومين، وذلك لسبع

(١) الإستيعاب، ج ١، ص ٢٨٧.

(٢) التنبيه والإشراف، ص ٢٦٠.

(٣) الطبري، ج ٤، ص ١٠٧.

(٤) مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٧٣.

بقين من شهر رمضان سنة ٤٠ (١).

١٥ - عن سفينة، قال رسول الله (ص): الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة، ثمّ ملك بعد ذلك، ثمّ قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثمّ قال: قال لي: أمسك خلافة عليّ، قال: فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد: فقلت إنّ بني أميّة يزعمون أنّ الخلافة فيهم! قال: كذبوا بني الزرقاء، بل هم ملوك من شرار الملوك (٢).

وقال أبو بكر بن العربي في شرحه: زاد بعضهم: والحسن ستّة أشهر.

١٦ - وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم، فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحة، ولا ينظر إلى حديث - الخلافة بعدي ثلاثون سنة - فإنّه لم يصحّ، والحقّ أنّ معاوية في عداد الخلفاء (٣).

أقول: والعجب من هذا المورّخ المتعصّب كيف يسامح في تحقيق الحكومة الإسلاميّة ويعمّم مفهومها، ويقول إنّ معاوية تاليهم في الفضل والعدالة والصحة، مع أنّ كتب الفريقين مشحونة من مطاعنه ومظالمه، ويكفيك محاربتة عليّاً أمير المؤمنين واستخلافه ابنه شارب الخمر، وبذله المال في سمّ الإمام الحسن (ع). وأمّا قوله في تضعيف الحديث: فهو حسن.

ثمّ إنّ الأصل في الخلافة والحكومة الظاهريّة أن تكون موافقة للخلافة الحقيقيّة، حتّى يطابق التكوين التشريع ويوافق الواقع الظاهر، ولا يحصل خلاف بين الباطن والظاهر، ويسري نور الحقّ في المراتب كلّها، ويجري قانون العدل والنظم في جميع المراحل - ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين - حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله

(١) التنبيه والإشراف، ص ٢٦٠.

(٢) سنن الترمذي، ص ٣٢٣.

(٣) ابن خلدون، بقية الثاني، ص ١٨٨.

وهم كارهون - وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا.

وأما الخليفة الحق فليس بواجب له أن يتصدى بذلك الأمر ويُعدّ عدّة ويتوسّل بأيّ وسيلة ممكنة حتّى يجتاز الحكومة الظاهريّة والإمارة العرفيّة، فإنّ الناس بعد بيان تكاليفهم مختارون في اتّباع الحقّ وإطاعة الأمر والعمل بالحكم، وما على الرّسول إلّا البلاغ، فإن تولّوا فإنّما عليك البلاغ المبين، فهل على الرّسل إلّا البلاغ المبين، فتولّى عنهم وقال لقد أبلغتكم رسالة ربّي.

نعم، على الناس أن يختاروا خليفة حقّ ويتبعوا سبيله ويطيعوا أمره ويهتدوا بهداه، وأن لا يتولّوا عنه، أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشوا، إني لكم رسول أمين فاتّقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين، يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرّسول. فانكشف من هذه الكلمات أمور:

١- إنّ الأصل في الحكومة الظاهريّة مطابقتها الحقيقة والواقع - فقال الإمام (ع) على كتاب الله وسنّة رسوله وبأتيان على كلّ شرط - وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسوله، فبايعوه ترشدوا.

٢- إنّ الناس بعد بيان الحقيقة وبلاغ الحكم مختارون في مقام العمل، فإن شاؤوا يهتدوا بنور الحقّ أو يضلّوا - قال عليّ (ع): لا آمركم ولا أنهاركم أنتم أبصر - أي مختارون بعد بيان الحقّ وترون سبيل الهدى وتبصرون صراط الذين هديهم الله.

٣- الوظيفة الواجبة والفريضة القاطعة على الناس أن يطيعوا الله ورسوله ومن يهدي إلى أمر الله، حتّى لا يكون خلاف بين الأحكام الإلهيّة الواقعيّة والأحكام الظاهريّة - ولا تطيعوا أمر المسرفين - قال الإمام (ع): إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت، والله لا أبايعكم إلّا على ما أقول لكم.

٤- الدعوة إلى البيعة الظاهريّة والخلافة العرفيّة واجبة للإمام من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في سائر الأحكام، وهذا مشروط بشرائط معروفة مذكورة في محلّها - فدعا الناس إلى بيعته - وقال: والله لا أباعكم إلّا على ما أقول لكم تسالمون من سالمت.

٣٢ - الخلافة الحقيقية

الخلافة الحقيقية: هي الخلافة عن الله في أرضه وفيما بين خلقه، وهذه هي المقصودة من خلق الانسان، والانسان التام الكامل الذي هو مظهر صفاته العليا وأسمائه الحسنی هو خليفة الله، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ولا اعتناء بالأفراد الذين يتبعون الأهواء ولا يريدون إلا الحياة الدنيا وهم عن الآخرة والحقيقة لغافلون.

وأكثر الناس قد غفلوا عن هذا المعنى، وجهلوا تلك الحقيقة، ولم يتوجهوا إلى حقيقة الخلافة، واشتبه عليهم مفهوم الملك والحكومة، ولم يفرقوا بين الخلافة الحقة والسلطنة العرفية، حتى أن الملائكة اشتبهت عليهم حقيقة الانسان، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

فالإمام هو خليفة رسول الله وخليفة الله في أرضه وفيما بين خلقه، وهو الحجة البالغة على عباده، والانسان الكامل المظهر لصفات الله عز وجل، وبه يهتدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وهو الداعي إلى الله وإلى الحق، وهو الحق ومع الحق ولا يريد إلا الحق، كما قال رسول الله (ص) في حق علي (ع) إنه مع الحق والحق معه. وقال رسول الله (ص): إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

وهذا مقام محفوظ ومرتبة روحانية ثابتة، لا مجعولة بجعل الناس واعتبارهم، ولا مقدرة بانتخابهم واتفاقهم، ولا مربوطة بالمقامات الدنيوية المادية، ولا ملازمة الحكومة والقدرة والسلطنة الظاهرية. قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ

عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعِ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴿٦٢﴾.

الشرف المؤبد (ص ٦٢)، قال العلامة الصبّان: ولما نزل (الحسن بن علي) عنها ابتغاء وجه الله تعالى عوضه الله وأهل بيته عنها بالخلافة الباطنية، حتى ذهب قوم إن قطب الأولياء في كلّ زمان لا يكون إلا من أهل البيت... ورأيت في شرح المناوي الكبير: أن سلسلة أهل الطريق تنتهي من كلّ وجه إلى أهل البيت، فجهات طرق المشايخ ترجع عامتها إلى أبي القاسم الجنيد، وبداية أبي القاسم أخذها من خاله السري، وهو ائتمّ بمعروف، وكان معروف مولى علي بن موسى الرضا وهو عن آباءه رضي الله عنهم، فرجع الكلّ إلى عليّ كرم الله وجهه.

وأما النصوص الدالة على خلافته الحقيقية الإلهية، المذكورة في الأبواب السابقة واللاحقة، فنشير إليها بالإجمال:

١- باب حسبه ونسبه. ٢- فالحسن والحسين نوران من نور رب العالمين: قال تعالى في حقّ رسوله (ص): ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

٢- حسبه ونسبه. ١٣- لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم إن شكرتم نعم السوابع ندعوكم إلى النجاة: قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾، وقال تعالى: ﴿لَيْتَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾.

٣- بعد ميلاد الإمام. ١- ٢- أعيدكما بكلمات الله التامة من كلّ شرّ شيطان وهامة ومن كلّ عين لامة وهكذا كان يعوذ إبراهيم إسحاق وإسماعيل. فمن يعوذه رسول الله (ص) من الشرّ فهو محفوظ في حماية الله وفي ظلّ كلماته التامة، كما أنّ إبراهيم قد عوّد إسحاق وإسماعيل وصارا نبيين. وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ

وَذَرِيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤﴾.

٤- شمائله (ع). ١- أشبه أهله به وأحبهم إليه الحسن بن علي (ع). الأشبهية في الشمائل والصورة تكشف عن التشابه في المعنى والسيرة والروحانية، ويؤيده كونه محبوباً عنده.

٥- إنه ريحانة رسول الله (ص). ١- ٢- ٣- هما ريحانتاي من الدنيا، ريحانتي من هذه الأمة. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

٦- اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبَهُ. ٢- ٣- اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبَهُ فَأَحْبَبَهُ وَأَحَبَّ مَنْ يَحِبُّهُ: في جملة: فأحبه وأحب من يحبه، دلالة على أن هذا الحب معنوي روحاني إلهي لا مادي متحصّل من النسب والحسب والمجاهات الصورية. قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. وفي باب (اللهم أحبها). ٧- مَنْ أَحَبَّهَا أَحْبَبَنِي وَمَنْ أَحْبَبَنِي أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَبْغَضَهَا أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضَنِي أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ، فيها دلالة صريحة على ما قلنا.

٧- مَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى رَسُولَ اللَّهِ. ٢- ٣- مَنْ آذَى هَذَا فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ. أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتكم: فيها دلالة على تطابق نظرهم وتوافق مقصدهم، فلا يشاؤون إلا ما يشاء الله ورسوله ولا يخالفون إلا بما يخالفه الله ورسوله، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

٨- إِنَّهَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ١- ٢- ٣- يدل على قرارهما في مقام رفيع ومرتبة عالية من درجات أهل الجنة، ولا مقام أعلى من مقام سيادة أهل الجنة.

٩- باب الإمام وآية التطهير. ١- ٢- ٣- ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾: هذا أعلى مقام الطهارة والعصمة الإلهية.

١٠- أهل البيت . ١- ٢- ٦- ما إن أخذتم لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، هم أساس الدّين وعماد اليقين إليهم يفيء الغالي ويلحق التالي ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة: فيها تصرّح بولايتهم ومرجعيتهم الكبرى للأمة الإسلاميّة وخلافتهم عن رسول الله (ص) . وفي ١٠- يقول الإمام: نحن حزب الله المفلحون وعتره رسول الله الأقربون وأهل بيته الطّاهرون الطّيبون وأحد الثقلين اللّذين خلفها رسول الله (ص) .

١١- وصيّة أمير المؤمنين له (ع) . ٢- وجدتكم بعضي بل وجدتكم كليّ حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني: فيها دلالة على مقام انتخابه للوصاية، وتصرّح بمساواة مرتبته مقام الأمير (ع) .

١٢- خطبة الإمام (ع) بعد قتل أبيه . ١- ٢- أنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، أنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرّجس: يشير إلى أنّه واحد من مصاديق موارد نزول جبريل وصعوده ومن الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم .

هذه إثني عشر وجهاً أشرنا إليها ممّا نقلناها في هذا الكتاب من كتب أهل السنّة صحاحهم وسننهم .

ونذكر مختصراً ممّا في كتب أحاديث أهل البيت في هذا الموضوع:

الكافي (باب الإشارة والنصّ إلى الحسن (ع)) عن سليم بن قيس ، قال: شهدت وصيّة أمير المؤمنين (ع) حين أوصى إلى ابنه الحسن (ع) ، وأشهد على وصيّته الحسين ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح . وقال لابنه الحسن (ع): يا بُنَيَّ! أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله (ص) ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثمّ أقبل إلى ابنه الحسين، فقال له: وأمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثمّ أخذ بيد عليّ بن الحسين، ثمّ قال

له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي، وأقرئه من رسول الله (ص) ومني السلام.

ويروي أيضاً قريباً منها عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

ثم يروي عن أبي جعفر الباقر (ع): أن أمير المؤمنين (ع) لما حضره الذي حضره، قال لابنه الحسن (ع): ادن مني حتى أسر إليك ما أسر إلي رسول الله (ص) وأتمنك ما أتمني عليه! ففعل.

ويروي أيضاً (باب ما نص الله ورسوله على الأمة) عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؟ فقال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام.

الوافي (باب ما ورد من النصوص على عددهم) عن أبي عبد الله (ع)، عن جابر قال: رأيت مكتوباً في لوح فاطمة (ع): وإني فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك وسبطيك الحسن والحسين، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمته بالشهادة... الحديث.

بحار الأنوار (ج ١٠، ص ٧٨) ويستدل على إمامتها بما رواه الطريقان المختلفان والطائفتان المتباينتان من نص النبي (ص) على إمامة الإثني عشر، وإذا ثبت ذلك فكل من قال بإمامة الإثني عشر قطع على إمامتها. ويدل أيضاً ما ثبت بلا خلاف: إنهم دعوا الناس إلى بيعتهم والقول بإمامتها، فلا يخلو من أن يكونا محقين فقد ثبت إمامتها وإن كانا مبطلين وجب القول بتفسيقهما وتضليلهما، وهذا لا يقوله مسلم.

ويستدل أيضاً بأن طريق الإمامة لا يخلو إما أن يكون هو النص أو الوصف أو الاختيار، وكل ذلك قد حصل في حقها، فوجب القول بإمامتها.

ويستدل أيضاً بما قد ثبت بأنهم خرجوا وأدعوا، ولم يكن في زمانها غير معاوية

ويزيد، وهما قد ثبت فسقهما بل كفرهما، فيجب أن تكون الإمامة للحسن والحسين.
ويستدل أيضاً بإجماع أهل البيت لأنهم أجمعوا على إمامتهما، وإجماعهم حجة.
ويستدل بالخبر المشهور - إنه قال: - ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا. أوجب لهما
الإمامة.

أقول: هذه نصوص صحيحة من كتب أهل السنة أو الإمامية ووجوه برهانية
لخلافة الإمام المجتبي سلام الله وصلواته عليه وعلى جدّه وأبيه وأمه وأخيه. ويكفي
ورود واحد منها في إثبات تلك الحقيقة الإلهية.

سَمَّاهُ سَيِّدَ الْبَرَايَا سَيِّدَا	كفاه فضلاً لو نظرت جيِّدا
فهو له السموّ والسِّيادة	في ملكوت الغيب والشَّهادة
أعطاه جدّه نبيّ الرِّحمه	سؤدده وعلمه وحلمه
مَنْ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَأَتَمَّنَهُ	سبحان مَنْ أبدعه وأتقنه (*)

٣٣ - مكاتبة الإمام (ع) معاوية

١- وكتب الحسن إلى معاوية مع جندب بن عبدالله الأزدي: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك! فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإن الله تعالى عز وجل بعث محمداً (ص) رحمة للعالمين ومته على المؤمنين، وكافة إلى الناس أجمعين، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فيبلغ رسالات الله وقام على أمر الله حتى توفاه الله غير مقصّر ولا وان، حتى أظهر الله به الحق ومحق به الشرك ونصر به المؤمنين، وأعز به العرب وشرّف به قريشاً خاصة، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

فلما توفي (ص) تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمد في الناس وحقه، فرأت العرب أنّ القول كما قالت قريش، وأنّ الحجّة لهم في ذلك على من نازعهم أمر محمد (ص)، فأنعمت لهم العرب وسلّمت ذلك.

ثمّ حاجبنا نحن قريشاً بمثل ما حاجت به العرب، فلم ينصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياؤه إلى محاجتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومرامتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الوليّ النصير.

وقد تعجّبنا لتوتّب المتوتّبين علينا في حقنا، وسلطان نبينا (ص) وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدّين أن يجد المنافقون

والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساد. فالיום فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب وابن أعدى قريش لرسول الله (ص)، ولكن الله خبيك وسترّد فتعلم لمن عقبى الدار، تالله لتلقين عن قليل ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد.

إنّ عليّاً رضوان الله عليه لما مضى لسبيله - رحمة الله عليه يوم قبض ويوم منّ الله عليه بالإسلام ويوم يبعث حياً - ولأني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامته، وإنّما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله سبحانه وتعالى في أمرك، ولك في ذلك إن فعلت الحظّ الجسيم وللمسلمين فيه صلاح.

فدع التماذي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك لتعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كلّ أوّاب حفيظ ومَن له قلب منيب.

وأثق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقية به، فادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومَن هو أحقّ به منك، ليطفى الله النائرة بذلك وتجمع الكلمة وتصلح ذات البين. وإن أنت أبيت إلاّ التماذي في غيئك نهدت إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين^(١).

أقول: الأسرة بالضمّ أي العائلة. المراغمة: المعادة والقهر. العنت بالتحريك: الشدة والأذى. التوثب: الاستيلاء ظلماً. المغمز بالفتح: المطعن. ثلم فيه: أحدث فيه خلاً. نهدي إليه: قام وأسرع إليه.

٢- ثمّ يروي (ص ٥٧) جواب معاوية له (ع):

(١) المقاتل، ص ٥٥.

من عبدالله أمير المؤمنين إلى الحسن بن عليّ، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو... فرأيتك صرّحت بتهمة أبي بكر الصّدّيق وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين وحواري الرسول (ص) وصلحاء المهاجرين والأنصار... ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعامّتهم أن يولّوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاماً وأعلمها بالله وأحبّها له وأقواها على أمر الله واختاروا أبا بكر... ولو رأى المسلمون فيكم من يغني غناه أو يقوم مقامه أو يذبّ عن حريم المسلمين ذبه: ما عدوا بذلك الأمر إلى غيره... والحال فيما بينك وبينني اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبيّ (ص) ولو علمت أنّك أضبط للرعية مني وأحوط في هذه الأمة وأحسن سياسة وأقوى على جمع المال وأكيد للعدوِّ لأجبتك إلى ما دعوتني إليه... إلخ.

أقول: في هذه الكلمات مكابرة ومغالطة شديدة:

قوله - صرّحت بتهمة أبي بكر: ليس في كلامه (ع) صراحة ولا كناية بتهمة أو تهمة غيره، وإنّما غرضه نقل جريان الأمر بعد رحلة رسول الله (ص)، حيث قال: ثمّ حاجبنا نحن قريشاً بمثل ما حاجت به العرب فلم ينصفنا قريش. فيذكر قريشاً من دون أن يسمّي واحداً من أفرادها.

قوله - ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار: هذا الرأي إنّما ظهر في السقيفة، وقد ذكرنا ما جرى فيها في كتابنا الحقائق في تاريخ الإسلام، وبيّنا أنّ مبدأ هذا الرأي من ثلاثة رجال، والباقون من المهاجرين والأنصار كانوا مخالفين، فراجع.

قوله - أقدمها إسلاماً وأعلمها بالله وأحبّها له: راجع كتاب الحقائق وغيره من الصحاح والمسانيد تجد فيها وتستيقن أنّ هذه المقامات قد وجدت وتحققت في عليّ أمير المؤمنين (ع) خاصّة.

قوله - ولو رأى المسلمون فيكم: لم يكن مجال ليرى المسلمون ما فيه صلاحهم، ولم تتحقّق هذه الحكومة باختيار وانتخاب من المسلمين وجمع آرائهم، مع أنّ الخلافة

الإلهية لازم أن تكون معيّنة من جانب الله ومن جانب رسوله، الله يعلم حيث يجعل رسالته، ولا سبيل للناس لجعل خليفة الله في أرضه.

قوله - والحال فيما بينك وبينني: جواب هذه الجملة موجود في كتاب الإمام حيث قال: فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب وابن أعدى قريش لرسول الله (ص)، ولكن الله خبيك.

قوله - أضبط للرعية مني وأحوط في هذه الأمة وأحسن سياسة وأقوى على جمع المال وأكد للعدو: فليعجب المتعجب من هذه الصفات، حيث عدّها من صفات إمام المسلمين وخليفة رسول الله، وليس فيها من العلم والتقوى والعدل والحقّ والمعرفة أثر، مع أنّه قد عدّ من صفات الإمام أولاً بالنسبة إلى أبي بكر: الأقدمية في الإسلام والأعلمية بالله والأحبيّة لله وشدة القوّة على أمر الله. ولما رأى أنّ هذه الصفات غير منطبقة عليه بوجه، عدل عنها إلى هذه الصفات المنطبقة على الأمراء والسلطين العامة والحكام الجائرة. ومع هذا فهو يعترف في كتابه الآتي بأنّ الإمام أولى الناس بها.

ولنعم ما قال الإمام في كتابه: ولآني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامته.

ثمّ إنّ الإمام لما رأى كتاب معاوية هذا وغيره ومغالطته وتماديّه في الباطل وانحرافه عن الحقّ واتّباعه عن الهوى والدنيا: فأجاب بجملات فيها كفاية لمن كان له قلب سليم وألقى السمع وهو غير منازع.

ويقول فيها: فاتبع الحقّ تعلم أنّي من أهله.

٣- فأجابه الحسن بن عليّ (ع):

بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد، وصل إليّ كتابك تذكر فيه ما ذكرت، فتركت

جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحقّ تعلم أنّي من أهله، وعليّ إثم أن أقول فأكذب، والسّلام.

يريد الإمام إنّ المقابلة والجواب عن الباطل والتعرّض للبغي بغي ما لم يكن له سلطان، فإنّه يوجب الغفلة والتماذي للطرف الباغي ما دام باغياً ومنحرفاً عن الحقّ. ثمّ إنّ (ع) يستعيز من البغي ولو على العدو الباغي له، فإنّ الإمام لازم أن يكون مظهرًا للحقّ والصدق على كلّ حال وفي جميع الأمور.

فالكيد للعدوّ وجمع المال والتصدّي بالنظام الدنيوي ليست من شؤون الإمام الداعي إلى الحقّ والصدق.

فشان الإمام هو الخلافة الإلهيّة والولاية النبوّية والدعوة إلى الله تعالى ورسوله وبيان الحقائق والمعارف والأحكام وسوق الناس إلى الحقّ والكمالات الإنسانيّة.

وأما الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة: فهم لا يرون من جريان الأمور إلّا المال والملك والحظوظ النفسانيّة والمشتهيات الحيوانيّة، وعلى هذا الأصل ترى معاوية لا يذكر في كتابه إلّا ما يرجع إلى الأمور الدنيويّة والمناصب المادّيّة الظاهريّة.

٤- وفي كتاب معاوية إلى الحسن بن عليّ (ع): وإن أنت أعرضت عمّا أنت فيه وبايعتني، وفيت لك بما وعدت وأجزت لك ما شرطت وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس:

وإن أحدٌ أسدى إليك أمانة فأوف بها تدعى إذا متّ وافيًا

ولا تحسد المولى إذ كان ذا غنى ولا تُجفّه إن كان في المال فانيًا

ثمّ الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها^(١).

أقول: فمع أنّه يعترف بأولويّة الإمام بالخلافة، حيث إنّ ابن رسول الله (ص)

وأحبّ الخلق إليه وريحانته وسيّد شباب أهل الجنّة وأفضل الناس وأعلمهم وأتقيهم وأحبهم عند الله وعند رسوله والمؤمنين: يقول: وإن أنت أعرضت عن هذا المقام وبايعتني وفيت لك بما وعدت.

وكتب الحسن إلى معاوية: أمّا بعد، فإنك دسست إليّ الرجال كأنك تحبّ اللقاء، وما أشكّ في ذلك، فتوقّعه إن شاء الله، وقد بلغني أنّك شمتت بما لا يشمت به ذوو الحجى، وأمّا مثلك في ذلك كما قال الأوّل:

وقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تجهّز لأخرى مثلها فكان قد^(١)

أقول: دسّ عليه أي أعمل المكر فيه. اللّقاء: المقابلة والمصادفة، والمراد به الحرب. الشماتة: الفرح ببليّة الغير. فكان قد: فكأنّها قد نزلت وجاءت.

٥- قال جندب: فلما أتيت الحسن بن عليّ بكتاب معاوية، قلت له: إنّ الرجل سائر إليك فابداً أنت بالمسير حتّى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله، فإمّا أن تقدر أنّه يتناولك فلا والله حتّى يرى يوماً أعظم من يوم صفين. فقال: أفعل. ثمّ قعد عن مشورتي وتناسى قولي^(٢).

أقول: الإمام ليس من شأنه توسعة الملك وتحكيم الحكومة وإكراه الناس على الطاعة والتسليم ومحاربة المخالفين من المسلمين، إلّا أن يكون بداعي الدفع عن الفتنة والشرّ.

كما أنّ أمير المؤمنين عليّاً (ع) لم يكن نظره في حرب الجمل وصفين إلّا إطفاء فتنهم والدفاع عن عدوانهم وخلافهم، حتّى إنّ (ع) كان يوصي أصحابه بأن لا يبتدئوا على القتال.

ثمّ إنّ كتب الإمام المذكورة قد كشفت حقيقة الخلافة الإلهيّة، وأوضحت سبيل

(١) المقاتل، ص ٥٣.

(٢) المقاتل، ص ٥٨.

الحقّ لمن أراد أن يتّبعه - واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا - وقد تعجّبنا
لتوثب المتوثّبين علينا في حقّنا - إنّ عليّاً لما مضى لسبيله ولآني المسلمون الأمر بعده
- فأنتك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر - (كتاب ١) - فاتّبع الحقّ تعلم أنّي من أهله وعليّ
إثم أن أقول فأكذب - كتاب ٢.

وفي قبالها: فتدبّر في هذه الكلمات من معاوية: وأقوى على جمع المال وأكيد للعدوّ
لأجبتك - ولو أنت أعرضت عمّا أنت فيه وبابعتني وفيت لك بما وعدت - ثمّ الخلافة
لك من بعدي.

٣٤ - مآروي في معاوية

١- عن الشعبي، قال: خطب معاوية حين بويع له، فقال: ما اختلفت أمة بعد نبيا إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، ثم إنه انتبه فندم، فقال: إلا هذه الأمة فاتها واتها (١).

٢- ويروي عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة في الصحن، ثم خطبنا فقال: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك. وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. قال شريك أحد رواة الحديث: هذا هو التهتك.

٣- فقال لهم علي: عباد الله امضوا على حقاكم وصدقكم وقتال عدوكم، فإن معاوية وعمروا وابن أبي معيط وحبيبا وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالا ثم رجالا، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم ما رفعوها إلا خديعة ووهنا ومكيدة (٢).

ابن خلدون (بقيّة الثاني، ص ١٧٤) نظيرها.

٤- تاريخ ابن الوردي (ص ١٦٠) كما في الكامل. وفيها: فقالوا: لا تمنعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى، فقال علي (ع): إني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم كتاب الله، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم.

(١) المقاتل، ص ٦٩.

(٢) كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ١٣٦.

أقول : هذا قول أمير المؤمنين عليّ (ع) : إنّما قاتلتهم ليدينوا بحكم كتاب الله . وقد سمعت عن معاوية : وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك .

٥- إنّ قوماً من بني أميّة قالوا لمعاوية : يا أمير المؤمنين ! إنّك قد بلغت ما أمّلت ، فلو كفت عن لعن هذا الرجل ! فقال : لا والله حتّى يربو عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً^(١) .

٦- وفي كتاب معاوية إلى وجوه المسلمين : إنّ الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعليّ ابن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله ، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتّب أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائريهم ، فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجندكم^(٢) .

أقول : أتاح أي هبّأ وقدّر . الإغتيال : الخدعة .

ومن الروايات المتواترة : اللهمّ عاد من عاداه واخذل من خذله .

٧- في جواب الحسين بن عليّ إلى معاوية : ألتست قاتل حجر وأصحابه العابدين المحبّين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فقتلتهم ظلماً وعدواناً بعدما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكّدة جرأةً على الله واستخفافاً بعهده ، أوّلست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبليت وجهه العبادة ، فقتلته من بعدما أعطيته من العهود^(٣) .

٨- وكان عليّ إذا صلّى الغداة يقنت ، فيقول : اللهمّ العن معاوية وعمرواً وأبا الأعور وحبیباً وعبدالرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس والوليد^(٤) .

(١) ابن أبي الحديد في شرحه ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .

(٢) المقاتل ، ص ٦٠ .

(٣) الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

(٤) كامل ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

أقول: من الروايات المتواترة: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ.

وعمر هو ابن العاص بن وائل، وأمه النابغة. وأبو الأعور هو عمرو بن سليمان السلمي كان من أشدّ من عند معاوية على عليّ. وحبیب هو ابن مسلمة بن مالك الفهري، وهو الذي قال له الحسن بن عليّ (ع): ربّ مسير لك في غير طاعة الله. وعبدالرحمن بن خالد هو ابن الوليد القرشي المخزومي. والضحاك هو ابن قيس الفهري خليفة معاوية على الشام. والوليد هو ابن عقبة الفاسق. ونكرّر ذكرهم في باب ولاية معاوية.

٩- ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة، وبين يديه خالد بن عرفطة ومعه رجل يقال له حبیب بن عمّار يحمل رايته حتّى دخل الكوفة فصار إلى المسجد، فدخل من باب الفيل فاجتمع الناس إليه^(١).

١٠- ويروي (ص ٧١) عن السائب: بينا عليّ - عليه السلام - على المنبر إذ دخل رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! مات خالد بن عرفطة، فقال: ما مات. إذ دخل رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين! مات خالد بن عرفطة، فقال: لا والله ما مات ولا يموت حتّى يدخل من باب هذا المسجد، يعني باب الفيل، براية ضلالة يحملها حبیب بن عمّار. قال: فوثب رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! أنا حبیب بن عمّار وأنا لك شيعة. قال: فإنّه كما أقول.

فقدّم خالد بن عرفطة على مقدّمة معاوية يحمل رايته حبیب بن عمّار.

١١- لما مات الحسن بن عليّ: حجّ معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول الله (ص)، فقيل له: إنّ هيهنا سعد بن أبي وقاص ولا تراه يرضى بذلك، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجنّ من المسجد ثمّ لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتّى مات سعد. فلمّا مات لعنه

(١) المقاتل، ص ٧٠.

على المنبر وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المناير ففعلوا. فكتبت أم سلمة زوج النبي (ص) إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك إنكم تلعنون عليّ ابن أبي طالب ومن أحبّه، وأنا أشهد أن الله أحبّه ورسوله. فلم يلتفت إلى كلامها^(١).

١٢ - بإسناده عن عبدالرحمن بن عبد ربّ الكعبة عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله (ص): ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر. فدنوت منه فقلت له: أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله (ص)؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن ناكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا، والله يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم أموالكم بينكم بالباطل، ولا تقتلوا أنفسكم، قال: فسكت ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله^(٢).

أقول: هذا عبدالله بن عمرو وهو من أقرب الناس من معاوية وتراه ساكناً ومعتزلاً في مقابل اعتراض عبدالرحمن ونسبة أكل الأموال وقتل النفوس إليه، ويقول اعصه في معصية الله.

ثم إن هذه الرواية واردة على معاوية حيث أنه خالف الإمام ونازع الخليفة عليّ بن أبي طالب الذي بويع من جانب الأنصار والمهاجرين وله الفضيلة والكمال، فعبدالله ابن عمرو وأبوه وجميع أتباع معاوية محكومون بهذه الرواية.

١٣ - وفي سنة ٣٠ كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ ومعاوية وإشخاصه إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها^(٣).

(١) عقد الفريد، ج ٣، ص ١٣١.

(٢) مسلم، ج ٦، ص ١٨.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٣٥.

١٤- ترك عقيل علياً وذهب إلى معاوية، فقال معاوية: يا أهل الشام! ما ظنكم
برجل لم يصلح لأخيه؟ فقال عقيل: يا أهل الشام! إن أخي خير لنفسه وشر لي،
وإن معاوية شرّ لنفسه وخير لي^(١).

١٥- وكفك من ذلك أن عقيل بن أبي طالب فارق أخاه علي بن أبي طالب
وقصد معاوية مستميحاً، وما ذلك لشح عند أمير المؤمنين فإنه كان يباري الرّيح جوداً
وكرماً وكان جميع ما يدخل له من أملاكه يخرجها في الصدقات والمبرات، ولكن عقيلاً
كان يريد من مال المسلمين أكثر من حقه، وما كان دين أمير المؤمنين يقتضي ذلك،
وكان معاوية يعطي لأجل مصلحة الدنيا ولا يفكر فيما كان يفكر فيه أمير المؤمنين^(٢).

أقول: في هذه الروايات جملات وردت في معاوية:

١- قال معاوية (حديث ١): ما اختلفت أمة إلا ظهر أهل باطلها: هذا أمر
طبيعي، فإن أكثر الناس أهل الهوى والدنيا والباطل، ولا ينتهون عن المكر والخديعة
والظلم والتعدّي وصراف المال في تحصيل آمالهم وقتل مخالفينهم وأسرههم كائنا من
كان، ولا كذلك أهل الحق.

٢- قال معاوية (حديث ٢): وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم: يصرّح بأن منتهى
سيره وتماطله مطلوبه التأمر والحكومة المادّية.

٣- قال علي (ع) (حديث ٣): إن معاوية وأولياءه ليسوا بأصحاب دين ولا
قرآن: هذه شهادة رجل قال رسول الله (ص) في حقه أنه مع الحق والحق معه حيث
ما يدور.

٤- قال علي (حديث ٤): فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم: فيصرّح بأن مشيه
العصيان وعلى خلاف القرآن.

(١) عيون ابن قتيبة، ج ٢، ص ١٩٧.

(٢) الفخري، ص ٥٥.

٥- قال معاوية (حديث ٥): أَلْعَنَ حَتَّى يَرِيْبُو عَلَيْهَا الصَّغِيرَ وَيَهْرَمَ عَلَيْهَا الْكَبِيرَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): أَللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ. وَقَالَ (ص): مَنْ وَالَاهُ فَقَدِ الْإِنِّي وَمَنْ آذَاهُ فَقَدِ آذَانِي. وَإِنِّي سَلِمٌ لِمَنْ سَالَمَهُ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُ.

٦- قال الحسين (ع): أَوْلَسْتُ قَاتِلَ حَجْرٍ وَأَصْحَابَهُ الْعَابِدِينَ الْمُخْبِتِينَ، أَوْلَسْتُ بِقَاتِلِ عَمْرٍو بْنِ الْحَمِقِ الَّذِي أَخْلَقْتَ وَجْهَهُ الْعِبَادَةَ: وَقَدْ مَرَّ أَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ وَالْدُنْيَا لَا يَبَالُونَ فِي سَيْرِهِمْ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَقِتْلًا وَإِغَارَةً.

٧- قال عليّ (ع): (حديث ٨): أَللَّهُمَّ الْعَنِ مَعَاوِيَةَ وَعَمْرًا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدِيْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾. وَقَدْ مَرَّ مِنْ قَوْلِهِ (ع) أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ.

٨- قال عليّ (ع) فِي حَقِّ حَبِيبِ صَاحِبِ رَايَةِ مَعَاوِيَةَ: لَا وَاللَّهِ مَا مَاتَ وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَدْخُلَ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ بِرَايَةِ ضَلَالَةٍ: فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ عَرْفَطَةَ عَلَى مَقْدَمَةِ مَعَاوِيَةَ يَحْمِلُ رَايَتَهُ حَبِيبًا.

٩- قَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ (حَدِيث ١٠): إِنِّكُمْ تَلْعَنُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ عَلَى مَنَابِرِكُمْ وَذَلِكَ إِنِّكُمْ تَلْعَنُونَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ أَحَبَّهُ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَحَبَّهُ وَرَسُولَهُ: تَرِيدُ أَنْ جَمَلَةٌ (مَنْ أَحَبَّهُ) تَشْمَلُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ يَحْبَبَانِ عَلِيًّا (ع).

١٠- هَذَا مَعَاوِيَةَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَمْرٍو: أَطْعَمَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصَمَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ: وَمَنْ اطَاعَةَ اللَّهَ اطَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ (ع)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ التَّقْلِينَ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ.

١١- مِنْ أَمْرِ أَبِي ذَرٍّ وَمَعَاوِيَةَ وَإِشْخَاصِهِ إِبَّاهُ مِنَ الشَّامِ (حَدِيث ١٢): وَقَدْ وَرَدَ فِي حَقِّ أَبِي ذَرٍّ: مَا أَظْلَمَتِ السَّمَاءُ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ.

١٢- قال عقيل: إن معاوية شرّ لنفسه وخير لي: لأنّه ينفق المال في هواه وفي توسعة ملكه وجلب الناس إليه.

١٣- قال الفخري: كان معاوية يعطي لأجل مصلحة الدنيا ولا يفكر فيما كان يفكر فيه أمير المؤمنين.

١٦- فإنّه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى، ووليّ النبيّ وعدوّ النبيّ، ولقد قال لي رسول الله (ص): إني لا أخاف على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً، أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكي أخاف عليكم كلّ منافق الجحّان عالم اللسان، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون^(١).

ثمّ يقول في شرحه: الإشارة بإمام الهدى إليه نفسه وبإمام الردى إلى معاوية، وسماه إماماً كما سمى الله تعالى أهل الضلال أئمة، فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، ثمّ وصفه بصفة أخرى وهو أنّه عدوّ النبيّ (ص) ليس يعني بذلك أنّه كان عدوّاً أيام حرب النبيّ لقريش، بل يريد أنّه الآن عدوّ النبيّ (ص)، لقوله (ص): وليك ووليي ووليّ الله وعدوك وعدوي وعدويّ الله... ومن الكتب المستحسنة الكتاب الذي كتبه المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق سنة ٢٨٤، وأنا أذكره مختصراً من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، قال أبو جعفر: وفي هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس... فراجع.

١٧- ومما قيل في نسب معاوية: ما ذكره ابن الجوزي في كتابه تذكرة خواصّ الأئمة (ص ١١٦) نقلاً عن الأصمعي والكلبي. وأنا لا أحبّ نقله، فمن شاء فليراجعه، والعهدة عليه.

(١) ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٤٤٢، الأصل.

٣٥ - من مطاعن معاوية

١- دخلت مسجد رسول الله (ص) وأصحاب النبي (ص) يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! قلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية مرّ قبيل أخذ بيد أبيه ورسول الله (ص) على المنبر، يخرجان من المسجد، فقال رسول الله (ص) فيهما قولاً^(١).

٢- عن الحسن البصري، قال: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة، انتزأوه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. وادّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (ص): الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقتله حُجراً ويلاً له من حجر وأصحاب حجر، مرّتين^(٢).
أقول: انتزء عليه أي حمّله عليه. ابتزّ منه: سلبه قهراً وأخذ حقه جفاءً. والعاهر: الفجور.

وأما حجر بالضمّ: فهو ابن عديّ بن الأدبر الكندي، كان من فضلاء الصحابة، وكان على كندة يوم صفّين وكان على الميسرة يوم النهروان، ولما وليّ معاوية زياداً العراق وأظهر الغلظة وسوء السيرة، خلعه حجر وتابعه جماعة من شيعة عليّ (ع)، فبعثه إلى معاوية مع وائل في إثني عشر رجلاً كلّهم في الحديد، فقتل معاوية منهم ستّة واستحيا ستّة، والموضع الذي قتل فيه يعرف بمرج عذراء، كذا في الإستيعاب.

(١) الطبقات، ج ٧، ص ٧٨.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٠٨.

٣- وأسلم معاوية عام فتح مكة فكتب له أيضاً، فبعث إليه ابن عباس ذات يوم وهو يأكل، ثم بعث إليه ولم يفرغ من أكله، فقال: لا أشبع الله بطنه. فكان معاوية يقول: لحقني دعوة رسول الله (ص)، وكان يأكل في كل يوم مرّات أكلاً كثيراً^(١).

٤- فلما ولي علي بن أبي طالب وليّ زياداً أرض فارس، فلما توجه إلى صفين كتب معاوية إلى زياد يتوعّده، فقام زياد في الناس فقال: إنّ ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق كتب إليّ يتوعّدني وبينني وبينه ابن عمّ رسول الله (ص) في تسعين ألف مذحج من شيعته، أما والله لئن رامني ليجدني ضراباً بالسيف، فلما قتل عليّ واستدّف الأمر لمعاوية تحصّن زياد بقلعة مدينة اصطخر، وكتب معاوية له أماناً على أن يأتيه، فإن رضي ما يعطيه وإلا رده إلى متحصّنه بتلك القلعة، فسار إلى معاوية وترقت به الأمور إلى أن ادّعه معاوية، وزعم للناس أنه ابن أبي سفيان، وشهد له أبو مريم السلولي وكان من الجاهليّة حمّاراً بالطائف: إنّ أبا سفيان وقع على سمّية بعدما كان الحارث أعتقها^(٢).

أقول: مذحج بالفتح قبيلة عربية أصلها من اليمن. استدّف الأمر: تهيّأ واستقام. وأمّا أبو مريم فهو مالك بن ربيعة السلولي، وهو من بني مُرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر، ويعرفون ببني سلول، وهي أمّهم، وهي بنت ذهل بن شيبان. ونروي روايتين أخريين في جريان أمر زياد:

٥- وأراد زياد الحجّ فأتاه أبو بكره وهو لا يكلمه، فدخل عليه وأخذ ابنه وأجلسه في حجره ليخاطبه ويسمع زياداً، فقال: إنّ أباك هذا أحمق قد فجر في الإسلام ثلاث فجرات: أمّا أوّلهنّ فكتّانه الشهادة عن المغيرة وقد يعلم الله أنه رأى ما رأينا، وأمّا الثانية فانتفاؤه من عبيد وادّعاؤه إلى أبي سفيان واقسمُ قسماً صدقاً أنّ

(١) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٣٢.

(٢) الأخبار الطوال، ص ٢٠١.

أبا سفيان لم ير سميّة قطّ في ليل ولا نهار، وأمّا الثالثة فإنّه يريد الحجّ وأمّ حبيبة زوج رسول الله (ص) هناك وقد ادّعى إنّها أخته، فإن أذنت له كما تأذن الأخت لأخيها فأعظم بها مصيبة على رسول الله (ص)، وإن هي حجبتة وتسترّت منه فأعظم بها حجّة عليه، ثمّ وليّ أبو بكره خارجاً^(١).

أقول: أبو بكره اسمه نُفيع بن مسروح الثقفي، وأمّه سُميّة جارية الحارث بن كلدة، وهي أمّ زياد بن سُميّة، وكان من فضلاء الصحابة وهو الذي شهد على المغيرة بن شعبه، وجلده عمر حدّ القذف إذ لم تتمّ الشهادة، ثمّ قال له عمر: تب تقبل شهادتك! قال: لا جرم إنّي لا أشهد بين اثنين أبداً ما بقيت في الدنيا. فشهد على المغيرة ثلاثة، ونكل زياد، فجلد عمر الثلاثة ثمّ استتابهم، فتاب إثنان فجازت شهادتهما وأبى أبو بكره أن يتوب، كذا في الإستيعاب.

وأمّ حبيبة: هي بنت أبي سفيان، واسمها رملة، وكنيتها من جهة ابنتها حبيبة بنت عبيدالله بن جحش، أسلمت بمكّة وهاجرت مع زوجها عبيدالله بن جحش إلى الحبشة، وتصرّ زوجها بها إلى أن مات، وهي أبت وتثبتت على إسلامها، فتزوجها رسول الله (ص).

٦- طلب زياد رجلاً كان في الأمان الذي سأله الحسن بن عليّ لأصحابه.

فكتب فيه الحسن رضي الله عنه إلى زياد: من الحسن بن عليّ إلى زياد. أمّا بعد، فقد علمت ما كنّا أخذنا لأصحابنا، وقد ذكر لي فلان إنّك عرضت له، فأحبّ أن لا تعرض له إلاّ بخير.

فلما أتاه الكتاب ولم ينسبه الحسن إلى أبي سفيان غضب فكتب: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن. أمّا بعد، أتاني كتابك في فاسق يؤويه الفسّاق من شيعتك وشيعة أبيك، وأيم الله لأطلبنهم ولو بين جلدك ولحمك، وإنّ أحبّ لحم إليّ آكله للحم أنت منه.

(١) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٤٩٣.

فلما وصل الكتاب الحسن، وجّه به إلى معاوية، فلما قرأه معاوية غضب وكتب: من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان. أما بعد، فإنّ لك رأيين رأياً من أبي سفيان ورأياً من سُمَيّة، فأما رأيك من أبي سفيان فحلّم وحزم. وأما رأيك من سُمَيّة فكما يكون رأي مثلها، وقد كتب إليّ الحسن بن عليّ إنّك عرضت لصاحبه، فلا تعرض له، فإنّي لم أجعل لك إليه سبيلاً، وإنّ الحسن بن عليّ ممّن لا يرمى به الرجوان، والعجب من كتابك إليه أن لا تنسبه إلى أبيه، أفا إلى أمّه وكنّته وهو ابن فاطمة بنت محمّد (ص) فالآن حين اخترت له، والسّلام^(١).

عقد الفريد (ج ٣، ص ٢٣٧) ما يقرب منها.

٧- قال معاوية: لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ولا الأموي غير حلّم ولا الزُّبيري غير شجاع ولا المخزومي غير تيّاه. فبلغ ذلك الحسن بن عليّ (ع)، فقال: قاتله الله أراد أن يجود بنو هاشم فينفد ما بأيديهم، ويحلم بنو أميّة فيتحبّبوا إلى الناس، ويتشجّع آل الزُّبير فيفنونوا، ويتيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس^(٢).

تهذيب ابن عساکر (ج ٤، ص ٢١٩) يروي نظيرها.

أقول: في ذيل الصفحة في النسخة الألمانية: الحسين. وبنو مخزوم منهم خالد بن الوليد ومنهم أبو جهل بن هشام. وتاه يتيه فهو تيّاه أي تكبر.

ونروي رواية تكشف عن حقيقة حلم معاوية:

٨ - إنّ معاوية بعث إلى بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي بعد تحكيم الحكّمين، وعليّ بن أبي طالب يومئذ حيّ، وبعث معه جيشاً آخر، وتوجّه برجل من عامر وضمّ إليه جيشاً آخر، ووجّه الضحّاك بن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كلّ من وجدوه من شيعة عليّ بن أبي طالب

(١) البيان والتبيين، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٢) عيون ابن قتيبة، ج ١، ص ١٩٦.

وأصحابه، وأن يغيروا على سائر أعماله ويقتلوا أصحابه، ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان، فمرّ بسرّ لذلك على وجهه حتى انتهى إلى المدينة فقتل بها ناساً من أصحاب عليٍّ وأهل هواه وهدم بها دوراً، ومضى إلى مكّة فقتل نقرأ من آل أبي هب، ثمّ أتى السراة فقتل من بها من أصحابه، وأتى نجران فقتل عبدالله بن عبدالمدان الحارثي وابنه وكانا من أصحاب بني العباس، عامل عليٍّ، ثمّ أتى اليمن وعليها عبيدالله بن العباس عامل عليٍّ وكان غائباً فلم يصادفه، ووجد ابنين له صبيين فأخذهما وذبحهما بيده بمدينة كانت معه، وفعل مثل ذلك سائر من بعث به^(١).

٩- عن عمر، قال: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثمّ في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وكذا، وليس فيها لطلق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء^(٢).

أقول: في هذه الروايات موارد تحتاج إلى التوضيح:

١- فقال رسول الله (ص) فيها قولاً: يظهر من جملة (يقولون نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله) أنّ رسول الله (ص) قد غضب من رؤيتهما وقال فيها قولاً يكشف عن غضبه فيهما.

٢- انتزأوه على هذه الأمة بالسفهاء: أي رجال لا تقوى فيهم ولا دين، ونشير إلى هؤلاء الرجال في الفصل الآتي.

٣- واستخلافه ابنه بعد سكيراً: يظهر أنّه كان حين الاستخلاف وقبله سكيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، ومع هذا استخلفه معاوية وجعل أزمّة أمور المسلمين بيده.

٤- وادّعاؤه زياداً: مع مخالفته صريح قانون الإسلام، واعترافه بالفحشاء لأبيه

(١) الأغاني، ج ١٥، ص ٤٣.

(٢) الطبقات، ج ٣، ص ٣٤٢.

أبي سفيان .

٥- وقتله حُجراً: قلنا إنه كان من فضلاء الصحابة ومن أصحاب الورع والتقوى، فقتله وأصحابه بغير حقّ .

٦- لا أشبع الله بطنه: يكشف عن المسامحة والتأخير في إستجابة دعوة رسول الله (ص) من جهة اشتغاله بالأكل .

٧- ألا إن ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق: فيصرّح زياد بأنّه رأس النفاق، ثمّ يأتيه ويفعل ما يفعل .

٨- أمرهم أن يسيروا فيقتلوا كلّ من وجدوه من الشيعة (حديث ٨): هذا المعنى من أعمال الجبارة الذين لا يدينون بدين .

٩- ولا يكفون أيديهم عن النساء والصبيان: هذا نهاية الجور والفسق ومنتهى العدوان والعصيان، نعوذ بالله .

١٠- وليس فيها لطلق ولا لولد طليق: إشارة إلى أنّ معاوية وأباه كانا طليقين من جانب النبي (ص). وفي ابن أبي الحديد (ج ٣، ص ٤٢٢): كلّ من دخل عليه رسول الله (ص) مكّة عنوة بالسيف فملكه، ثمّ منّ عليه عن إسلام أو غير إسلام فهو من الطلقاء، ممّن لم يُسلم كصفوان بن أميّة، ومّن أسلم كمعاوية بن أبي سفيان، وكذلك كلّ من أُسر في حرب رسول الله (ص) ثمّ امتنّ عليه بفداء أو بغير فداء، فهو طليق .

هذا إجمال ما روي في مطاعن معاوية، ويكفي واحد منها في طرده ولعنه، ونعم ما قال الحسن البصري في حقّه: لو لم يكن فيه إلاّ واحدة كانت موبقة .

ويناسب في هذا المقام أن نشير إلى أحوال بعض من ولاته وأمرائه وعمّاله، فإنّ المرء يعرف بسفياره .

٣٦ - حكام معاوية وولاته

ولما سبق في الروايات السابقة ذكر أفراد من أصحاب معاوية وحكامه وأمراءه: فيناسب أن نعرّفهم بالإجمال:

١- عمرو بن العاص بن وائل القرشيّ السهمي: وأمّه النابغة بنت حرملة، وأبوه من المستهزئين وفيه نزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، وكان من المهاجرين إلى الحبشة مع عبدالله بن أبي ربيعة، رسولين إلى النجاشي من قريش ليردّوا المسلمين، وأسلم سنة ثمان من الهجرة، وكان أكبر من ابنه عبدالله بإحدى عشرة سنة، وكان يطعن على عثمان، ثمّ لحق إلى معاوية، وقال في مرضه: لقد أفسدت من ديني كثيراً، وأجدني كأنّ على عنقي جبال رضوى وأجدني كأنّ في جوفي شوك الشّلاء.

٢- زياد بن سميّة: كان يقال له زياد بن عبّيد الثقفيّ قبل الإستلحاق، وأنه اشترى أباه عبّيداً بألف درهم فأعتقه، ثمّ استلحق فقبيل له زياد بن معاوية، واستعمله عليّ (ع) على بعض أعماله إلى أن قتل، فاستلحقه معاوية وولّاه العراقين، وقال أخوه أبو بكر: إنه زنى أمّه وانتفى من أبيه. وولد عشرين ولداً وثلاثاً وعشرين بنتاً، وعبّيدالله بن زياد هو الوالي على العراقين والمتولّي على قتل الإمام الحسين (ع).

٣- مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف: أبوه كان طريداً رسول الله والملعون، ولم يزل طريداً حياة الرسول (ص) وخلافة أبي بكر وعمر، ثمّ أدخله عثمان وأعطاه مائة ألف درهم. وقال عليّ (ع) لمروان يوماً: ويحك، وويل أمة محمّد منك ومن بنيك إذا ساءت درعك، وكان مروان يقال له خيط باطل، وله مع عثمان ومع طلحة والزبير ومعاوية جريانات كثيرة تاريخيّة، خالف فيها أهل

بيت النبي (ص).

٤- الضحّاك بن قيس بن خالد القرشيّ الفهرّي: كان على شرطة معاوية ثم صار عاملاً له على الكوفة بعد زياد، ثم كان مع يزيد ومع ابنه معاوية إلى أن ماتا، ووثب على أكثر الشام ودعا لابن الزبير، فاقتتل مع مروان وقتل، وكان قيس يغني بالعود وكذلك الحكم أبو مروان - كما في المعارف (ص ٥٧٦) - وتكلم الضحّاك وخطب مراراً حين حاول معاوية في بيعة يزيد. كما في الإمامة والسياسة (ص ١٣٨ - ١٤٠).

٥- عمرو بن سفيان (سليمان) بن عبد شمس بن سعد السلمي: هو أبو الأعور، كان مع معاوية وعليه مدار حروب معاوية بصفين، شهد حنيناً كافراً ثم أسلم بعد، وكان من أشد الناس على عليّ، وكان عليّ يذكره في القنوت ويقول: اللهم عليك به.

٦- عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة القرشيّ المخزوميّ: كان منحرفاً عن عليّ (ع)، وكان أخوه المهاجر بن خالد محبباً لعليّ وشهد معه الجمل وصفين، ولما أراد معاوية البيعة ليزيد خالفه فشق ذلك على معاوية فدس عليه بالسّم فقتله.

٧- ابن أبي معيط: هو ابن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وأبو عمرو هو عمّ أبي سفيان وأبو معيط ابن عمّه، وأمّ أبي معيط هي أمّ بنت أبان ابن كليب زوجها أبو عمرو بعد موت أمية وكانت امرأته. كما في المعارف (ص ١١٢).

٨- ابن أبي سرح: هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشيّ العامريّ، أسلم قبل الفتح وكان يكتب الوحي ثم ارتدّ مشركاً وصار إلى قريش، فقال لهم: إنني كنت أصرف محمّداً حيث أريد في الإملاء، وأمر رسول الله (ص) يوم الفتح بقتله ولو كان تحت أستار الكعبة، حتى استأمنه عثمان فإنه كان أخاه من الرضاة، ثم ولّاه زمان خلافته مصر، وكان أبوه سعد من المنافقين الذين أرادوا أن يلقوا رسول الله (ص) من الثنية في غزوة تبوك - (المعارف، ص ٣٤٣) - وكان بصفين مع معاوية، يدلّ عليه دعاء عليّ عليه.

٩- بسر بن أرطاة بن عويمر بن عمران بن الحليس العامريّ: بعثه معاوية إلى اليمن في جيش كثيف وأمره أن يقتل كلّ مَنْ كان في طاعة عليّ عليه السلام، فقتل خلقاً كثيراً ومنهم ابنا عبيدالله بن العباس. راجع شرح ابن أبي الحديد (ج ١، ص ١١٦). ويناسب أن نذكر روايات وردت في عمرو بن العاص، لإرتباطها بهذا المقام.

٣٧ - معاوية وعمر و العاص

١- لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر طعمة مصر لعمر و ما عاش، ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وبتدبيره وعتائه وسعيه فيه، وظن أن معاوية سيزيده الشام مع مصر فلم يفعل معاوية، فتنكر عمرو لمعاوية فاختلفا وتغالظا وتميز الناس وظنوا أنه لا يجتمع أمرهما، فدخل بينهما معاوية بن حديج فأصلح أمرهما وكتب بينهما كتاباً وشرط فيه شروطاً لمعاوية وعمر و خاصة للناس عليه.

وأن لعمر و ولاية مصر سبع سنين، وعلى أن على عمرو السمع والطاعة لمعاوية، وتوثاقاً وتعاهداً على ذلك وأشهدا عليهما به شهوداً، ثم مضى عمرو بن العاص على مصر والياً عليها وذلك في آخر سنة تسع وثلاثين، فوالله ما مكث بها إلا سنتين أو ثلاثاً حتى مات^(١).

أقول: كتبها كتاباً في سنة ثمان وثلاثين: إن بيننا عهد الله على التناصر والتخالص، فإذا فتحت مصر فإن عمرواً على أرضها، وهذا التعاهد كما ترى أحد مباني حكومة معاوية، وكم لها من نظير، وهل ترى في خلافة علي (ع) أدنى أمر من نظائرها! ومعاوية بن حديج (بصيغة التصغير) هو الذي قتل محمد بن أبي بكر.

٢- فسمع أن معاوية بالشام لا يبايع علياً وأنه يعظم شأن عثمان، وكان معاوية أحب إليه من علي، فدعا ابنه عبدالله ومحمداً فاستشارهما وقال: ما تريان أمّا علي فلا خير عنده وهو يدل بسابقته وهو غير مشركي في شيء من أمره.

(١) الطبقات، ج ٤، ص ٢٥٨.

فقال له ابنه عبدالله: توفي النبي (ص) وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس، وقال له ابنه محمد: أنت ناب من أنياب العرب ولا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت، فقال عمرو: أمّا أنت يا عبدالله فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأمّا أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخري، ثم خرج ومعه ابنه حتى قدم على معاوية فوجد أهل الشام يحضون على الطلب بدم عثمان، وقال عمرو: أنتم على الحق، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم^(١).

ابن خلدون (بقيّة الثاني، ص ١٦٨)، والإمامة والسياسة (ج ١، ص ٨٣) ما يقرب منها باختلاف يسير.

٣- قال معاوية: صدقت، ولكنّي أقاتله على ما بأيدينا، ونلزمه دم عثمان. فقال عمرو: وا سواتاه! إنّ أحقّ الناس أن لا يذكر عثمان لأننا وأنت، قال معاوية: ولم؟ فقال عمرو: أمّا أنت فخذلته ومعك أهل الشام واستغاثك^(٢).

٤- وتقدّم عمّار (في صفّين) حتى دنا من عمرو بن العاص، فقال له: يا عمرو! بعت دينك بمصر تبتاً لك! فقال له: لا ولكن أطلب بدم عثمان. قال: أنا أشهد على علمي فيك إنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله... لقد قاتلت صاحب هذه الرّاية ثلاثاً مع رسول الله (ص) وهذه الرّابعة، ما هي بأبرّ وأتقى^(٣).

ابن خلدون (بقيّة الثاني، ص ١٧٤) ما يقرب منها.

ولمّا كان يزيد من أعظم حكّامه واستخلفه بعده: فيناسب أن نذكر شطراً من حالاته.

(١) كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ١١٨.

(٢) الإمامة، ص ٨٤.

(٣) تاريخ ابن الأثير، ج ٣، ص ١٣٣.

٣٨ - استخلاف معاوية يزيد

١ - ثمّ قام الأحنف وقال: إنا قد فررنا عنك قريشاً فوجدناك أكرمها زندياً وأشدّها عقداً وأوفاهها عهداً، وقد علمت أنّك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً، ولكنك أعطيت الحسن بن عليّ من عهد الله ما قد علمت ليكون لك الأمر من بعدك.

فإن تف فأنت أهل الوفاء وإن تغدر تعلم أنّ وراء الحسن خيولاً جياداً وأذراعاً شداداً وسيوفاً حداداً، إن تدن له شبراً من غدر تجد وراءه باعاً من نصر... وأيم الله إنّ الحسن لأحبّ إلى أهل العراق من عليّ. ثمّ قام الآخرون فأنكروه وخالفوا الأحنف... فأعرض عن ذكر البيعة حتىّ قدم المدينة سنة خمسين فتلقاه الناس.

فلما استقرّ في منزله أرسل إلى العبادلة الأربعة، فلما جلسوا تكلم معاوية: ... وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد... فتكلم عبدالله بن عباس: ... فأشرف الناس من تشرف بمحمد (ص) وأولاهم بالأمر أخصهم به. فقام عبدالله بن جعفر: ... فإنّ هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن فأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وإن أخذ بالسنة فيها فأولو رسول الله، وإن أخذ فيها بسنة الشيخين فأبي الناس أفضل وأكمل وأحقّ بهذا الأمر من آل رسول الله!؟

وأما ما ذكرت من ابني عمي وتركك أن تحضرهما فوالله ما أصبت الحق ولا يجوز لك ذلك إلاّ بهما، وإنك لتعلم أنّهما معدن العلم والكرم. ثمّ تكلم عبدالله بن الزبير: ... فاتق الله يا معاوية وأنصف من نفسك فإنّ هذا عبدالله بن عباس ابن عمّ رسول الله، وهذا عبدالله بن جعفر ذي الجناحين ابن عمّ رسول الله، وأنا عبدالله بن الزبير ابن

عمّة رسول الله، وعلي خلف حسناً وحسيناً وأنت تعلم من هما وما هما!
ثم تكلم عبدالله بن عمر: ... فإنّ هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا
كسروية يتوارثها الأبناء على الآباء، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي، فوالله ما
أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى، إلا على أنّ الخلافة ليست شرطاً مشروطاً
وإنما هي في قريش خاصة لمن كان أهلاً لها ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم من كان
أتقى وأرضى. ثم انصرف معاوية راجعاً إلى الشام وسكت عن البيعة إلى سنة إحدى
وخمسين^(١).

أقول: فرّ عن الأمر أي بحث عنه. الزند بالفتح: العود يقتدح به النار ووارى
الزند أي مفلح. القعص: الإجهاز والقتل.

٢- قال الحسن البصري: أفسد أمر الناس إثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على
معاوية برفع المصاحف، فحملت ونال من القرءاء فحكّم الخوارج، فلا يزال هذا
التحكيم إلى يوم القيامة. والمغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب
إليه معاوية: إذا قرأت كتابي فأقبل معزولاً، فلما ورد عليه، قال: ما أبطأ بك؟ قال:
أمر كنت أوطئه وأهينته، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك، قال: أو قد
فعلت؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى عملك. فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟
قال: وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن: فمن
أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم^(٢).

أقول: نال منه أي وقع فيه. والغرز بالفتح: الركاب للرحل.

٣- عن أبي الدرداء: سمعت النبي (ص): أول من يبذل سنتي رجل من بني أمية
يقال له يزيد.

(١) الإمامة والسياسة، ص ٣٧.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ٧٩.

وفي سنة ثلاث وستين كانت وقعة الحرّة وما أدراك ما وقعة الحرّة، قتل فيها خلق من الصحابة ومن غيرهم ونهبت المدينة واقتضت فيها ألف عذراء، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وكان سبب خلع أهل المدينة له: أنّ يزيد أسرف في المعاصي. وقال ابن حنظلة: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح أمّهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة^(١).

أقول: هذا يزيد سيّئة من سيّئات معاوية ونتيجة حكومته وثمره شجرة خبيثة، خالف الإسلام وعادى المسلمين ونهب مدينة الرسول وقتل جمعاً من الصحابة وأكابر المؤمنين وأحرق بيت الله الحرام وقتل سيّد شباب أهل الجنّة وذريّته وأصحابه وسبّ أهل بيت الرّسول، ثمّ قال: لا خبر جاء ولا وحي نزل.

هذا موجز من حالات معاوية وعبّاله، وفيها كفاية لما نحن بصدده. راجع في تفصيل ذلك إلى كتابنا الحقائق في تاريخ الإسلام.

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٨١.

٣٩ - التهيؤ والمسير إلى الحرب

١- فاجتمعت العساكر إلى معاوية وسار قاصداً إلى العراق. وبلغ الحسن خبر مسيره وإنه بلغ جسر منبج، فتحرّك لذلك وبعث حجر بن عديّ يأمر العمّال والناس بالتهيؤ للمسير ونادى المنادي: الصلاة جامعة، فأقبل الناس يثوبون ويجمعون، فقال الحسن: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني، وجاء سعيد بن قيس الهمداني، فقال: اخرج، فخرج الحسن (ع)، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فلستم أيها الناس نائلين ما تحبّون إلا بالصبر على ما تكرهون، إنّه بلغني أنّ معاوية بلغه أنّنا كنّا أزمعنا على المسير إليه فتحرّك لذلك، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة، حتّى ننظر وتنظروا ونرى وتروا. قال: وإنه في كلامه ليتخوّف خذلان الناس إيّاه، قال: فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف.

فلما رأى ذلك عديّ بن حاتم، قال: أنا ابن حاتم، سبحان الله ما أقيح هذا المقام؟ ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيّكم، أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخوّاضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدمعة، فإذا جدّ الجِدُّ فروّاغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله ولا عيبتها ولا عارها؟

ثمّ استقبل الحسن بوجهه، فقال: أصاب الله بك المرشد وجنّبك المكاره، ووفّقك لما يحمد ورده وصدّره، فقد سمعنا مقاتلتك وانتهينا إلى أمرك، وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحبّ أن يوافقني فليوافق.

ثم مضى لوجهه، فخرج من المسجد ودأبته بالباب، فركبها ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان عديّ أول الناس عسكراً.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريّ، ومعقل بن قيس الرياحي، وزبيد بن صعصعة التيمي، فأنبوا الناس ولاموهم وحرّضوهم، وكلّموا الحسن بمثل كلام عديّ ابن حاتم في الإجابة والقبول.

فقال لهم الحسن: صدقتم رحمكم الله، ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء بالقول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً^(١).

أقول: منبج بالفتح: مدينة في شرق حلب قريبة من الفرات. والنخيلة تصغير النخلة: موضع خارج الكوفة من جهة الغرب.

٢- كان أمير المؤمنين قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن أهل الشام، فبينما هو يتجهّز للمسير قتل (ع)، فلما قتل وبايع الناس ولده الحسن بلغه مسير معاوية في أهل الشام إليه، فتجهّز هو والجيش الذين كانوا بايعوا عليّاً، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية وكان قد نزل مسكن، فوصل الحسن إلى المدائن^(٢).

أقول: يعلم أنّ تجهّز الإمام ومسيره كان للدفاع، فإنّ معاوية قد تجهّز وعزم على المسير في حياة أمير المؤمنين (ع) ثمّ سار من الشام حتّى وصل إلى منبج ثمّ إلى مسكن وهي قريبة من بغداد، ولم يكن نظره إلاّ توسعة الملك بأيّ طريق يمكن.

٣- كتب عبدالله بن عباس إلى الحسن بن عليّ: إنّ المسلمين ولّوك أمرهم بعد عليّ فشمّر للحرب وجاهد عدوك ودار أصحابك، واشتر من الضنين دينه بما لا يتلم دينك، وولّ أهل البيوتات والشرف تستصلح بهم عشائرهم حتّى تكون الجماعة، فإنّ

(١) المقاتل، ص ٦٠.

(٢) كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ١٧٥.

بعض ما يكره الناس ما لم يتعدّ الحقّ وكانت عواقبه تؤدّي إلى ظهور العدل وعزّ الدّين خير من كثير ممّا يُحِبُّون إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور ووهن الدّين^(١).

أقول: هذا الكتاب ناظر إلى حفظ الملك وتحكيم مباني الحكومة والسلطنة وتوسعة الخطط والمملكة، بحيث لا ينافي الدين. وأمّا نظر الإمام الذي هو خليفة الله وخليفة رسوله على الحقّ وفي الواقع: فهو أعلى شأناً وأرفع، وهو مراعاة الحقّ والعدل وحفظ الحقيقة ليس إلّا هو، سواء وافق السياسة الظاهريّة أم لا، وسواء أوجب دوام الحكومة وتحكيم السلطنة أو لم يوجب، بل ولو ينافي الملك والحكم الظاهريّ.

نعم، إنّ الإمام منصوب من جانب الله ومن جانب رسوله لحفظ الشريعة وبسط العدل والحقيقة، وتبيين الأحكام الإلهيّة وإحياء الكتاب والسنة، وليس له نظر إلى حيازة مقام الإمارة والحكومة الظاهريّة، ولذا ترى أنّ الإمام أمير المؤمنين (ع) بعد أن أدرك الخلافة الصوريّة ما رضي بإبقاء معاوية ولو أياماً قليلة.

عقد الفريد (ج ٣، ص ١٢٨) مثلها. وفيها: فاشدد عن يمينك، واستر من الضنين ذنبه.

قوله: الضنين أي المتمسك بك والثابت؛ يقال ضنّ بالمكان أي لم يبرحه، وهو مأخوذ من البخل.

٤- ثمّ إنّ الحسن بن عليّ سار في عسكر عظيم وعدّة حسنة حتّى أتى دير عبدالرحمن فأقام به ثلاثاً حتّى اجتمع الناس، ثمّ دعا عبداً لله بن العباس، فقال له: يا ابن عمّ! إنّي باعث معك إثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء مصر، الرجل منهم يزن الكتيبة فسر بهم، وألن جانبك وابسط وجهك وافرش لهم جناحك وأدّهم من

(١) عيون ابن قتيبة، ج ١، ص ١٤.

مجلسك، فإنهم بقيّة ثقة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وسر بهم على شطّ الفرات حتى تقطع بهم الفرات، ثمّ تصير إلى مسكن، ثمّ امض حتى تستقبل معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فإني في أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كلّ يوم، وشاور هذين، يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس، فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن فعل فقاتل، فإن أصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن أصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس، ثمّ أمره بما أراد^(١).

وفي ابن أبي الحديد (ج ٤، ص ١٤) يروي مثلها. وفيها: قرأ مضر، وثقاة أمير المؤمنين.

أقول: مسكن بفتح الميم وكسر الكاف كانت مدينة على عشرة فراسخ من جهة الشمال الغربي من بغداد قريبة من دجيل. الوشيك: القريب السريع.

وأما حجر بن عدّي (حديث ١): فهو الذي قتله معاوية بمرج عذراء، وقد سبق في فصل مطاعن معاوية (٣٥).

وأما سعيد بن قيس (حديث ١ - ٤): فهو سيّد همدان ومن كبار التابعين وزهادهم، وله مواقف مشهورة في صفّين، وكان من المعتمدين الثقات عند أمير المؤمنين والإمام المجتبي (ع).

وأما عدّي بن حاتم: فهو أبو طريف الطائي الخطيب الشريف في قومه الفاضل الكريم من أصحاب رسول الله (ص) ومن أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وصحب بعده الإمام (ع).

وأما مضر بالضمّ: قبيلة كبيرة تنسب إلى مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، فولد مضر: إلياس بن مضر وعيلان بن مضر، ومضر كلّها ترجع إلى هذين.

وأما قيس بن سعد: فهو ابن سعد بن عبادة الأنصاريّ الخزرجيّ من كرام

(١) المقاتل، ص ٦٢.

أصحاب رسول الله (ص) وأسخيائهم ودهاتهم وأحد الفضلاء، وأعطاه رسول الله (ص) الزاوية يوم فتح مكة، ثم صحب علياً (ع) في الجمل وصفين والنهروان، وله أخبار نذكرها في (باب ٤٣).

وأما معقل بن قيس الرّياحي: بفتح الميم وكسر القاف فهو من رجال الكوفة وأبطالها، ومن خواص أصحاب أمير المؤمنين (ع).

وأما زياد بن صعصعة التيمي: ليس لهذا الإسم ذكر في رجال الفريقين، والصحيح هو زياد بن خصفة التيمي من خلص أصحاب أمير المؤمنين والإمام المجتبي (ع).

وأما دير عبدالرحمن (حديث ٤): فلم أجد لها ذكراً في غير هذا المورد، في الكتب التي وصلت بأيدينا من المعاجم وغيرها، ويظهر أنّها كان واقعاً فيما بين الكوفة مسكن، ولعل المراد هو دير أبي موسى على فرسخين من الكوفة، نزل بها علي (ع) حين خروجه إلى صفين.

هذا ما يتعلّق بموضوع تهيؤه (ع) للحرب.

وأما برنامج حركته ومقابلته العدو: فيستظهر من هذه الجملات في كلامه السابق (ع):

١- وألن جانبك: حتّى يكون اللقاء سهلاً وعرض الحاجة والمذاكرة ميسوراً لهم، لا تمنعهم الحواجب.

٢- وابسط وجهك: بعد لين الجانب، حتّى ينسطوا بسطك ويفرحوا بلقائك ويظهروا مقالهم وحاجتهم بالإنطلاق.

٣- وافرش لهم جناحك: بعد بسط الوجه، حتّى يكونوا في مورد العطف والرّحمة والإحسان منك.

٤- وأدّهم من مجلسك: بعد فرش الجناح، حتّى يرتفع الحجاب بينك وبينهم، ويبقى الخلوص والنصيحة والصفاء.

٥- وشاور هذين، لئلا يكون رأيك خطأ، فيوجب الضلال والهلاك، وحتى لا يبق
زلل وعترة في عملكم.

٦- فلا تقاتله حتى يقاتلك: فإنّ نظرنا الدفاع عن الحقّ ونشر الحقيقة وطرده
تعدّي العدوّ وردّ كيده، ولا نريد ظلماً للعباد ولا فساداً في الأرض ولا توسعة في
الملك.

وسيجيء في الباب اللاحق (٤٠) ما يتعلّق بهذه الموضوعات.

٤٠ - خلاف أصحاب الإمام (ع)

١- وأخذ الحسن على حمّام عمر، حتّى أتى دير كعب، ثمّ بكر فنزل سابط دون القنطرة، فلما أصبح نادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمعوا وصعد المنبر، فخطبهم، فحمد الله، فقال:

الحمد لله كلّما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلاّ الله كلّما شهد له شاهد، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله أرسله بالحقّ واثمنه على الوحي صلّى الله عليه وآله. أمّا بعد، فوالله إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقهم، وما أصبحت محتماً على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلةً، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبّون في الفرقة، ألا وإنّي ناظر لكم خير من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري ولا تردّوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإيتاكم.

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما ترونه ما يريد؟

قالوا: نظنّه والله يريد أن يصلح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرّجل، ثمّ شدّوا على فسطاطه فانتهبوه حتّى أخذوا مصلاًه من تحته، ثمّ شدّ عليه عبدالرحمن ابن عبدالله بن جعال الأزديّ فنزع مُطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء.

ثمّ دعا بفرسه فركبه وأحدق به طوائف من خاصّته وشيعته، ومنعوا منه من أرادته ولا موه وضعّفوه لما تكلم به، فقال: ادعوا لي ربيعة وهمدان، فدعوا له، فأطافوا به ودفعوا الناس عنه، ومعهم شوب من غيرهم.

فقام إليه رجل من بني أسد من بني نصر بن قعين يقال له الجراح بن سنان، فلما مرّ في مظلم ساباط، قام إليه فأخذ بلجامه بغلته وبیده معول، فقال: الله أكبر يا حسن! أشركت كما أشرك أبوك من قبل ثمّ طعنه، فوقعت الطعنة في فخذه، فشقتته حتى بلغت أُرْبَيْتَه، فسقط الحسن إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده واعتنقه، وخرّاً جميعاً إلى الأرض، فوثب عبدالله بن الخطل فنزع المعول من يد جراح بن سنان فحضضه به.

وحمل الحسن على سرير إلى المدائن وبها سعد بن مسعود الثقفي والياً عليها من قبله، وكان عليّ ولّاه فأقرّه الحسن بن عليّ^(١).

أقول: الحَمَام: الماء الحارّ المعدنيّ. الساباط: قرية كانت قريبة من المدائن عندها قنطرة على نهر الملك. المطرف بالضمّ والكسر وفتح الرّاء: رداء من خزّ ذو اعلام. الأُرْبَيْتَة بالضمّ وكسر الباء: أصل الفخذ. المعول بالكسر: آلة الحفر. وفي ابن أبي الحديد يروي نظيرها. وفيها: عبدالله بن الأخطل.

٢- بايع الناس الحسن بن عليّ بالخلافة، ثمّ خرج بالناس حتى نزل بالمدائن، وبعث قيس بن سعد على مقدّمته في إثني عشر ألفاً، وأقبل معاوية في أهل الشام حتى نزل مسكن، فبينما الحسن في المدائن إذ نادى مناد في العسكر: ألا إنّ قيس بن سعد قد قتل فانفروا، فانفروا ونهبوا سرادق الحسن (ع) حتى نازعوه بساطاً كان تحته، وخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان عمّ المختار بن أبي عبيد عاملاً على المدائن، وكان اسمه سعد بن مسعود، فقال له المختار وهو غلام شابّ: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: فما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية. فقال له سعد: عليك لعنة الله! أثب على ابن بنت رسول الله (ص) فأوثقه؟ بس الرجل أنت^(٢).

(١) المقاتل، ص ٦٣.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٢١.

٣- قالوا: لما بلغ معاوية قتل عليّ تجهّز وقدم أمامه عبيدالله بن عامر بن كريز، فأخذ على عين التمر، ونزل الأنبار يريد المدائن، وبلغ ذلك الحسن بن عليّ وهو بالكوفة، فسار نحو المدائن لمحاربة عبدالله بن عامر.

فلما انتهى إلى ساباط وقام فيهم خطيباً بعدما رأى من أصحابه فشلاً وتواكلاً عن الحرب، فقال: أيها الناس! إنني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضعيف، وإنني ناظر لكم كنظري لنفسي وأرى رأياً فلا تردّوا عليّ رأيي، إن الذي تكرهون من الجماعة أفضل ممّا تحبّون من الفرقة، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب وفشل عن القتال، ولست أرى أن أحملكم على ما تكرهون.

فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم إلى بعض، فقال من كان معه ممن يرى رأي الخوارج: كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله، فشدّ عليه نفر منهم فانتزعوا مصلّاه من تحته وانتهبوا ثيابه، حتّى انتزعوا مطرفه عن عاتقه، فدعا بفرسه فركبه ونادى: أين ربيعة وهدان! فتبادروا إليه ودفَعوا عنه القوم.

ثمّ ارتحل يريد المدائن فكن له رجل ممن يرى رأي الخوارج يسمّى الجراح بن قبيصة من بني أسد بمظلم ساباط، فلما حاذاه الحسن قام إليه بمغول فطعنه في فخذه، وحمل على الأسدّي عبدالله بن خطل وعبدالله بن ظبيان فقتلاه، ومضى الحسن مثخناً حتّى دخل المدائن ونزل القصر الأبيض وعولج^(١).

أقول: المدائن جمع المدينة، وكانت مدناً كلّ واحدة إلى جنب أخرى على جانب الجنوب من بغداد على مسافة ٣٠ كيلومتراً، وبقيت منها الأيوان المنسوبة إلى كسرى، وقرية منها قبر سلمان وحذيفة. والقصر الأبيض قصر كسرى بالمدائن.

٤- عن أبي مخنف، قال: لما وقعت البيعة للحسن بن عليّ جدّ في مكاشفة معاوية والتوجّه نحوه، فجعل على مقدّمته عبدالله بن جعفر الطيّار في عشرة آلاف، ثمّ أتبعه

(١) الأخبار الطوال، ص ١٩٩.

بقيس بن سعد في جيش عظيم، فراسل معاوية عبدالله بن جعفر وضمن له ألف ألف درهم إذا صار إلى الحجاز، فأجابه إلى ذلك وخلق مسيره وتوجه إلى معاوية فوفى له وتفترق العسكر، وأقام قيس بن سعد على حدة وانضم إليه كثير، فمن كان مع عبدالله ابن جعفر راسله معاوية وأرغبه فلم يفه ذلك، إلى أن صالح الحسن معاوية وسلم إليه الأمر، وتوجه الحسن وأصحابه للقاء معاوية، وقد جرح الحسن غيلة في مطلع ساباط، جرحه سنان بن الجراح الأسدي أخو بني نصر فطعنه في فخذه بمعول طعنة منكرة، وكان يرى رأي الخوارج، فاعتنقه الحسن في يده وصار معه في الأرض، ووثب عليه عبدالله بن ظبيان بن عمارة التميمي فعض وجهه حتى قطع أنفه وشدخ رأسه بمحجر فمات من وقته، فسحقاً لأصحاب السعير، وحمل الحسن على السير إلى المدائن فنزل على سعد بن مسعود الثقفي عم المختار وكان عامل علي رضي الله عنه على المدائن، فجاءه بطبيب فعالجه حتى صلح رضي الله عنه^(١).

وفي ابن الأثير (ج ٣، ص ١٧٥)، وابن خلدون (بقيّة الثاني، ص ١٨٦)، والإصابة (الحسن بن علي)، وابن الوردي (ج ١، ص ١٦٦) ما يقرب من مضامين الطبري والأخبار الطوال.

٥- ثم إن معاوية وافى حتى نزل قرية يقال لها الحبوبيّة بمسكن، فأقبل عبيدالله بن العباس حتى نزل بإزائه.

فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيدالله بن العباس: إن الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم الأمر إليّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، يعجل في هذا الوقت النصف وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسل عبيدالله ليلاً فدخل عسكر معاوية، فوفى له بما وعده، فأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلي بهم، فلم يخرج حتى

(١) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٧٤.

أصبحوا، فطلبوه فلم يجدوه، فصلّى بهم قيس بن سعد، ثمّ خطبهم فقال: أيّها الناس! لا يهولتكم ولا يعظمنّ عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع (أي الجبان) إنّ هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قطّ، إنّ أباه عمّ رسول الله (ص) خرج يقاتله ببدر. فأسرّه أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاريّ فأتى به رسول الله (ص) فأخذ فداءه فقسّمه بين المسلمين، وإنّ أخاه ولّاه عليّ أمير المؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين فاشترى به الجوّاري وزعم أنّ ذلك له حلال، وإنّ هذا ولّاه على اليمن فهرب من بسر بن أرطاة وترك ولده حتّى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي صنع. فتنادى الناس: الحمد لله الذي أخرجنا من بيننا، فانهض بنا إلى عدوّنا، فنهض بهم^(١).

أقول: تقدّم مختصر أحوال بسر بن أرطاة في فصل ولاة معاوية (باب ٣٦).

٦- حتّى برئ في المدائن واستعدّ للقاء ابن عامر. وأقبل معاوية حتّى وافى الأنبار وبها قيس بن سعد بن عبادة من قبل الحسن فحاصره معاوية، وخرج الحسن فواقف عبدالله بن عامر، فنادى عبدالله بن عامر: يا أهل العراق! إنّي لم أرد القتال وإنّما أنا مقدّمة معاوية، وقد وافى الأنبار في جموع أهل الشام، فأقروا أبا محمّد الحسن منّي السّلام وقولوا له أنشدك الله في نفسك وأنفس هذه الجماعة التي معك! فلمّا سمع ذلك الناس انخذلوا وكرهوا القتال، وترك الحسن الحرب وانصرف إلى المدائن، وحاصره ابن عامر بها^(٢).

٧- وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله وطعنوا بالخنجر في جوفه، فلمّا تيقّن ما نزل به انقاد إلى الصلح^(٣).

(١) المقاتل، ص ٦٤.

(٢) الأخبار الطوال، ص ٢٠٠.

(٣) مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٣.

أقول : يستفاد من هذه الكلمات مطالب نشير إليها :

١- كفر والله الرجل : يدلّ على أنّ جمعاً من قومه ما عرفوا حقّه وما بايعوه حقّ المبايعه ولم يكونوا معتقدين بإمامته، بل كانوا من الخوارج المخالفين ومن أعداء أبيه أمير المؤمنين ومن أهل الدنيا والطمع والهوى. وفي حديث (٣) : فقال من كان معه ممن يرى رأي الخوارج : كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله .

٢- فنظر الناس بعضهم إلى بعض : يدلّ على أنّ أكثر الناس كانوا في حال التردد والإضطراب، ولم يكونوا مؤمنين وفي حال الطاعة والإنقياد والسلم، مع أنّ الإمام قال في خطبته تلك، مع إشارته إلى هذه الحالة منهم : وأنا أنصح خلق الله، وما أصبحت محتماً على مسلم ضغينة، ولا تخالفوا أمري. وفي حديث (٣) : وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب وفشل عن القتال. وفي حديث (٦) : فلمّا سمع ذلك الناس انخذلوا وكرهوا القتال .

٣- فقال له المختار هل لك في الغنى والشرف : يدلّ على أنّ رؤوس القوم وأمراء الجيش لم يكونوا على ما ينبغي لهم من السداد والخلوص والمحبة، كيف بعامة الخلق. وفي حديث (٥) : أرسل معاوية إلى عبيدالله بن العباس، فأنسلّ عبيدالله ليلاً فدخل عسكر معاوية .

٤- ونهبوا سرادق الحسن (ع) حتّى نازعوه بساطاً كان تحته : يدلّ على أنّ خروجهم كان بقصد الدنيا ونهب المال، بحيث إنّهم نهبوا ما لإمامهم بأدنى اتّهام. وفي حديث (٣) : فانتزعوا مصلاًه من تحته وانتهبوا ثيابه حتّى انتزعوا مطرفه عن عاتقه .

٥- ثمّ طعنه بطعنة في فخذة فشقته : يدلّ على أنّ منهم من لم يكن له وفاء وعطوفة وعلاقة، بل كان في باطنهم بغض وعداوة ومكر، فكانوا أعداء الإمام ينتظرون الفرصة ويتربصون الدوائر عليه، وكانوا كثيرين، ويدلّ عليه : فأطافوا به ودفعوا الناس عنه، وحديث (٣) : بعدما رأى من أصحابه فشلاً وتواكلاً عن الحرب، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب وفشل عن القتال. وحديث (٦) : فلمّا سمع ذلك الناس

انخذلوا وكرهوا القتال.

في كشف الغمّة (ص ١٦١): واستنفر الناس للجهاد فتثاقفوا عنه ثمّ خفّوا، ومعه أخلاط من الناس بعضهم من شيعته وشيعة أبيه (ع)، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب طمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتّبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين. ثمّ سار حتى نزل سبابط.

٦- فلما تبيّن ما نزل به انقاد إلى الصلح (٧): قد ذكرنا في هذا الباب خلاصة ما روي في اختلاف أصحاب الإمام وتساهلهم في طاعته وضعفهم في الإيمان والمعرفة وتثاقلهم عن الجهاد.

والإمام لما رأى ذلك منهم، تبيّن أنّ القتال لا يصلح له، وأنّه لا يوجب إلاّ قطع الأرحام وسفك الدماء ويتم الأطفال وظهور الفتنة والفساد وقتل شيعته وأصحابه، فاعتقد أنّ الصلح فيه خير وصلاح للأمة.

ونذكر في الأبواب الآتية ما يوضح ذلك.

٤١ - الصلح بين الإمام (ع) ومعاوية

١- بإسناده عن الحسن: استقبل والله الحسن بن عليّ (ع) معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين، أي عمرو: إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم! فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبدالرحمن بن سمرّة وعبدالله بن عامر بن كُريز، فقال: اذهبوا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه! فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالوا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن عليّ (ع): إنا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك! قال: فمن لي بهذا! قالوا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالوا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن: لقد سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله (ص) على المنبر والحسن ابن عليّ (ع) إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرّة وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(١).

وفي (ج ٤، ص ١٤١) بإسناده: قريب منها.

٢- وفي إرشاد الساري (ج ٤، ص ٤١١) في ذيل الحديث: قال الكرمانى: وقد كان يومئذ الحسن أحقّ الناس بهذا الأمر، فدعاه ورعه إلى ترك الملك رغبة فيما عند الله، ولم يكن ذلك لعلّة ولا لذّة ولا لقلّة، فقد بايعه على الموت أربعون ألفاً.

(١) البخاري، ج ٢، ص ٧١.

٣- وكان رضي الله عنه حليماً ورعاً فاضلاً دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبةً فيما عند الله، وقال: والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني وما يضرنني، إن إليّ أمر أمة محمد (ص) على أن يهراق في ذلك محجمة دم^(١).

٤- ويروي في (ص ٣٨٧): ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلّم الخلافة لمعاوية حياته لا غير ثم تكون له من بعده، وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك. ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها وإن كان عند نفسه أحق بها.

أقول: نفسّر ما يحتاج إلى التوضيح في هذه الروايات:

الكتيبة: القطعة من الجيش، والجمع كتائب. الضيعة بالفتح: العقار والأرض المغلّة والجمع الضيع والضياع. والعوث: التحير والتوقف والشغل. والمحجمة بالكسر: آلة الحجامة بالكسر التي يجمع فيها دم الحجامة، والمراد مقدار ما في المحجمة.

وقد سبق في فصل (الخلافة الحقيقية): إن الحكومة والسلطنة الظاهرية غير مرتبطة بها، ولا تلازم بينهما، والخلافة الحقيقية هي منصب إلهي روحاني ومقام تكويني نفسي، وولاية معنوية حقيقية، لا تقبل الضعف والنقصان ولا الترك والردّ والقبول، ولا تختلف بالإقبال من الناس والإدبار، فالصلح إنما وقع في الحكومة الظاهرية.

٥- فبعث إليه معاوية حينئذ برقّ أبيض وقال: اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه. فاصطلحا على ذلك واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم ذلك كله معاوية. فقال له عمرو بن العاص: إنهم قد انقلّ حدّهم وانكسرت شوكتهم، فقال له معاوية: أما علمت أنه قد بايع عليّاً أربعين ألفاً على الموت، فوالله لا يقتلون حتى يقتل أعدادهم من أهل الشام، والله ما في العيش بعد ذلك^(٢).

(١) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٥.

(٢) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٥.

أقول: فإذا رأى معاوية أنّ الأصلح بحاله وبحال الناس هو الصلح وترك الحرب والقتل، فكيف بالإمام وهو لا يرى إلاّ الخير والصلاح للأمة، وليس في قلبه أقلّ رغبة إلى الملك والدنيا، وهو كما يقول: ما أحببت أنّ إليّ أمر أمة محمد (ص) على أن يهراق في ذلك محجمة دم. ومضافاً إلى ذلك: فهو متوجّه إلى غدر معاوية ومكره وسياسته الباطلة وبغيه وعدوانه وقدرته الظاهرية الدنيوية وإقبال الناس عليه وعلى الدنيا والمال.

وقد رأى بروز الاختلاف في جيشه وظهور التشّت والخلاف في أصحابه، فهو في الحقيقة كما قال أبوه أمير المؤمنين (ع): وطفت أرتأي بين أن أصول بيد جزاء أو أصبر على طخية عمياء فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى.

٦- وبعث معاوية عبدالله بن عامر وعبدالرحمن بن سمرة إلى الحسن للصلح فدعوا إليه وزهداه في الأمر، وأعطياه ما شرط له معاوية وألاّ يتبع أحد بما مضى ولا يُنال أحد من شيعة عليّ بمكروه ولا يُذكر عليّ إلاّ بخير وأشياء اشترطها الحسن.

فأجابه الحسن إلى ذلك، وانصرف قيس فيمن معه إلى الكوفة، وانصرف الحسن إليها أيضاً، وأقبل معاوية قاصداً إلى الكوفة واجتمع إلى الحسن وجوه الشيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين عليّ يلومونه ويبكون إليه جزعاً ممّا فعله^(١).

أقول: كان الإمام (ع) يعلم بعلم الإمامة وبإخبار جدّه رسول الله (ص) أنّ الأمر سيصير إلى معاوية، ولكنّ وظيفة الإمام العمل بطواهر الأمور والتكاليف، وأنّه لا يعمل مطابق علمه الواقعي إلاّ في موارد مخصوصة، فهو (ع) جهّز الجيوش وأعلن الحرب وخرج من الكوفة في عسكر عظيم وعدّة حسنة، وسار حتّى نزل ساباط، فظهر فيها الخلاف وقالوا ما قالوا ووقع ما وقع، فرأى الإمام بعلمه الظاهري أنّ الاقتحام في الحرب لا يفيد إلاّ أن يقتل كثير من شيعته ويسبى كثير ويذلّ المؤمنون،

(١) المقاتل، ص ٦٦.

ثمّ لا يمكن أن ينعقد بينهما ما انعقد ويجعل بينهما شروط وأمان حتّى لا ينال أحد من شيعته بمكروه.

فهذا كمال التدبير والسياسة ونهاية الخير والصلاح للأمة وعين الحقّ والمعرفة ونفس الصواب وخلوص النية، وقد أصاب من قال: إنّه ترك المال والدنيا رغبة فيما عند الله تعالى.

٧- عمرو بن سلمة الهمداني هو الذي بعثه الحسن بن عليّ بن أبي طالب مع محمّد ابن الأشعث بن قيس في الصلح بينه وبين معاوية، فأعجب معاوية ما رأى من جهره وفصاحته وجسمه^(١).

أقول: لما رأى الإمام (ع) من أصحابه التهاون والعصيان والخلاف، وتيقن أنّ صلاح الأمة وخيرهم في ترك الحرب والمنازعة: أرسل إلى معاوية يعرض الصلح عليه بشروط اشترطها وبعهود يطلبها منه لأصحابه وشيعته.

ثمّ إنّ خصوصيات الصلح وترتيب المذاكرات وتبادل السفراء والوكلاء وكيفية جريانه على التحقيق: مجهولة لنا، فإنّ الروايات الواردة في كتب الحديث والتاريخ مختلفة متشتتة.

والذي يستنتج من الروايات: أنّ معاوية لم يزل كان يجتهد في الصلح من ابتداء الأمر، ويرى فيه خيراً وصلاحاً له، وكان يصرف غاية همّته في تحصيل ذلك، ويتوسّل بأيّ وسيلة ممكنة من تطميع بعض وإرعاب آخرين ورسالات إلى الإمام. راجع حديث ٦، ٥، ١، وباب ٤٠، حديث ٦، ٥، ٤، وباب ٤٢، حديث ١، ٩.

(١) الطبقات، ج ٦، ص ١٧١.

٤٢ - لسرار صلح الإمام (ع)

١- إنما سلّم الأمر إلى معاوية لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه، خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثاره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فتائر، ألا وإن معاوية دعا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا، فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية وامض الصلح! ولما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية، خطب الناس، فقال:

أيها الناس! إنما نحن أمراؤكم وضيغانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وكرّر ذلك حتى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتى سمع نشيجه... وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة، قيل للحسن: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحد إلا غلب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر، لقد لقي أبي منهم أموراً عظماً، فليت شعري لمن يصلحون بعدي، وهي أسرع البلاد خراباً^(١).

(١) كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ١٧٦.

أقول: ثنى الشيء أي عطفه وطواه وكفّه. شاب: اختلط. ثارت الفتنة: هاج وارتفع. الظبة: حدّ السيف والجمع الظبي. النشيج: الصوت.

٢- قال عبدالله بن جعفر: والله إنني لجالس عند الحسن، إذ أخذت لأقوم فجدب ثوبي وقال: يا هناه! اجلس. فجلست، قال: إنني قد رأيت رأياً وإنني أحب أن تتابعني عليه! قال: قلت ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة وأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام وقطعت السبل وعطلت الفروج - يعني الثغور -! فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد (ص) خيراً فأنا معك على هذا الحديث^(١).

٣- ويروي أيضاً عن نفيير، قال: قلت للحسن بن عليّ: إن الناس يزعمون إنك تريد الخلافة! فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمته ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثمّ ابتزّها بأس أهل الحجاز. حلية الأولياء (ج ٢، الحسن) مثلها. وفيها: وحقن دماء الأمة.

٤- ثمّ سار إلى معاوية وسار معاوية إليه، فلما تراءى الجمعان وذلك بموضع يقال له مسكن من أرض السواد بناحية الأنبار، علم أنّه لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فكتب إلى معاوية^(٢).

٥- وقد لام الحسين لأخيه الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه، والصواب مع الحسن رضي الله عنه، ولما مات عليّ أقام أهل العراق الحسن بن عليّ رضي الله عنه ليمنعوا به أهل الشام، فلم يتمّ لهم ما أرادوه، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة المخالفة لأمرائهم، ولو كانوا يعلمون لعظّموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله (ص) وسيد المرسلين وأحد علماء الصحابة وحلمائهم

(١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٥.

وذوي آرائهم^(١).

٦- ما يقرب من تهذيب التهذيب، وفيها: فبعث إلى حسين بن عليّ فذكر له ذلك! فقال: أُعيدك بالله، فلم يزل به حتى رضي^(٢).

٧- فلما تقاربا علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يقتل أكثر الأخرى، فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر على أن تكون الخلافة له من بعده بشروط، فاصطلحا وظهرت المعجزة النبويّة في قوله (ص): إنّ ابني هذا سيّد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(٣).

٨- وقد مدحه رسول الله (ص) على صنيعه هذا وهو تركه الدنيا الفانية ورغبته في الآخرة الباقية وحقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة حتى تجتمع الكلمة كما في الحديث... ودخل رجل على الحسن بن عليّ وهو بالمدينة وفي يده صحيفة، فقال: ما هذه؟ فقال: إنّ معاوية يعدنيها ويتوعدّ! قال: قد كنت على النّصف منه! قال: أجل، ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً أو أكثر أو أقلّ تنضح أوداجهم دماً، كلّهم يستعدي الله فيم هريق دمه^(٤).

أقول: استعداه أي استنصره واستعانه.

٩- وخطب الحسن أهل العراق وقال: سخيّ نفسي عنكم ثلاث: قتل أبي وطعني وانتهاج بيتي. ثمّ قال: ألا وقد أصبحتم بين قبيلين: قبيل بصفين يكون له، وقبيل بنهروان يُطلبون بثاره، وأمّا الباقي فخاذل وأمّا الباكي فتائر، وإنّ معاوية دعانا... مضى في ابن الأثير^(٥).

(١) البداية، ج ٨.

(٢) الإصابة، الإمام.

(٣) طبقات الشعرا، الإمام.

(٤) البداية، ج ٨، ص ٤٢.

(٥) ابن خلدون، بقية الثاني، ص ١٨٧.

أقول : سخى نفسه عنه أي تركه . الثائر : الطالب بالدم .

ونشير إلى خلاصة ما ذكر في هذه الروايات من علل الصلح وأسراره، وقد ذكر بعض منها في الأبواب السابقة أيضاً :

١- فشبيت السلامة بالعداوة: أي كانت نفوسكم بريئة من العيوب وخالصة من الشوائب والآفات وطاهرة من الأغراض الفاسدة، ثم صارت مختلطة مشوبة بالعداوة والبغضاء والأغراض الدنيوية، فصرتم مختلفين أعداء بعضكم لبعض، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم .

٢- وشيبة الصبر بالجزع: أي كانت أقدامكم ثابتة وأفكاركم مستقيمة ونياتكم راسخة وأرواحكم مستنيرة ونفوسكم صابرة متحملة لا تحركها العواصف، ثم صارت مضطربة متزلزلة جزعة كدرة، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً .

٣- وكنتم في سيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم: أي كانت مسيركم ومحاربتكم ومتابعتكم في الله وبالله وإلى الله وفي سبيل الله، والآن ما تعملون إلا للدنيا وما تحاربون إلا لأغراض شخصية وما تتبعون إلا الهوى، أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة، فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة .

٤- ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: العلل الثلاث السابقة راجعة إلى القلوب، وهي شوب قلوبهم واضطراب أنفسهم وضعف إيمانهم . وهذا الوجه يرجع إلى اختلال النظم الخارجي وعدم توفيق الموقعية الحاضرة، فإن جراحات الجمل وصفين والنهروان لم تندمل، والناس حديثو عهد بها، وأصحاب الإمام بين باك لقتلاه وثار أو خاذل أو مطلوب بالثار .

فهذه الموقعية غير صالحة للمحاربة والقتال مجدد وإخلاص، وبدل عليه نداء

الناس من كلِّ جانب: البقيّة البقيّة وامض الصلح. مع أنّ الإمام قد صرّح بأنّ معاوية دعا لأمر ليس فيه عزٌّ ولا نصفة.

٥- البقيّة البقيّة وامض الصلح: هذه الجملة منهم تدلّ على نهاية ضعفهم وغاية انحطاطهم واضطرابهم، حيث أنّهم رضوا بالصلح وقبول دعوة معاوية، مع ما فيها من الدلّ والعدوان.

٦- إنّما نحن أمراؤكم وضيّفانكم ونحن أهل بيت نبيّكم: هذه الجملة من الإمام تدلّ على ضعف معرفتهم وإثّهم غير معتمدين عنده، وهذا المعنى نهاية الإنكسار وكمال الضعف، فإنّهم مضافاً إلى شوب قلوبهم واضطراب أنفسهم واختلال أمورهم ورضاهم بالدلّ والدنية: لم يعرفوا إمامهم ولم يبايعوه حقّ البيعة، وإنّما كان معرفتهم الإمام كما يعرف الناس أميرهم وسلطانهم، فقامه محفوظ عندهم ما دام أميراً.

وبهذه الجهة ترى الإمام (ع) يستدل بعنوانين آخرين وهما كونه ضيفاً لهم وأنّه من أهل بيت النبوة، فإذا انتفت الإمارة فالعنوانان ثابتان باقيان.

٧- كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة: في هذه الجملات يكرر ما سبق من جهات الضعف، ويضيف إليها: أنّه (ع) ليس يطلب الدنيا ورياستها وامارتها حتّى يجارب عدوّه بأيّ شرط وبأيّ مكيدة ويقاتله بأيّ مقدّمة ونتيجة مشروعة أو غير مشروعة كما هو ديدن الأمراء الماديين.

فالإمام (ع) ليس نظره إلاّ إصلاح أمور الأُمّة وبسط العدالة وسوق الناس إلى الخير والحكمة والمعرفة، لا توسعة الملك وأخذ القدرة والسلطنة والحكومة الظاهريّة بأيّ طريق كان.

٨- فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء وقطعت فيها الأرحام وقطعت السُّبُل وعطلت الفروج - يعني الثغور - : يشير إلى اختلال أمور الاجتماع وظهور الهرج والمرج في المملكة الإسلاميّة ورفع الأمن والنظم في جامعة المسلمين، وهذا خلل

عموميّ يحيط بالناس أجمع، ومنشأه الخلاف الواقع من معاوية وتجزئته الحكومة الإسلامية وتفريق جامعة المسلمين وإيجاد العداوة والبغضاء بينهم وتقوية الأيدي العادية وبسط النهب والقتل والعدوان، وسنذكر مختصراً منها في الفصول الآتية.

٩- يسالمون من سالت ويحاربون من حاربت فتركها ابتغاء وجه الله: يشير إلى قصده الخالص وعمله الطاهر ونيتته الصافية الزاكية، فصلح الإمام في هذه الموقعية لم يكن إلا ابتغاء وجه الله الأعلى وإخلاصاً في عمله الصالح، ولو لم يكن له هذه النية فالشرائط الظاهرة والمقدمات العرفية والاستعدادات اللازمة في المحاربة وتحصيل الملك الظاهري والوصول إلى الحكومة والإمارة الدنيوية بالتوسل إلى السياسة والمقدمات اللازمة العرفية، كانت له موجودة، ولكن برنامج الإمام (ع) غير برنامج معاوية، وهو لا يتوسل إلى التزوير والسياسات غير المشروعة، ولا يعمل كما يعمل معاوية، وهو لا يكذب ولا يفترى ولا يظلم ولا يعمل للدنيا وهواها، ولا يصرف بيت المال في الباطل، ولا يقاتل عدواناً وطغياناً.

١٠- وحقق دماء الأمة، لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى: هذا المعنى مربوط إلى النتيجة وأثر المحاربة، والعلل السابقة كانت مربوطة بمقدمات الحرب، وقد سبق البحث في هذا الموضوع.

هذه عشرة أوجه يكفي واحد منها في تجويز الصلح بل في لزومه وتعيينه ووجوبه شرعاً وعرفاً.

وفي بحار الأنوار (ج ١٠، ص ١٠١) ع بإسناده عن أبي سعيد عقيصا، قال: قلت للحسن بن عليّ (ع): يا ابن رسول الله! لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أنّ الحق لك دونه وأنّ معاوية ضالّ باغ، فقال: يا أبا سعيد! ألسنت حجّة الله على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي؟ قلت: بلى. قال: ألسنت الذي قال رسول الله (ص) لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى.

قال: فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذا قعدت. يا أبا سعيد! علّة مصالحتي لمعاوية

علّة مصالحة رسول الله (ص) لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفّار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل. يا أبا سعيد! إذا كنت إماماً من قبل الله لم يجب أن يُسَفّه رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً، ألا ترى الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره، فرضي، هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل.

أقول: أبو سعيد اسمه دينار من ربيعة ولقبه عقيصا، ويظهر من هذه الرواية تشييعه، وهو مذكور في رجال الشيعة.

ولا يخفى تعبيره بقوله: «داهنت وصالحته» فيدلّ على أن الشايح المعلوم في هذا الزمان هو المصالحة لا المبايعة، ويؤيد هذا المعنى قول الإمام: علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله (ص) لبني ضمرة.

والحديبية بالضم: طرف الحرم على تسعة أميال من مكّة، وفيها وقعت المصالحة بين رسول الله (ص) وقريش بعد بيعة الرضوان، وذلك في سنة الست.

وبنو ضمرة بالفتح: حالفهم رسول الله (ص) على رأس إثني عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة، وكانوا حول الأبواء وودّان، ويسمى بغزوة الأبواء.

وبنو الشجع: كانوا من حلفاء اليهود، وينسبون إلى بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان، ثمّ أسلموا.

ثمّ إنّ الحكم والأسرار التي ذكرناها فهي على حسب ما وصل إلينا، والحقّ فيها ما قال الإمام (ع) في هذا الحديث: ألسنت حجّة الله على خلقه وإماماً عليهم؟ ألسنت الذي قال رسول الله (ص) لي ولأخي: هما إمامان قاما أو قعدا؟ فإنّ الإمام يدرك ما لا تدركه الرعيّة، بل إنّّه يعمل على حسب ما يوحى إليه، وللإمام وظائف خاصّة من

جانب الله تعالى أو من جانب رسوله.

وفي كلامه «إمامان قاما أو قعدا» إشارة إلى أن مقام الإمامة والولاية الإلهية تكويني ثابت لا يتغير ولا يتبدل ولا يقبل الصرف والتحويل، كما أن مقام النبوة والرسالة أمر تكويني من عند الله تعالى لا يقبل التغيير ولا يختلف بإقبال الناس وإدبارهم.

وأما قوله: لولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد: يمكن أن يكون هذا الوجه حكمة حقيقية، ولو لم نفهم حقيقته تفصيلاً ولم ندرك جزئياته يقيناً، فإننا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً. راجع كلامه ٧ و ١٠ من (باب ٤٧).

٤٣ - ما انعقد عليه الصلح

١- فلما رأى الحسن تفرّق الأمر بعث إلى معاوية يطلب الصلح، وبعث معاوية إليه عبدالله بن عامر وعبدالرحمن بن سمرة فقدموا على الحسن بالمدائن، فأعطياه ما أراد وصالحه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها، ثمّ قام الحسن في أهل العراق، فقال: يا أهل العراق! إنّه سخّى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي وطعنكم إيتاي وانتهابكم متاعي^(١).

٢- فاشترط الحسن أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم، وأن يكون خراج دار أجرد له وأن لا يُسبّ عليّ وهو يسمع، فإذا فعل ذلك نزل عن الإمرة لمعاوية ويحقن الدماء بين المسلمين، فاصطلحوا على ذلك^(٢).

ابن خلدون (بقيّة الثاني، ص ١٨٦) ما يقرب منها.

٣- فأرسل إليه الحسن يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء ممّا كان أيام أبيه، وعلى أن يقضي عنه ديونه، فأجابه معاوية إلى ما طلب، فاصطلحوا على ذلك، فظهرت المعجزة النبويّة في قوله (ص): يصلح الله به بين فئتين من المسلمين^(٣).

٤- لما رأى الحسن من أصحابه الفشل، أرسل إلى عبدالله بن عامر بشرائط اشترطها على معاوية على أن يسلم الخلافة له، وكانت الشرائط أن لا يأخذ من أهل

(١) تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٩٢.

(٢) البداية، ج ٨، ص ١٥.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ٧٤.

العراق أحداً باخته، وأن يؤمن الأسود والأحمر ويحتمل ما يكون من هفواتهم، ويجعل له خراج الأهواز مسلماً في كل عام، ويحمل إلى أخيه الحسين بن عليّ في كل عام ألفي درهم، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس، فكتب عبدالله بن عامر بذلك إلى معاوية، فكتب معاوية جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه وبذل له العهود المركبة والأيمان المغلظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام، ووجه به إلى عبدالله بن عامر وأوصل إلى الحسن رضي الله عنه، فرضي به^(١).

٥- ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلم الخلافة لمعاوية حياته لا غير ثم تكون له من بعده، وعلى ذلك انعقد بينهما من عقد في ذلك، ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها، وإن كان عند نفسه أحق بها^(٢).

أقول: في معجم ما استعجم: دراب جرد بفتح أوله، وقال أبو حاتم بكسره وبالجميم المكسورة، هما اسمان جعلتا اسماً واحداً وهي من بلاد فارس، والنسب إليها دراوردي، وهي التي هزم فيها الخوارج عبدالعزيز بن خالد. وفي معجم البلدان: داراب جرد بألف بعد الدال. وفي كتاب (فارسنامه): داراب بلدة في جنوب شرق شيراز على أربعين فرسخاً، وكلمة دار بمعنى المرابي والصاحب، وأطلقت على هذه الناحية (بلوك) لكثرة المياه والعيون فيها، وجرّد معرّب گرد بالكسر بمعنى البلد. وفي جانب غرب البلد مقبرة دحية الكلبي، ولعله كان حاكماً فيها من جانب الإمام (ع).

٦- ويسلم له الأمر على أن يسلم لثلاث خصال، يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه ويتحمل منه هو ومن عيال أهل بيته وولده وأهل بيته، ولا يسبّ عليّاً وهو يسمع، وأن يحمل إليه خراج فسا ودارابجرد من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي، فأجابه معاوية لذلك وأعطاه ما سأل وما أراد^(٣).

(١) الأخبار الطوال، ص ٢٠٠.

(٢) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٧.

(٣) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٢١.

٧- وأرسل عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وأمه هند بنت أبي سفيان بن حرب، إلى معاوية، يسأله المسالمة واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنة نبيه وأن لا يبايع لأحد من بعده وأن يكون الأمر شورى وأن يكون الناس أجمعون آمنين، وكتب بذلك كتاباً، فأبى الحسين (ع) وامتنع، فكلمه الحسن حتى رضي^(١).

٨- قد ذكر محمد بن بحر الشيباني في كتابه الفروق عن يوسف بن مازن الراسبي أنه قال: بايع الحسن بن علي (ع) لمعاوية على أن لا يسميه أمير المؤمنين ولا يقيم عنده شهادة وعلى أن لا يتعقب على شيعة علي شيئاً وعلى أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم وأن يجعل ذلك من خراج دارالجزيرة. قال: وما أطف حيلة الحسن في إسقاطه إياه عن إمرة المؤمنين. وقال: فسمعت القاسم بن محيصة يقول: ما وفي معاوية للحسن بن علي بشيء عاهده عليه، وإني قرأت كتاب الحسن إلى معاوية يعدد عليه ذنوبه إليه وإلى شيعة علي فبدأ بذكر عبدالله بن يحيى الحضرمي ومن قتلهم معه. ثم يقول الشيباني: فنقول إن ما قاله الراسبي من أمر الحسن ومعاوية عند أهل التمييز والتحصيل يسمى المهادنة والمعاهدة، ألا ترى كيف يقول ما وفي معاوية بشيء عاهده عليه وهادنه، ولم يقل بشيء بايعه عليه، والمبايعة على ما يدعيه المدعون على الشرائط بعد عدم الوفاء بها لم يلزم الحسن (ع)، وأشد ما هيئنا من الحجّة على الخصوم معاهدته إياه على أن لا يسميه أمير المؤمنين... إلخ^(٢).

أقول: لم أر في الروايات ما يعدّ الشرائط على التفصيل، أو يبيّن صورة المعاهدة على التحقيق، وأمّا ما أشير إليه من الشرائط في هذه الروايات، فنذكرها إجمالاً:

(١) ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٠١.

١- أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها: وفي حديث (٢): خمسة آلاف ألف درهم. وفي (٣): وأن يقضي عنه ديونه. وفي (٦): يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه ويتحمل منه هو ومن عيال أهل بيته وولده وأهل بيته.

٢- وأن يكون خراج دارابجرد له (حديث ٢): وفي (٦): وأن يحمل إليه خراج فسا ودارابجرد من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي. وفي (٨): وعلى أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل أو بصفين ألف ألف درهم وأن يجعل ذلك من خراج دارابجرد.

٣- وأن لا يسب علي وهو يسمع (حديث ٢، ٦).

٤- ويحقن الدماء بين المسلمين. وفي (٣): وعلى أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه. وفي (٤): أن لا يأخذ أحداً من أهل العراق باخته وأن يؤمن الأسود والأحمر ويحتمل ما يكون من هفواتهم. وفي (٧): وأن يكون الناس أجمعون آمنين. وفي (٨): وعلى أن لا يتعقب على شيعة علي شيئاً.

٥- أن تكون له الخلافة من بعده (حديث ٣). وفي (٤): على أن يسلم الخلافة له. وفي (٥): إنما سلم الخلافة لمعاوية حياته لا غير ثم تكون له من بعده. وفي (٧): وأن لا يبايع لأحد من بعده وأن يكون الناس شورى.

٦- ويجعل له خراج الأهواز مسلماً في كل عام (حديث ٤).

٧- ويحمل إلى أخيه الحسين بن علي في كل عام ألفي ألف درهم.

٨- ويفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس.

٩- واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنة نبيه (حديث ٧).

١٠- وعلى أن لا يسميه أمير المؤمنين (حديث ٨).

١١- ولا يقيم عنده شهادة.

وفي الأبواب السابقة (٤١ - ٤٢) ما يدلّ على ذلك .

وفي الشرائط الأربعة الأخيرة ما لا يخفى من اللطف وإحقاق الحقّ، ففيها رعاية حقوق الله كما في (٩)، ورعاية حقوق الأقربين من رسول الله (ص) كما في (٨)، وتثبيت مقام الولاية لنفسه وتنزيل مرتبة معاوية عن الخلافة الحقيقيّة كما في (١٠) - (١١).

ويروي ابن الصّبّاغ المالكي في فصوله المهمّة، صورة كتاب الصلح: بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا ما صلح عليه الحسن بن عليّ بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صلحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله .

وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وبيهم وعراقهم وحجازهم، وعلى أن أصحاب عليّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه .

وعلى أن لا يبغى للحسن بن عليّ ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله (ص) غائلة سوء سرّاً وجهرّاً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق. شهد عليه بذلك فلان وفلان، وكفى بالله شهيداً .

أقول: هذا الكتاب على تماميّته وصحّته، يمكن أن يكون الكتاب الذي أرسل به الإمام أوّلاً إلى معاوية، ثمّ وصل إليه كتاب معاوية بياضاً، فأضاف فيه شرائط أخر - كما في باب ٤٦، حديث ٣ - .

٤٤ - قيس بن سعد ومعاوية

١- عن عبيدة: لما صالح الحسن معاوية، اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف، وأبى أن يبايع، فأقبل على الحسن، فقال: أنا في حلّ من بيعتك؟ قال: نعم.

قال: فألقى لقيس كرسيّ، وجلس معاوية على سريره، فقال له معاوية: أتبايع؟ قال: نعم، فوضع يده على فخذه ولم يدها إلى معاوية، فجثا معاوية على سريره وأكبّ على قيس حتى مسح يده على يده، فما رفع قيس يده إليه^(١).

٢- لما كتب عبدالله بن عباس إلى معاوية، بعث إليه معاوية بن عامر في خيل عظيمة، فخرج إليهم عبدالله ليلاً حتى لحق بهم، ونزل وترك جنده الذي هو عليه، لا أمير لهم فيهم قيس بن سعد، واشترط الحسن لنفسه ثم بايع معاوية، وأمّرت شرطة الخميس قيس بن سعد على أنفسهم، وتعاهدوا هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشبيعة عليّ ولن كان اتّبعه على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في الفتنة، فخلص معاوية حين فرغ من عبدالله بن عباس والحسن إلى مكايده رجل هو أهمّ الناس عنده مكايده ومعه أربعون ألفاً.

وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشام، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ويقول: على طاعة من تقاتل وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك، فأبى قيس أن يلبن له حتى أرسل إليه معاوية بسجّل قد ختم عليه في أسفله، فقال: اكتب في هذا السجّل ما شئت فهو لك، قال عمرو لمعاوية: لا تعطه هذا وقاتله! فقال: على رسلك

(١) المقاتل، ص ٧٢.

فإننا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعداءهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك، وإني والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بدءاً، فلما بعث معاوية ذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعته عليّ الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس ومن معه في طاعته... وكانوا يعدون ذوي رأي العرب ومكيدتهم خمسة: معاوية وعمرو، والمغيرة بن شعبة، فهما من أصحاب معاوية، وقيس، ومن المهاجرين عبدالله بن بديل، من أصحاب علي^(١).

كامل ابن الأثير (ج ٣، ص ١٧٧)، وابن خلدون (بقيّة الثاني، ص ١٨٧) ما يقرب منها.

أقول: الظاهر أنّ الصحيح هو عبيدالله بن العباس لا عبدالله، كما مرّ في باب ٤٠ / ٥ فراجع، وقال ابن الأثير (ج ٣، ص ١٦٧): وفي سنة أربعين خرج عبدالله بن عباس من البصرة ولحق بمكة في قول أكثر أهل السيرة، وإنما كان الذي شهد صلح الحسن: عبيدالله بن عباس.

وأما اشتراط قيس وطلبه الأمان: فلعلّه من جهة استقامته وتعاهده على قتال معاوية. وأما شرطة الخميس: فالخميس بمعنى الجيش لكونه خمسة أقسام اليمين والميسرة وغيرهما، والشرطة أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيؤ للموت.

٣- كان قيس بن سعد بن عباد مع الحسن بن عليّ رضي الله عنه على مقدّمته، ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعدما مات عليّ رضي الله عنه وتبايعوا على الموت، فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل، وقال لأصحابه: ما شئتم، إن شئتم جالدت بكم حتى يموت الأعجل منّا، وإن شئتم أخذت لكم أماناً! فقالوا: خذ لنا أماناً، فأخذ لهم إنّ لهم كذا وكذا^(٢).

(١) تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٩٤.

(٢) الإستيعاب، ج ٣، ص ١٢٩١.

٤- وخرج بهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفاً فصاحوا بهم: هذا أميركم قد بايع، وهذا الحسن قد صالح، فعلامٌ تقتلون أنفسكم! فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى إثنين، إما القتال مع غير إمام أو تبايعون بيعة ضلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردّوهم إلى مصافهم.

وكتب معاوية إلى قيس يدعوه ويمنيه، فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً إلا وبينك والرحم^(١).

أقول: مقاتلته بعد صلح الإمام في أيام قليلة، لا يخالف مراد الإمام، ولا يعدّ خلافاً وعصياناً، فإنّ صلح الإمام إنّما وقع في حال الاضطراب ومن جهة انتخاب ما هو الأصلح للأمة الإسلاميّة، وهذا لا ينافي مجاهدة قيس ومحاربتة واستقامته في خلاف معاوية وإدامة مبارزته للدفاع عن حقوقه وحقوق المسلمين أزيد وأكد ممّا وقع في معاهدة الإمام، وقد سبق في (حديث ٢) اشتراطه له ولشيعة عليّ الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال.

وعلى هذا النظر لم يرد نهبي من جانب الإمام (ع) عن قتاله ومبارزته، ومعلوم أنّ الضرورة يكتفي بها ولا يتعدّى عنها ويقدر بقدرها، ولا سيما إذا كان أصل الموضوع معلوماً، وقد شاهدت قول قيس: أو تبايعون بيعة ضلال.

(١) المقاتل، ص ٦٥.

٤٥ - من خطبه بعد الصلح

١- عن الشعبي، قال: لما جرى الصلح بين الحسن بن عليٍّ ومعاوية، قال له معاوية: قم فاخطب الناس واذكر ما كنتَ فيه! فقام الحسن فخطب، فقال: الحمد لله الذي هدى بنا أولكم وحقق بنا دماء آخركم، ألا إن أكيس الكيس التقي، وأعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون كان أحقَّ به مني، وإما أن يكون حقي فتركته لله ولإصلاح أمة محمد (ص) وحقق دمائهم، قال: ثم التفت إلى معاوية، فقال: وإن أدري لعلَّه فتنة لكم ومتاع إلى حين. ثم نزل (١).

حلية الأولياء (الإمام) ما يقرب منها. وفيها: إما أن يكون حقَّ امرئٍ فهو أحقَّ به مني.

٢- وكان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة، قد كَلَّم معاوية وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس، فكره ذلك معاوية وقال: ما تريد إليَّ أن أخطب الناس! فقال عمرو: أريد أن يبدو عيَّه للناس، فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، ثم أمر رجلاً فنادى الحسن بن عليٍّ، فقال: قم يا حسن فتكلَّم الناس! فتشهد في بدهة أمر ولم يرو فيه ثم قال: أما بعد، فإن الله قد هداكم بأولنا وحقق دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدَّة، والدنيا دول، وإن الله قال لنبيِّه (ص): وإن أدري لعلَّه فتنة لكم ومتاع إلى حين. فلما قالها، قال معاوية: اجلس، فلم يزل ضمراً على عمرو (٢).

(١) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٨.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٢٤.

كامل ابن الأثير (ج ٣، ص ١٧٦) يروي قريباً منها.

٣- وفد الحسن بن عليّ على معاوية الشام، فقال عمرو بن العاص: إنّ الحسن رجل أفه فلو حملته على المنبر فتكلّم فسمع الناس من كلامه عابوه، فأمره فصعد المنبر فتكلّم فأحسن، وكان من كلامه أن قال: أيّها الناس! لو طلبتم ابناً لنبيّكم ما بين جابرس إلى جابلق لم تجدوه غيري وغير أخي، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومنازع إلى حين. فساء ذلك عمراً وأراد أن يقطع كلامه فقال: يا أبا محمّد! هل تنعت الرطب؟ فقال: أجل تُلقحه الشمال وتخرّجه الجنوب ويُضحّه برد الليل بحرّ النهار. قال: يا أبا محمّد! هل تنعت الخِراء؟ قال: نعم، تُبعد الممشي في الأرض الصّحّصّ حتى تتوارى من القوم ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالروثة ولا العظم ولا تبول في الماء الراكد، وأخذ في كلامه^(١).

٤- العقد الفريد (ج ٤، ص ١٩) ما يقرب منها. وفيها: إنّ الحسن لفه... عابوه وسقط من عيونهم ففعل... ما بين لابتها لم تجدوه... أجل تُلقحه... وتنضحه الشمس ويصبغه القمر... تبعد الممشي... بالقمامة والرّمّة: يريد الروث والعظم.
أقول: الأفه والفة: العي والكليل اللسان. اللابة: الحرّة من الأرض ذات الحجارة. الخِراء: العذرة. الصّحّصّ: ما استوى من الأرض.

٥- البداية (ج ٨، ص ٤٢) ما يقرب منها. وفيها: وإنا قد أعطينا بيعتنا معاوية، ورأينا أنّ حقن دماء المسلمين خير من إهراقها.

٦- روى أبو الحسن المدائنيّ قال: سأل معاوية الحسن بن عليّ بعد الصلح أن يحطّب الناس، فامتنع فناشده أن يفعل. فوضع له كرسيّ فجلس عليه ثمّ قال: الحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم وأخرج من الشّرك أوّلكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء إن شكرتم أو كفرتم، أيّها الناس! إنّ ربّ عليّ

(١) عيون ابن قتيبة، ج ٢، ص ١٧٢.

كان أعلم بعليّ حين قبضه إليه، ولقد اختصّه بفضله لم تعتدوا مثله (*) ولم تجدوا مثل سابقته، فهيمات هيئات طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم وهو صاحبكم، وعدوكم في بدر وأخواتها جرّعكم رتقاً وسقاكم علقاً وأذلّ رقابكم وأشرفكم بريقكم، فلستم بلومين على بغضه، وأيم الله لا ترى أمة محمد خفصاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية، ولقد وجه الله إليكم فتنة لن تصدروا (***) عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى وما ينتظر من سوء دعيتكم (***) وحيف حكمكم، ثمّ قال: يا أهل الكوفة! لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله صائب على أعداء الله نكال على فجّار قريش، لم يزل آخذاً بمناجرها جامئاً على أنفاسها، ليس بالملومة في أمر الله ولا بالسروقة لمال الله ولا بالفروقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمّه، دعاه فأجابّه وقاده فاتّبعه، لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته. ثمّ نزل (١).

٧- عن جبير، قال: قلت للحسن بن عليّ إنّ الناس يقولون إنّك تريد الخلافة؟ فقال: قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت، تركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد (ص) ثمّ ابتزّها باتّئاس أهل الحجاز (٢).

حلية الأولياء (ج ٢، الحسن) نظيرها.

أقول: ينبغي أن نشير إلى بعض ما في هذه الخطب:

١- هدى بنا أولكم وحقن بنا: الخطاب إلى أصحاب معاوية الذين اجتمعوا حوله وجلسوا في مجلسه، فيقول: اعلّموا أنّ هدايتكم إلى الإسلام وهو السعادة الأبدية إنّما

(*) في النسخ: لم تعهدوا بمثله.

(**) لن تصدّوا.

(***) رغبتكم.

(١) ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ١٠.

(٢) مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ١٧٠.

تحققت برسول الله (ص) وهو جدنا، ثم إذا خرجتم في طلب الدنيا والملك وقصدتم الحرب والقتال، ولم يمكن أن يتم هذا لكم إلا بإراقة دماء أكثركم، فتركنا الحرب وصالحنا ابتغاء وجه الله وحقناً لدمائكم.

٢- ألا إن أكيس الكيس التقي وأعجز: يشير إلى أن ترك الحرب وترك الملك في هذا المقام، هو التقوى والقدرة والكياسة والسياسة الحقة والتدبير الصحيح والعمل المطلوب، ومن فجر وخرج عن الحق والتقوى فهو العاجز الضعيف.

٣- إما أن يكون أحق به مني: مع أن هذا غير معقول إذ بايعه المؤمنون من أهل المدينة وبقية المهاجرين والأنصار والتابعين، وهو ابن بنت رسول الله (ص)، وقد ورد في حقه وفضله ومقامه أحاديث كثيرة، وهو أولى الناس بالخلافة علماً وعملاً وفضلاً، ولا يقاس بآل محمد (ص) غيرهم.

٤- فتركته لله: فعلى فرض أن يكون معاوية أحق به مني فإنه لم يستطع أن يتركه لله ولحقن الدماء، وتركته لله وإصلاح أمر الأمة مع استحقاقه به.

٥- لعله فتنة أو متاع: يريد أن هذا الملك لا يخلو من أن يكون متاعاً في الحياة الدنيوية في الأيام المعدودة، أو ابتلاءً وافتتناً له، وعلى أي حال فهو لا يدوم، وقال (حديث ٢): وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول.

٦- أريد أن يبدو عيّه للناس: هذا تهمة من عمرو بن العاص، وهو يريد تضعيفه في الناس، حيث يظن أن الإمام يكون مرعوباً، ولا سابقة له في تنظيم الخطبة لهذا المجلس، ولا سيما مع شدة حيائه في نفسه، وفي تهذيب ابن عساكر (ج ٤، ص ٢١٤) وقال له والده علي (ع) يوماً: قم يا حسن فاخطب الناس! فقال: إنني أهابك أن أخطب وأنا أراك، فتغيب عنه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه وتكلم ثم نزل. فقال علي: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم (*).

٧- لو طلبتم ابناً لنبئكم ما بين جابرٍس إلى جابلق (٣): فهما سيّدا شباب أهل الجنة، ومن الخمسة أهل الكساء، ومن الأقربين من ذوي القربى، ومن العترة الذين أوصى بهم رسول الله (ص) بقوله: إني تارك فيكم الثقلين، ومن أهل بيت رسول الله وهم أدري بما في البيت.

٨- أكرم بنا مؤمنكم (٦): فإنّ عزّة المؤمن ومقامه الروحانيّ وعظمة رتبته لا تتحصّل إلّا بالإيمان وإطاعة الرسول واتباع الأحكام التي جاء بها رسول الله (ص).

٩- فبلاءنا عندكم أحسن البلاء (٦): أي الاختبار والبأس والغمّ الحاصل عندكم من جانبنا، التي ابتليتم بها أحسن الابتلاء، وهي الموجبة للارتباط وشفاء السريرة وخلوص المحبة وكمال المعرفة.

١٠- لم تعتدوا مثله: أي لا يمكن لكم أن تتجاوزوا عن مثله وتجذوا من فوقه أو نظيره. والرئق بفتحيتين: الماء الكدر وتراب في الماء. والعلق بفتحيتين: الدم. شَرِقَ بريقه: غصّ. أشرقه بريقه: أغصّه. والشَّرِق: اجتذاب إلى الحلق والريق: لعاب الفم. والحفّض: اللين والسعة.

٤٦ - معاوية ينقض عهده

١- عن أبي إسحاق، قال: سمعت معاوية بالبخيلة يقول: ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدمي هاتين لا أفي به^(١).

قال أبو إسحاق: وكان والله غداراً.

٢- وكان الذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة، ومبلغه خمسة آلاف ألف، وخراج دارابجرد من فارس، وأن لا يشتتم عليّاً. فلم يجبه إلى الكفّ عن شتم عليّ، فطلب أن لا يشتتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك ثم لم يف له به أيضاً. وأمّا خراج دارابجرد فإنّ أهل البصرة منعه منه وقالوا: هو فيئنا لانعطيه أحداً، وكان منعهم بأمر معاوية أيضاً^(٢).

ابن خلدون (بقيّة الثاني، ص ١٨٦) ما يقرب منها.

٣- فكاتب معاوية وأرسل إليه بشروط، قال: إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع، وعليك أن تفي لي به، ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء محتوم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك، فلمّا أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل هذا وأمسكها عنده.

(١) المقاتل، ص ٦٩.

(٢) الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ١٧٥.

وأمسك معاوية صحيفة الحسن التي كتب إليه يسأله ما فيها. فلما التقى معاوية والحسن عليه السلام سأله الحسن أن يعطيه ذلك! فقال: لك ما كتبت إليّ أولاً فإني قد أعطيتك حين جاءني كتابك، قال الحسن: وأنا قد اشترطت حين جاءني كتابك وأعطيني العهد على الوفاء بما فيه، فاختلفا في ذلك، فلم ينفذ للحسن من الشروط شيئاً^(١).

٤- قال سليمان بن سرد للإمام (ع): فلو كنت إذ فعلت ما فعلت وأعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق، كنت كتبت عليك بذلك كتاباً وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب: إن هذا الأمر لك من بعده كان الأمر علينا أيسر، ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله، ثم قال وزعم على رؤوس الناس ما قد سمعت: إني كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم عدات ومنيبتهم أمانياً، إرادة إطفاء نار الحرب ومدارة لهذه الفتنة، إذا جمع الله لنا كلمتنا والفتنة، فإن كل ما هنالك تحت قدمي هاتين.

ووالله ما أعنى بذلك إلا نقض ما بينك وبينه^(٢).

أقول: قد مرّ في باب ٤٣ (ما انعقد عليه الصلح) ما يرتبط بالمقام.

فعلم أنّ معاوية نقض ما عهد وخالف ما قال واشترط ولم يف بما بينهما من الميثاق، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

ولنعم ما قال أبو إسحاق (حديث ١): وكان والله غداراً.

(١) تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٩٣.

(٢) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٣٦.

ولم يكن نظر معاوية إلاّ تضعيف بني هاشم وتفريق جمعهم وتشيت شملهم، ولا سيما أهل بيت رسول الله (ص) وشيعتهم وأصحابهم، وكان يرى وجودهم مانعاً عن بسط حكومته وإدامة ملكه واستخلاف ولده.

ومما يوجب العجب أنّ معاوية لم يقنع بسلب الحكومة والملك من أهل بيت النبي (ص)، بل أراد أن يذهب حسن أثرهم وسمو منزلتهم، ويزول رفيع مقامهم ويختلّ معاشهم.

فترى أنّه نقض عهده في ترك سبّ عليّ بن أبي طالب (ع)، لئلاّ تبقى منه محبة وعلاقة في قلوب الناس، وحتىّ تمتلئ صدورهم منه ومن أهل البيت بغضاً وعداوة.

وإنّهُ لم يف في تأديّة خراج دار الجرد: حتىّ يختلّ معاش بني هاشم وتنكسر صولتهم ويفسد نظم أمورهم، وكأنّهُ لم يسمع كلام الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

وإنّهُ لم يعمل بما عهد من تأمين شيعة عليّ (ع)، بل فعل عليهم ما فعل وظلم في حقوقهم وجار عليهم ونفاهم وأسرههم وقتلهم وسلّط عليهم من لا يرحمهم.

وإنّهُ نقض ما تعهد من العمل بالكتاب والسنة، وقال تعالى: ﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً قَوِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وقال رسول الله (ص): إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتىّ يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيها. راجع باب ٨.

٤٧ - اعتراضات وأجوبتها

١ - بإسناده عن سفيان، قال: أتيت الحسن بن عليّ حين بايع معاوية، فوجدته بفناء داره وعنده رهط، فقلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين! فقال: وعليك السلام يا سفيان، انزل!

فنزلت فعقلت راحلتي ثمّ أتيته فجلست إليه.

فقال: كيف قلت يا سفيان؟ فقلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين.

فقال: ما جرّ هذا منك إلينا؟ فقلت: أنت والله - بأبي أنت وأمّي - أذلت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مائة ألف كلّهم يموت دونك، وقد جمع الله لك أمر الناس.

فقال: يا سفيان! إنّنا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسكنا به، وإنّي سمعت عليّاً يقول: لا تذهب الليالي والأيام حتّى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السّرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتّى لا يكون له في السّماء عاذر ولا في الأرض ناصر، وإنّه لمعاوية، وإنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره.

ثمّ أذن المؤدّن، فقمنا على حالب يحلب ناقة، فتناول الإناء فشرب قائماً، ثمّ سقاني، فخرجنا نمشي إلى المسجد، فقال لي: ما جاء بك يا سفيان؟ قلت: حبّكم والذي بعث محمّداً بالهدى ودين الحقّ.

قال: فأبشر يا سفيان، فإنّي سمعت عليّاً يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي ومن أحبّهم من أمّتي كهاتين يعني السّبّابتين، ولو شئت لقلت هاتين يعني السّبّابة والوسطى

إحدهما تفضّل على الأخرى، أبشر يا سفيان فإنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر حتى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد صلّى الله عليه وآله^(١).

٢- عن الرّاسبي، قال: قام رجل إلى الحسن بن عليّ فقال: يا مسوّد وجوه المؤمنين! فقال الحسن: لا تؤنّبني رحمك الله فإنّ رسول الله (ص) قد رأى بني أميّة يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فسأه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، نهر في الجنّة، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، تملّكها بنو أميّة، فحسبنا ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص^(٢).

٣- ويروي أيضاً (ص ١٧١) عن سفيان بن اللّيل الهمداني قال: أتيت الحسن بن عليّ حين بايع معاوية، فقلت: يا مسوّد وجوه المؤمنين... ثمّ ذكر نحوه.

٤- ويروي أيضاً (ص ١٧٥) عن أبي العريف قال: كنّا في مقدّمة الحسن بن عليّ اثني عشر ألفاً تقطر أسيافنا من الحدّة على قتال أهل الشام، وعلينا أبو العمرطة، فلما أتانا صلح الحسن ومعاوية كأنّما كسرت ظهورنا من الحرد والغيط، فلما قدم الحسن ابن عليّ الكوفة، قام إليه رجل منّا يكتئى أبا عامر سفيان بن اللّيل، فقال: السلام عليك يا مدلّ المؤمنين! فقال الحسن: لا تقل ذلك يا أبا عامر! لم أذلّ المؤمنين، ولكنّي كرهت أن أقتلهم في طلب الملك.

٥- الإستيعاب (ج ١، ص ٣٨٦) بإسناده مثلها، وفيها: عن أبي العريف... ألفاً بمسكن مستميتين تقطر أسيافنا من الجدّ والحرص على... من الغيط والحزن... بن ليلى... الرّواية.

٦- ويروي أيضاً عن ابن شوذب: لما التقوا، فكره الحسن القتال وبايع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده، فكان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار

(١) المقاتل، ص ٦٧.

(٢) مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٧٠.

المؤمنين! فيقول: العار خير من النار.

٧- أتى سليمان بن صرد وكان غائباً عن الكوفة، وكان سيّد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن، فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين! فقال الحسن: وعليك السلام، اجلس لله أبوك، قال: فجلس سليمان، فقال: أمّا بعد، فإنّ تعجّبنا لا ينقضي من بيعتك معاوية ومعك مائة ألف مقاتل من أهل العراق... وكلّهم يقول: ابعت سليمان بن صرد وبعثنا معه ثمّ الحقنا، إذا علمت أنّا قد أشخصنا عامله وأظهرنا خلعه!

فتكلّم الحسن فحمد الله، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّكم شيعتنا وأهل مودّتنا ومن عرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا، وللدنيا أعمل وأنصب ما كان معاوية بأأس منّي بأساً وأشدّ شكيمه، ولكان رأيي غير ما رأيتم، ولكني أشهد الله وإياكم أنّي لم أدر بما رأيتم إلاّ حقن دمائكم وإصلاح ذات بينكم، فاتّقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلّموا الأمر لله وافرّموا بيوتكم وكفّوا أيديكم حتّى يستريح بريء ويستراح من فاجر، مع أنّ أبي كان يحدثني إنّ معاوية سيّلي الأمر، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنّه سيظهر، إنّ الله لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه.

وأما قولك يا مذلّ المؤمنين: فوالله لئن تذلّوا وتعافوا أحبّ إليّ من أن تعزّوا وتقتلوا، فإن ردّ الله علينا حقّنا في عافية قبلنا، وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنّا رضينا وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنّا، فليكن كلّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حيّاً، فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون^(١).

(١) الإمامة والسياسة، ص ١٣٦.

أقول: الشكيمة هي الحديدية المعترضة في فم الفرس والجزءاء. ودرى به: توصل إلى علمه. والبريء: الخالص وغير المتهم.

٨ - قام رجل إلى الحسن بن عليّ بعدما بايع معاوية، فقال: يا مسوّد وجوه المؤمنين! فقال: لا تؤنّبني رحمك الله، فإنّ النبيّ (ص) أرى بني أميّة على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، يعني نهرًا في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ - إلى قوله - لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿ يملكها بعدك بنو أميّة يا محمّد. قال الرّواي: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص^(١).

رواها في البداية والنهاية (ج ٨، ص ١٨) وتاريخ الخلفاء (ص ٦) وفي الكامل لابن الأثير (ج ٣، ص ١٧٦): ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل، فقال له: يا مسوّد وجوه المسلمين! فقال: لا تعذلني، فإنّ رسول الله (ص) رأى بني أميّة في المنام ينزون على منبره رجلاً فرجلاً، فساءه ذلك... كما في الترمذي.

٩ - فكان أصحابه يقولون: يا عار المؤمنين! فيقول: العار خير من النار. وقال له رجل: السلام عليك يا مذللّ المؤمنين! فقال: لست بمذللّ المؤمنين ولكنّي كرهت أن أقتلكم على الملك^(٢).

١٠ - وكان أوّل من لقي الحسن بن عليّ رضي الله عنه، فنذّمه على ما صنع ودعاه إلى ردّ الحرب: حُجر بن عديّ، فقال له: يا ابن رسول الله! لوددت أنّي متّ قبل ما رأيت أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحقّ الذي كُنّا عليه ودخلنا في الباطل الذي نهرب منه، وأعطينا الدنيّة من أنفسنا وقبلنا الخسيسة التي لم تلق بنا، فاشتدّ على الحسن رضي الله عنه كلام الحجر، فقال له: إنّني رأيت هوى أعظم الناس في الصلح وكرهوا الحرب فلم أحبّ أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقاءً على

(١) سنن الترمذي، ص ٤٨٤.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ٧٤.

شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن.

قال: فخرج من عنده ودخل على الحسين رضي الله عنه مع عبدة بن عمر، فقالوا: أبا عبدالله! شريتم الذلّ بالعزّ وقبلتم القليل وتركتم الكثير، أطعنا اليوم وأعصنا الدهر دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، ووّلني وصاحبي هذه المقدّمة، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف! فقال الحسين: إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا^(١).

١١- وروى عن عليّ بن محمّد الهمدانيّ، قال: خرجت أنا وسفيان بن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة، فدخلنا عليه وعنده المسيّب بن نجبة وعبدالله بن الودّاع التميمي وسراج بن مالك الخثعمي، فقلت: السلام عليك يا منذلّ المؤمنين! قال: وعليك السلام اجلس ولست منذلّ المؤمنين ولكنّي معزّهم، ما أردت مصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتلى عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن القتل ونكولهم عن القتال، والله لئن سرنّا إليه بالجبال والشجر ما كان بدّاً من إفضاء هذا الأمر إليه، قال: ثمّ خرجنا من عنده ودخلنا على الحسين فأخبرناه بما ردّ علينا، فقال: صدق أبو محمّد، فليكن كلّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الانسان حيّاً.

١٢- ترخّل الحسن بن عليّ ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابن عمّهم عبدالله ابن جعفر إلى المدينة، وجعل كلّما مرّ بحجّيّ من شيعتهم يبيّكّونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية، وهو في ذلك هو البارّ الرّاشد المدّوح وليس يجد في صدره حرجاً ولا تلوّناً ولا ندماً، بل هو راض مستبشر به، وإن كان قد ساء هذا خلقاً من ذويه وأهله وشيعتهم، ولا سيّما بعد ذلك إلى يومنا هذا^(٢).

(١) الأخبار الطوال، ص ٢٠٢.

(٢) البداية، ج ٨، ص ١٨.

أقول: نوضِّح ما يحتاج إلى البيان في هذه الروايات:

١- عن سفيان قال أتيت الحسن (ع): الظاهر أنه سفيان بن أبي ليلى الهمداني من أصحاب الإمام (ع). وفي حديث (٣): سفيان بن الليل الهمداني. وفي حديث (٤): أبو عامر سفيان بن الليل. وفي حديث (٥): شيخ منّا يكنّى أبا عامر سفيان بن ليلى. وفي حديث (١١): خرجت أنا وسفيان بن ليلى. راجع تنقيح المقال وغيره.

٢- عن الراسبي (حديث ٢): الظاهر أنه عبدالله بن وهب الرّاسبي، والراسب بطن من الأزد، وهو من رؤوس الخوارج.

٣- أبو العريف: الظاهر أنه عبدالله بن خليفة، قد يعدّ من أصحاب أمير المؤمنين (ع). وفي الإستيعاب (حديث ٥): أبو العريف.

٤- أبو العمرطة: في هامش الإستيعاب، هكذا في جميع الأصول، ولم أجد له أثراً في كتب الرجال.

٥- سليمان بن صرد: بضمّ الأوّل فالفتح، وهو الخزاعيّ من أصحاب رسول الله (ص) وأمير المؤمنين والحسن والحسين (ع) ومن التّوّابين المجاهدين الطالبين بدمه، وهو من رؤساء أهل الكوفة وزهادهم ومن أشرف الشيعة.

٦- مسيب بن نجبة: بالتحريك هو الفزاري من رؤساء التابعين وزهادهم ومن الطالبين بثار الحسين مع سليمان في سنة خمس وستين.

٧- إنّي عرفت إنّ الله بالغ أمره: يشير إلى علمه (ع) بأنّ معاوية يملك ويغلب ويظفر، ولا توفيق في المحاربة بأيّ قوة وعدّة ممكنة موجودة، ولا يحصل ظفر للإمام (ع)، فلا بدّ من الصلح لحقن الدماء وإصلاح ذات البين. وفي (حديث ٧): فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنّه سيظهر. وفي (حديث ٨): فإنّ النبيّ (ص) أرى بني أميّة على منبره.

٨- إنّنا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسكنا به: يشير إلى أنّ اللازم والمطلوب هو

اتباع الحق، والحق أوسع من الغلبة والظفر والملك الظاهري، وقد يكون الخير والصلاح في التسليم والإطاعة والتقية في الظاهر، حتى يحكم الله وينصر الحق. وقال: فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق. وفي (حديث ٧): فإن رد الله علينا حقنا في عافية قلبنا.

٩- فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يشير إلى أن ليلة واحدة وهي مرضية عند الله تعالى وتنقضي بالطاعة والعبودية والإخلاص: تعادل ألف شهر بل هي خير من ألف شهر من ليالي بني أمية وأيامها، والاعتبار بالكيفية لا بالكمية وبالحقيقة لا بالمقدار، والملك والسلطنة ليس لها اعتبار، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً.

١٠- إلا حَقَن دماءكم واصلاح ذات بينكم: حفظ النفوس والمنع عن إهراق الدماء والقتال والنهب والفساد والاختلال والمهرج واجب عقلاً وشرعاً، وكذا الاصلاح فيما بين المسلمين والتأمين في معيشتهم وحياتهم، يرتفع الخلاف والعدوان والجور والعصيان، ويعيش الناس في صحة وأمان.

١١- إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ: أي الكثير من الخير وهو السعادة الأبدية والبركة المعنوية والفيوضات الإلهية، ونتيجتها الارتباطات الروحية المعبر عنها بالصلاة، ونحرها عبارة عن الإتيان والإخلاص والتوجه التام والانقطاع الكامل عما سواها. فبرنامج النبي (ص) سوق الناس إلى هذا الصراط الأقوم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾. وأما الشؤون الدنيوية والمناصب المادية فهي مطلوبة ما دامت توجب الصلاح وتؤيد المرام وتنصر المراد.

١٢- كرهت أن أقتلهم في طلب الملك (حديث ٤)، العار خير من النار (٦)، وللدنيا عمل وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً (٧)، لئن تذّلوا وتعافوا أحب إليّ من أن تعزّوا وتقتلوا: يظهر من هذه العبارات أن الحرب والقتال في ذلك اليوم لم يكن له أثر إلا النار والعمل للدنيا وطلب الملك وقتل الشيعة، فإن موقعة ذاك اليوم

والشرائط الموجودة والإمكانات الحاصلة فيه في الحرب لم تكن مقتضية إلا الفساد
وشدة الابتلاء.

يقول العلامة السيّد بحر العلوم:

وأكثر فيه العاذلون من العذل	فصيرتم صلح الزكّيّ مسبّة
وما هي إلا عصمة رثة الحبل	وتلك شكاة ظاهر عنه عارها
على صلحه كفّار مكّة من قبل	لني مثلها ذمّ الذمّيم محمّداً
معينة لكن وعاه ذوو العقل	وقد قال في السبطين قولاً جهلتم
يضرّهما خذلان من همّ بالخذل	إمامان إن قاما وإن قعدا فما
مصالحة الباغي الغويّ على دخل	وما شأن شأن المجتبي سبط أحمد
وصدّ عن البيت الحرام إلى الحلّ	فقد صالح المختار من صالح ابنه
يكفّ به الله الأكفّ عن القتل	وقال خطيباً فيه ابني سيّد
لما كان في الأصلاب من طيب النسل	كما كفّ أيديكم بمكّة عنهم

ثمّ إنّ الجواب عن الاعتراض يختلف باختلاف الأشخاص من جهة أفكارهم
وعقولهم قوّة وضعفاً، فقد رأيت أنّ الإمام أجاب في مورد بقوله: إنا أهل بيت إذا
علمنا الحقّ تمسكنا به. وأجاب في مورد آخر بقوله: العار خير من النار.

ويجيب عن معترض بقوله: كرهت أن أقتلهم في طلب الملك. وعن معترض آخر
بقوله: إنّ رسول الله قد رأى بني أميّة يخطبون على منبره، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
الْكُوثَرَ﴾ و ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. وإنّه يقول في جواب رجل: لئن تذلّوا
وتعافوا أحبّ إليّ من أن تعزّوا وتقتلوا.

ويقول في جواب رجل آخر: إنّي لم أدر بما رأيتم إلاّ حقن دماءكم. وإنّه يقول في
جواب واحد من أصحابه: فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنّه سيظهر.
ثمّ يقول في جواب آخر منهم: إنّي رأيت هوى أعظم الناس في الصلح وكرهوا الحرب.

فكلّ واحد من هذه الأجوبة في مورده تامّ صحيح، وإن احتاج بعض منها إلى توضيح، أو إلى ضمّ مقدّمة أو قرينة إليه. والجواب الآخر كامل في نفسه تامّ من جميع الجهات جارٍ في قاطبة موارد الاعتراض. راجع باب ٤٠.

٤٨ - الجرأة والتعرض له (ع)

١- ولقي عمرو بن العاص الحسن بن عليّ عليهما السلام في الطّواف، فقال: يا حسن! أزعمت أن الدّين لا يقوم إلّا بك وبأبيك، فقد رأيت الله أقامه بمعافية، فجعله ثابتاً بعد ميله وبيناً بعد خفائه، أفيرضى الله قتل عثمان، أم من الحقّ أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين، عليك ثياب كغرقى البيض، وأنت قاتل عثمان، والله أنه لألمّ للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك.

فقال الحسن صلوات الله عليه: إنّ لأهل النار علامات يعرفون بها وهي الإلحاد في دين الله والموالاة لأعداء الله والانحراف عن دين الله، والله إنّك لتعلم أنّ عليّاً لم يتريّث^(*) في الأمر ولم يشكّ في الله طرفه عين، وأيم الله لتنتهين يا ابن العاص أو لأقرعن قَصْتَك - يعني جبينه - بقراع وكلام^(**)، وإياك والجرأة عليّ، فأني من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة - يعني العظام - ولا بمريء المأكلة، وإني لمن قريش كأوسط القلادة، معرق^(***) حسبي لا أدعى لغير أبي، وقد تحاكت فيك رجال من قريش فغلب عليك ألأمها حسباً وأعظمها لعنة، فأياك عني فأبما أنت نجس، ونحن أهل بيت الطّهارة أذهب الله عننا الرّجس وطهّرنا تطهيراً^(١).

المحاسن للبيهقي (ص ٨٦) يروي مثله.

(*) في محاسن البيهقي: لم يتريّب.

(**) في محاسن البيهقي: بكلام تبقى سمته عليك ما حييت.

(***) في محاسن البيهقي: يعرف.

(١) المحاسن، ص ٩٨.

أقول: الغرقى، كزبرج: القشرة الملتصقة ببياض البيض. ألم للشعث: أجمع للتفرق.
الوعث: تعسر السلوك. تريث: ابطأ واعيا. الهش: الرخو الضعيف.

٢- بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه، إذ قيل له: الحسن بالبواب، فقال معاوية: إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه، فقال له مروان بن الحكم: ائذن لي فإني أسأله ما ليس عنده فيه جواب، قال معاوية: لا تفعل فإنهم قوم قد ألهموا الكلام، وأذن له. فلما دخل وجلس، قال له مروان: أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن، ويقال إن ذلك من الخرق! فقال الحسن: ليس كما بلغك ولكننا معشر بني هاشم أفواهنا عذبة شفاهها، فنسأؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن وقبلهن، وأنتم معشر بني أمية فيكم بحر شديد، فنسأؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداعكم، فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك.

قال مروان: إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء! قال: وما هي؟ قال: العُلْمَة، قال: أجل نُزعت العُلْمَة من نساءنا ووُضعت في رجالنا، ونزعت العُلْمَة من رجالكم ووضعت في نساءكم، فما قام لامويّة إلا هاشميّ. فغضب معاوية وقال: قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم وأفسد عليكم مجلسكم، فخرج الحسن وهو يقول:

ومارست هذا الدهر خمسين حجةً وخمساً أزعجني قائلاً بعد قائل
فلا أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي أهوى كدحت بطائل
وقد شرعت دوني المنايا أكفها وأيقنت أنني رهن موت بعاجل^(١)

٣- وقال الحسن بن عليّ لحبيب بن مسلمة الفهري: ربّ مسير لك في غير طاعة الله! قال: أمّا مسيري إلى أبيك فلا، قال بلى! ولكنك أطعت معاوية عن دنيا قليلة فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك، ولو كنت إذ فعلت شرّاً قلت خيراً

(١) العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٠.

كنت كما قال الله عز وجل: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾، ولكنتك كما قال الله: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

أقول: الحرق بالضم هو ضعف الرأي والحمق. البخر بفتحين: نتن ريح الفم. الصدغ بالضم: ما بين الأذن والعين. العذار بالكسر: جانب اللحية. الغلطة بالضم الشهوة. الحجّة بالكسر: السنّة. الحمس: الشدّة والغضب. الزجو والتزجية: الدفع والسوق. الكدح: الجهد والكسب. شرع الرماح: سددها. ران على قلوبهم: غلب عليها نتيجة ما كسبوا وعملوا من سيئات الأعمال، ولم يبق لهم نور وإيمان وتوجه إلى الروحانيّة، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

البيان والتبيين (ج ٢، ص ٨٩) قال الحسن بن عليّ (ع) لحبيب بن مسلمة. كما في العقد.

٤- روى الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات، قال: اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن عليّ عليه السلام قوارص (كلمات مؤلمة) (*) وبلغه عنهم مثل ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين! إن الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فضدق وأمر فأطيع وخفقت له النعال، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا!

قال معاوية: فما تريدون؟ قالوا: ابعث عليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ونعيه ونوبخه، ونخبره أن أباه قتل عثمان وتقرّره بذلك، ولا يستطيع أن يغيّر علينا شيئاً من ذلك. قال معاوية: إنني لا أرى ذلك ولا أفعله. قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن! فقال: ويحكم لا تفعلوا فوالله ما رأيته قطّ جالساً عندي إلا خفت مقامه وعيبي لي. قالوا: ابعث إليه على كل حال.

(*) قد جعلنا معاني اللغات المشكّلة في هذه الرواية فيما بين القوسين.

قال: إن بعثته إليه لأنصفته منكم! قال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقنا أو يبري قوله على قولنا! قال معاوية: أما أني إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بكل لسانه! قالوا: مره بذلك. قال: أما إذا عصيتموني وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا ترضوا له في القول واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيهم العائب ولا يلصق بهم العار، ولكن الصقوه بحجره، تقولون له إن أباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء من قبله! فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله، فقال: إن أمير المؤمنين يدعوك! قال: من عنده؟ فسأهم.

فقال الحسن (ع): ما لهم خرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون! ثم قال: يا جارية! إبعيني ثيابي (أعيني في طلبها) اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأدرء بك في نحورهم (*) وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت وأني شئت، بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين.

ثم قام، فلما دخل على معاوية، فأعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه، وقد ارتاد القوم (اضطربوا) وخطروا خطران الفحول (رفع الذنب) بغياً في أنفسهم وعلواً. ثم قال: يا أبا محمد! إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني!

فقال الحسن (ع): سبحان الله! الدار دارك والإذن فيها إليك، والله إن كنت أحببتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك من الضعف، فأبيها تقرّ وأبيها تنكر؟ أما أني لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبدالمطلب، وما لي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم، إن وليي الله وهو يتولّى الصالحين.

فقال معاوية: يا هذا! إني كرهت أن أدعوك ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له، وإن لك منهم النصف ومني، وإنما دعوناك لنقرّرك أن عثمان قتل مظلوماً

(*) النحور جمع النحر وهو أعلى الصدر. يقال قعد في نحر فلان أي في مقابله.

وإنَّ أباك قتله، فاستمع منهم ثمَّ أجبههم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكلِّ لسانك.

فتكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلى على رسوله، ثمَّ ذكر علياً عليه السلام فلم يترك شيئاً يعيبه به إلاَّ قاله، وقال أنه شتمَّ أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته ثمَّ بايعه مكرهاً، وشرك في دم عمر وقتل عثمان ظلماً، وادَّعى من الخلافة ما ليس له، ثمَّ ذكر الفتنة يعيره بها وأضاف إليه مساوي...

ثمَّ تكلم الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط، فقال: يا بني هاشم! إنَّكم كنتم أحوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم، وكان من أصهاركم (كانت أمُّ عثمان أروى بنت أمِّ حكيم بنت عبدالمطلب، وكان عثمان صهر رسول الله على بنتيه) فنعم الصهر كان لكم بكرمكم، فكنتم أول من حسده فقتله أبوك ظلماً لا عذر له ولا حجة، فكيف ترون الله طلب بدمه وأنزلكم منزلتكم، والله إنَّ بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية، وإنَّ معاوية خير لك من نفسك.

ثمَّ تكلم عُتْبة بن أبي سفيان، فقال: يا حسن! كان أبوك شرَّ قريش لقريش لسفكه لدمائها وقطعه لأرحامها طويل السيف واللسان يقتل الحيَّ ويعيب الميت، وإنَّك ممن قتل عثمان ونحن قاتلوك به وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً* ولا ميراثها راجحاً، وإنَّكم يا بني هاشم قتلتم عثمان وإنَّ في الحقِّ أن نقتلك وأخاك به، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه، وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إنَّهم ولا عدوان.

ثمَّ تكلم المغيرة بن شعبة، فشتمَّ علياً وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون ولا في حكم يميل ولكنَّه قتل عثمان.

فتكلم الحسن بن عليّ (ع): فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (ص) ثمَّ

(* قدح بالزند: حاول إخراج النار منه. والزند: العود الذي يقتدح به النار.

قال: أمّا بعد يا معاوية! فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني، فحشاً ألفته وسوء رأي عرفت به وخلقاً سيئاً ثبتّ عليه بغياً علينا وعداوة منك لمحمد وأهله، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلاقولنّ فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم، أنشدكم الله أيها الرهط! أتعلمون أنّ الذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين كليهما، وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى غواية، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان.

وأنت يا معاوية بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أوّل الناس إيماناً، وإنك يا معاوية وأباك من المؤلّفة قلوبهم تسرون الكفر وتظهرون الإسلام وتستألون بالأموال، وأنشدكم الله أستم تعلمون أنه صاحب راية رسول الله (ص) يوم بدر، وأن راية المشركين كانت معك ومع أبيك.

ثمّ لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله (ص) ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كلّ ذلك يفتح الله له ويفلج حجّته(*) وينصر دعوته ويصدّق حديثه ورسول الله (ص) في تلك المواطن كلّها عنه راض وعليك وعلى أبيك ساخط، وأنشدك الله يا معاوية أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبه هذا يقوده، فرآكم رسول الله (ص)، فقال: اللهمّ العن الراكب والقائد والسائق، أتسى يا معاوية الشعر الذي كتبتّه إلى أبيك لما همّ أن يسلم، تنهاه عن ذلك (**):

يا صخر لا تُسلمن يوماً فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا مزقاً
خالي وعمّي وعمّ الأمّ ثالثهم	وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركننّ إلى أمر تكلفنا	والراقصات به في مكّة المحرقا

(*) أفلج حجّته: أظهره وقدمه.

(**) المرق جمع مزقة بالكسر: القطعة. وكذلك المحرق. الأرق بفتحتين: المنّ وما ينعم به. فرق منه:

فالموت أهون من قول العداة لقد حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا
والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت.

وأنشدكم الله أيها الرهط! أتعلمون أن علياً حرّم الشهوات على نفسه بين
أصحاب رسول الله (ص) فأنزل فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ
اللَّهُ لَكُمْ﴾، وإن رسول الله (ص) بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من
حصنهم فهزموا فبعث علياً بالرّاية فاستنزهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في
خير مثلها.

ثم قال: يا معاوية! أظنك لا تعلم أني أعلم ما دعا به عليك رسول الله (ص) لما
أراد أن يكتب كتاباً إلى بني خزيمه فبعث إليك ونهّمك إلى أن تموت، وأنتم أيها الرهط
نشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله (ص) لعن أبا سفيان في سبعة مواطن
لا تستطيعون ردّها.

أوّلها يوم لقي رسول الله (ص) خارجاً من مكّة إلى الطائف يدعو تقيفاً إلى الدين،
فوقع به وسبّه وسفّهه وشتّمه وكذّبّه وتوعّده وهمّ أن يببّطش به فلعنه الله ورسوله
وصرف عنه.

والثانية يوم العير إذ عرض لها رسول الله (ص) وهي جائية من الشام فطردها أبو
سفيان وساحل بها فلم يظفر المسلمون بها ولعنه رسول الله (ص) ودعا عليه فكانت
وقعة بدر لأجلها.

والثالثة يوم أحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله (ص) في أعلاه وهو ينادي:
أعلّ هُبُل، مراراً فلعنه رسول الله (ص) عشر مرّات ولعنه المسلمون.

والرابعة يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود فلعنه رسول الله (ص) وابتهل.

والخامسة يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدّوا رسول الله (ص) عن المسجد
الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه، ذلك يوم الحديبيّة، فلعن رسول الله (ص)

أبا سفيان ولعن القادة والأتباع وقال: ملعونون كلهم وليس فيهم من يؤمن، فقيل: يا رسول الله! أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة؟ فقال: لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع وأما القادة فلا يفلح منهم أحد.

والسادسة يوم الجمل الأحمر.

والسابعة يوم وقفوا لرسول الله (ص) في العقبة ليستنفروا ناقتة، وكانوا إثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان.

فهذا لك يا معاوية!

وأما أنت يا ابن العاص: فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح^(*)، فتحاكم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزّارها الأهمهم حسباً وأخبثهم منصباً، ثم قام أبوك، فقال: أنا شاني محمد الأبتري، فأنزل الله فيه ما أنزل، وقاتلت رسول الله (ص) في جميع المشاهد وهجوته وآذيته بمكة وكدته كيدك كله، وكنت من أشدّ الناس له تكذيباً وعداوة، ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة.

فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً وأكذبك واشياً جعلت حسدك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي حسداً لما ارتكب من حليلته، ففضحك الله وفضح صاحبك فأنت عدوّ بني هاشم في الجاهليّة والإسلام، ثم أنك تعلم وكلّ هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله (ص) بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله (ص): اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكلّ حرف ألف لعنة! فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من اللعن. وأما ما ذكرت من أمر عثمان: فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبدالله

(*) العهر بالكسر وكذا السفاح: الزنا. والجزّار: الذبّاح.

إذا نكأت قرحة أدميتها(*)، ثم حبست نفسك إلى معاوية وبعث دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض ولا نعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرت عثمان حيناً ولا غضبت له مقتولاً، ويحك يا ابن العاص ألسنت القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي:

تقول ابنتي أين هذا الرّحيل	وما السير منّي بمستنكر
فقلت ذريني فإني امرؤ	أريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كية	أقيم بها نخوة الأصعر(**)
وشاني أحمد من بينهم	وأقوهم فيه بالمنكر
وأجري إلى عتبة جاحداً	ولو كان كالذهب الأحمر
ولا أنثني عن بني هاشم	وما أسطعت في الغيب والمحضر
فإن قيل العتب منّي له	وإلا لويت له مشفري

فهذا جوابك فهل سمعته!

وأما أنت يا وليد: فوالله ما ألومك على بغض عليّ، وقد جلدك ثمانين في الخمر، وقتل أباك بين يدي رسول الله صبراً، وأنت الذي سمّاه رسول الله الفاسق وسمّى عليّاً المؤمن حيث تفاخرتما، فقلت له: اسكت يا عليّ فأنا أشجع منك جناناً وأطول منك لساناً، فقال لك عليّ: اسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق، فأنزل الله تعالى في موافقة قوله: ﴿أَقْنِ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾. ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضاً: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

ويحك يا وليد! مهها نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك، وفيه:

(*) نكأ القرحة: قشرها قبل البرء. إدماء المرح: إخراج الدم منه.
 (***) الإقامة: التعديل. النخو: الافتخار والتكبر. الأصعر: المتأيل. المشفر بالكسر: الشدة.

أنزل الله والكتاب عزيز في عليّ وفي الوليد قرآنًا
فتبوا الوليد إذ ذاك فسقًا وعليّ مَبوءٌ إيمانًا
ليس من كان مؤمنًا عمرك الله كمن كان فاسقًا حَوَانًا
سوف يُدعى الوليد بعد قليل وعليّ إلى الحساب عيانًا
فعليّ يجزى بذلك جنانًا ووليد يجزى بذاك هوانًا
ربّ جدّ لعقبة بن أبان لابس في بلادنا تُبَانًا

وما أنت وقريش إنما أنت عِلج من أهل صَفُورِيَّة (*)، واقسم بالله لأنت أكبر في
الميلاد وأسنّ ممن تدعى إليه.

وأما أنت يا عُتْبَة: فوالله ما أنت بحصيف فاجيبك ولا عاقل فاحاورك وأعاتبك،
وما عندك خير يرجى ولا شرّ يتقّى، وما عقلك وعقل أمتك إلاّ سواء، وما يضرّ عليًّا
لو سببته على رؤوس الأشهاد، وأما وعيدك إِيّاي بالقتل، فهلّا قتلت اللحياني إذ
وجدته على فراشك! أما تستحيي من قول نصر بن حجاج فيك:

يا للرجال وحادث الأزمان ولُسبّة تُخزي أبا سفيان
نبتت عتبة خانة في عرسه حبس لئيم الأصل من لحيان (**)

وبعد هذا ما اربأ بنفسي عن ذكره لفحشه، فكيف يخاف أحد سيفك ولم تقتل
فاضحك، وكيف ألومك على بغض عليّ وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر،
وشرك حمزة في قتل جدك عُتْبَة، وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد.

وأما أنت يا مغيرة: فلم تكن بخلق أن تقع في هذا وشبهه وإنما مثلك مثل البعوضة
إذ قالت للنخلة: استمسكي فإني طائرة عنك! فقالت النخلة: وهل علمت بك واقعة

(*) وفي الناسخ: ابن عِلج اسمه ذكوان. الصَفُورِيَّة بالفتح فالتشديد: قرية من فلسطين. ممن تدعى: أي
من أبيك وهو عقبة. الحصيف: جيّد الرأي والعقل.

(**) السبّة بالضمّ فالتشديد: العار ويكبر الناس سبّه. والحبس بالكسر: اللئيم.

عليّ فأعلم بك طائفة عنيّ، والله ما نشعر بعداوتك إيانا ولا اغتمنا إذ علمنا بها، ولا يشقّ علينا كلامك، وإنّ حدّ الله في الزنا ثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك حقاً الله سائله عنه، ولقد سألت رسول الله (ص): هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوَّجها؟ فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزّنا. لعلمه بأنك زان.

وأما فخركم علينا بالامارة: فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَمَزَّجْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

ثمّ قام الحسن فنفض ثوبه فانصرف، فتعلّق عمرو بن العاص بثوبه، وقال: يا أمير المؤمنين! قد شهدت قوله في قذفه أمي بالزّنا وأنا مطالب له بحدّ القذف! فقال معاوية: خلّ عنه لا جزاك الله خيراً! فتركه.

فقال معاوية: قد أنبأتكم أنّه ممّن لا تطاق عارضته ونهيتكم أن تسبّوه فعصيتموني، والله ما قام حتّى أظلم عليّ البيت، قوموا عنيّ فلقد فضحككم الله وأخزاكم بترككم الحزم وعدولكم عن رأي الناصح المشفق، والله المستعان^(١).

٥- لما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب ونال من عليّ كرم الله وجهه، فقام الحسن رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبياً إلّا وجعل له عدوّاً من المجرمين، فأنا ابن عليّ وأنت ابن صخر، وأمّك هند وأمّي فاطمة، وجدك حرب وجدّي رسول الله (ص)، فلعن الله الأمانا حسباً وأخملنا ذكراً وأعظمنا كفراً وأشدّنا نفاقاً! فصاح أهل المسجد: آمين آمين. فقطع معاوية خطبته ودخل منزله^(٢).

٦- روى ابن عباس: دخل الحسن بن عليّ (ع) على معاوية بعد عام الجماعة، وهو جالس في مجلس ضيق، فجلس عند رجله، فتحدّث معاوية بما شاء أن

(١) ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٠١.

(٢) نفخة اليمن، ص ٦٣.

يتحدّث، ثمّ قال: عجيباً لعائشة تزعم أنّي في غير ما أنا أهله، وإنّ الذي أصبحت فيه ليس لي بحقّ، ما لها ولهذا يغفر الله لها، إنّما كان ينازعني في هذا الأمر أبو هذا المجلس وقد استأثر الله به. فقال الحسن: أوّ عجب ذلك يا معاوية! قال: إي والله. قال: أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا! قال: ما هو؟ قال: جلوسك في صدر المجلس وأنا عند رجلتيك. فضحك معاوية، فقال: يا ابن أخي! بلغني أنّ عليك ديناً؟ قال: إنّ لعلّي ديناً. قال: كم هو؟ قال: مائة ألف. فقال: قد أمرنا لك بثلاثمائة ألف، مائة ألف لدينك ومائة تقسمها في أهل بيتك ومائة لخاصّة نفسك، فقم مكرماً فاقبض صلتك. فلمّا خرج الحسن (ع)، قال يزيد بن معاوية لأبيه: تالله ما رأيت رجلاً مثلك استقبلك بما استقبلك به ثمّ أمرت له بثلاثمائة ألف! قال: يا بُنيّ! إنّ الحقّ حقّهم فمن أتاك منهم فاحث له^(١).

أقول: ملاقاته الإمام (ع) معاوية قد وقعت بالكوفة بعد الصلح، فإنّه أقام بالكوفة أياماً ثمّ سار إلى المدينة.

وأيضاً قد وقعت الملاقاة بينهما سنة ٤٩ حين ورد معاوية المدينة حاجّاً، ولقي فيها الإمام وجرت بينهما مذاكرات، وكانت الاعتراضات والجرأة عليه من جانب معاوية وأصحابه في هذه السنة، حين رأوا حشمة الإمام وشوكته ومحبوبيّته وجلالته ومقامه فيما بين الناس وحسدوا عليه، وأرادوا أن يطعنوا فيه ويهينوه. والله متمّ نوره ولو كره المشركون.

مطالب السؤل (الباب الثاني - في علمه) أنّه خرج يوماً من داره في حلّة فاخرة وركب بغلة فارهة، فعرض له في طريقه رجل يهوديّ فقير ضعيف، فاستوقف الحسن (ع) وقال: يا ابن رسول الله! جدّك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، وأنت مؤمن وأنا كافر فما أرى الدنيا إلّا جنّة لك تتنعم فيها، وما أريها إلّا سجناً لي قد

(١) ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٤.

أهلكني ضرّها وأتلفني فقرها! فقال الحسن (ع): لو نظرت إلى ما أعدّ الله للمؤمنين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من نعيم الجنان والخيرات الحسان ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت لعلمت أنّي قبل انتقالي إليه من هذه الدنيا في سجن ضحك، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك ولكلّ كافر من سعير نار الجحيم ونكال العذاب المقيم لرأيت أنّك قبل مصيرك إليه الآن في جنّة واسعة.

أقول: نعم، إنّ المؤمن يتوجّه إلى الحياة المعنويّة الروحانيّة الطيّبة المطمئنة ويتلذذ بها ويتنعم بنعيمها الواسعة ويستأنس بلذائدها الروحانيّة، ولا يبقى له أنس بهذا العالم المادّي والحياة الدنيويّة الفانية الكدرّة، وما هذه الحياة والعيشة الدنيويّة الكدرّة الزائلة في الآخرة إلاّ متاع الغرور بل جحيم وعذاب وسعير، جزاؤهم عند ربّهم جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه.

٤٩ - مجاري الأمور بعد الصلح

١- فأول من خرج بعد قتل عليّ (ع) حوثرة الأسديّ، فإنّه كان بالبندنجين فكتب إلى حابس الطائي يسأله أن يتولّى أمر الخوارج، حتّى يسير إليه بجمعه، فيتعاظدا على مجاهدة معاوية فأجابه فرجعا إلى أصحاب النخيلة، ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن عليّ، بعد أن بايعه الحسن والحسين عليها السلام وقيس ابن عباد، ثمّ خرج الحسن يريد المدينة، فوجّه إليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولّى لحروبهم، فقال الحسن: والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذلك يسعني، أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بالقتال منهم^(١).

٢- قد ذكرنا فيما تقدّم اعتزال فروة بن نوفل في خمسمائة من الخوارج ومسيرهم إلى شهرزور، وتركوا قتال عليّ والحسن، فلما سلّم الحسن الأمر إلى معاوية قالوا: قد جاءنا الآن ما لا شكّ فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه، فأقبلوا وعليهم فروة حتّى خلوا بالنخيلة عند الكوفة.

وكان الحسن بن عليّ قد سار يريد المدينة، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فروة، فلحقه رسوله بالقادسيّة أو قريباً منها، فأبى وكتب إلى معاوية: لو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك وقد تركتك لصلاح الأمتة وحقن دمائها^(٢).

٣- ولما وقع الصلح بمسكن فخرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر بحشمتهم وأثقاهم حتّى أتوا الكوفة، فلما قدمها الحسن وبرء من جراحتة خرج إلى مسجد

(١) كامل المبرّد، ج ٣، ص ١٣٣.

(٢) رغبة الآمل، ج ٧، ص ١٧٨، وابن الأثير، ج ٣، ص ١٧٧.

الكوفة، فقال: يا أهل الكوفة! اتقوا الله في جيرانكم وفي ضيفانكم وفي أهل بيت نبيكم (ص) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فجعل الناس يبكون، ثم تحمّلوا إلى المدينة، وحال أهل البصرة بينه وبين خراج دارا مجرد وقالوا: فيئنا، فلما خرج إلى المدينة تلقاه ناس بالقادسيّة، فقالوا: يا مذلّ العرب^(١).

٤- وسار الحسن بالناس من المدائن حتّى وافى الكوفة، ووافاه معاوية بها فالتقيا، فوكّد عليه الحسن رضي الله عنه تلك الشروط والأيمان، ثمّ سار الحسن بأهل بيته حتّى وافى مدينة الرسول، وأخذ معاوية أهل الكوفة بالبيعة فبايعوا، واستعمل عليها المغيرة بن شعبة، وصار منصرفاً في جموعه إلى الشام، فكثت المغيرة على الكوفة من قبله تسع سنين حتّى مات فيها^(٢).

٥- قال معاوية لعبدالله بن الزبير، وهو عنده بالمدينة في أناس: يا ابن الزبير! ألا تعذرني في حسن بن عليّ ما رأيته مذ قدمت المدينة إلّا مرّة، قال: دع عنك الحسن، فأنت والله وهو كما قال الشماخ:

أجامل أقواماً حياءً وقد أرى صدورهم تغليّ عليّ مرضها

والله لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك، والله لأهل العراق أرام له من أمّ الحوار لحوارها. فقال معاوية: أردت أن تغريني به، والله لأصلنّ رحمه ولأقبلنّ عليه^(٣).

أقول: عذره فيه أي رفع عنه اللوم. المراض بالكسر جمع مريض ومريض. الأرام: الأحبّ والآلف. الحوار: ولد الناقة قبل أن يفصل عنها وهو بالكسر أو الضمّ. الإغراء: إلقاء العداوة. ونوضّح بعض الكلمات الواردة في هذه الروايات:

(١) تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٩٥.

(٢) الأخبار الطوال، ص ٢٠١.

(٣) الأغاني، ج ٨، ص ١٠٤.

- ١- البندنجين: في المراصد: بندجين بلدة مشهورة في طرف النهروان، وفي معجم البلدان أنه بلفظ التثنية، ومفرده بندنج، وقيل أنه معرّب ونديكان.
- ٢- حوثة الأسد: خرج على معاوية في عام الجماعة في عصابة من الخوارج فقتله رجل من طيء وافترقوا، راجع ابن أبي الحديد (ج ١، ص ٣٨١).
- ٣- حابس الطائي: خرج مع حوثة على معاوية فصاروا إلى موضع أصحاب النخيلة، ومعاوية يومئذ بالكوفة، فوجّه إليهم جيشاً من أهل الكوفة، راجع ابن أبي الحديد (ج ١، ص ٤٥٣).
- ٤- أصحاب النخيلة: هم الذين كانوا مع فروة وعزموا على قتال معاوية كما سبق في رغبة الآمل (٢).
- ٥- شهرزور: بفتح الأوّل والثالث، كانت بلدة في جانب الشمال الغربي من بغداد ثمّ خربت، وأطلقت على تلك الناحية، وهي ناحية موصل.
- ٦- فروة: الظاهر أنه فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي، تابعي.
- ٧- القادسية كانت بلدة في جنوب العراق من جهة الجنوب الشرقي من الكوفة وعلى خمسة عشر فرسخاً منها. وفيها كانت الواقعة.
- ٨- الشماخ: من الشعراء المخضرمين اسمه معقل بن ضرار وله ديوان طبع بالقاهرة أسلم ومات في خلافة عثمان.
- ٩- أنت والله أولى بالقتال منهم: يشير إلى أن صلحه ليس بمعنى التسليم وقبول أمره وتصويب عمله وتصديق فعاله والوفاق، بل بمعنى ترك المحاربة. وفي حديث ٢: لو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك وقد تركتك لصالح الأمة وحقن دمائها. قال ابن أبي الحديد (ج ١، ص ٤٥٣): هذا هو موافق لقول أبيه: لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحقّ فأخطأه مثل من طلب الباطل فأدرکه. وهو الحقّ الذي لا يعدل عنه، وبه يقول أصحابنا فإنّ الخوارج عندهم أعذر من معاوية وأقلّ ضللاً ومعاوية أولى بأن يحارب منهم.

١٠- وكان الحسن بن عليّ قد سار يريد المدينة: يدلّ على نهاية انزجاره من أهل الكوفة وانقطاعه عنهم، ثمّ على قلّة علاقتهم ومحبتهم ومعرفتهم له (ع)، حيث لم يمنعوه عن الحركة ولم يجتهدوا في إقامته بينهم.

١١- يا أهل الكوفة! اتقوا الله في جيرانكم وفي ضيفانكم وفي أهل بيت نبيّكم: يدلّ على تظاهرهم بالإيذاء وسوء القول والعمل بالنسبة إلى الإمام (ع) وفي عائلته وأهله وأقاربه، حتّى أنّه استدلّ بالعناوين الثلاثة واستمسك بها في دفع ظلمهم وأذيتهم.

١٢- وحال أهل البصرة بينه وبين خراج: يدلّ على أنّ أهل البصرة أيضاً كأهل الكوفة، في تظاهرهم بالخلاف والنفاق والأذى، حتّى أنّهم منعوا من تأدية الخراج إلى الإمام (ع) وإن كان ذلك بإشارة من معاوية.

وقد ذكر في أبواب ٤٧، ٣٣، ٢٣، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ما يتعلّق بهذا الباب.

٥٠ - من كرامات الإمام (ع)

١- عن الصادق (ع) : خرج الحسن (ع) في بعض عُمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته، فنزلوا في منهل من تلك المناهل تحت نخل يابس قد يبس من العطش، ففرش للحسن (ع) تحت نخلة وفرش للزبيري بجذاه تحت نخلة أخرى، فقال الزبيري ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه! فقال له الحسن (ع): إنك لتشتهي الرطب؟

فقال الزبيري: نعم. قال: فرفع رأسه إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه، فاخضرت النخلة ثم صارت إلى حالها فأورقت وحملت رطباً. فقال الجمال الذي اكتروا منه: سحر والله! فقال الحسن (ع): وبيك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبيّ مستجابة. قال: فصعدوا إلى النخلة فصرموا ما كان فيها فكفاهم^(١).

أقول: العمر بالضمّ فالفتح: جمع عمرة بالضمّ. المنهل بالفتح: محلّ الورد والشرب. الاكتراء: الاستئجار. الصرم: الجزّ والقطع.

٢- ويروي أيضاً عنه (ع) : خرج الحسن بن عليّ (ع) سنة ماشياً فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم! فقال: كلاً إذا أتينا هذا المنزل فإنّك يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه. فقال له مولاه: بأبي أنت وأمي ما قدمنا منزلاً فيه أحد يبيع هذا الدواء!

فقال: بلى، إنّهُ أمامك دون المنزل. وسارا ميلاً فإذا هو الأسود، فقال الحسن (ع) لمولاه: دونك الرجل فخذ منه الدهن وأعطه الثمن. فقال الأسود: يا غلام! لمن أردت

(١) الكافي (باب مولد الحسن (ع)).

هذا الدهن؟ فقال: للحسن بن عليّ، فقال: انطلق بي إليه! فانطلق فأدخله إليه فقال له: بأبي لك وأمي لم أعلم إنك محتاج إلى هذا أو ترى ذلك؟ ولست آخذ له ثمناً إنما أنا مولاك ولكن ادع الله أن يرزقني ذكراً لي سوياً يحبكم أهل البيت، فإنني خلفت أهلي بمخض! فقال: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا.

٣- واستغاث الناس من زياد إلى الحسن بن عليّ (ع)، فرفع يده وقال: اللهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالاً عاجلاً إنك على كل شيء قدير. قال: فخرج خراج في إبهام يمينه يقال لها السلعة وورم إلى عنقه فمات^(١).

٤- وفيه: وادّعى رجل على الحسن بن عليّ (ع) ألف دينار كذباً ولم يكن له عليه، فذهب إلى شريح، فقال للحسن: أتخلف؟ قال: إن حلف خصمي أعطيه. فقال شريح للرجل: قل بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة. فقال الحسن: لا أريد مثل هذا، قل: بالله إن لك عليّ هذا، وخذ الألف.

فقال الرجل ذلك وأخذ الدينار، فلما قام خرّ إلى الأرض.

فسئل الحسن (ع) عن ذلك، فقال: خشيت أنه لو تكلم بالتوحيد يغفر له يمينه ببركة التوحيد ويحجب عنه عقوبة يمينه.

أقول: الخراج بالضمّ هو كل ما يخرج بالبدن كالدمل. والسلعة بالفتح أو بفتحتين: خراج في البدن.

هذه أمثلة من كراماته الباهرة الظاهرة، وأمّا كرامته الحقيقية التكوينية الذاتية: فقد ذكرنا خلاصة من آثارها وعلائها في هذا الكتاب، من عبادته وحلمه وجوده وطهارته وكلامه وخلافته وصبره وورعه وزهده، ويكفيك في هذا المقام ما نزل من القرآن في حقّه، وما ورد من جدّه رسول الله (ص) في شأنه ورفيع منزلته، ويكفي من هذه الروايات المروية المذكورة قوله (ص): إنهما سيّدا شباب الجنّة، فراجعها.

(١) المناقب، ج ٢، ص ١٤٧.

٥١ - في أيام مرضه (ع)

١ - عن عمير: كنّا عند الحسن بن عليّ فدخل المخرج ثمّ خرج، فقال: لقد سُقيت السمّ مراراً وما سُقيته مثل هذه المرّة، ولقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبها بعود معي، فقال الحسين: أي أخي من سقاك؟ قال: وما تريد إليه إن تريد أن تقتله؟ قال: نعم. قال: فإن كان الذي أظنّ فإله أشدّ نقمة ولئن كان غيره فما أحبّ أن يقتل بي بريء^(١).

المقاتل (ص ٧٤) وحلية الأولياء (ج ٢، الإمام) والإصابة (الإمام) ما يقرب منها.

٢ - فلما حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه: هذا رجل قطع السمّ أمعاءه، فقال الحسين: يا أبا محمد! أخبرني من سقاك؟ قال: ولمّ يا أخي؟ قال: أقتله والله قبل أن أدفئك ولا أقدر عليه أو يكون بأرض أتكلّف الشخصوص إليه. فقال: يا أخي! إنّما هذه الدنيا ليال فانية، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله. وأبى أن يسمّيه^(٢).

٣ - قال: لما حضرت الحسن الوفاة جزع، فقال له الحسين: يا أخي! ما هذا الجزع إنك ترد على رسول الله (ص) وعلى عليّ وهما أبواك وعلى خديجة وفاطمة وهما أمّك وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك وعلى حمزة وجعفر وهما عمّاك، فقال له الحسن: أي أخي! إنني داخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قطّ^(٣).

(١) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٩٠.

(٢) البداية، ج ٨، ص ٤٣.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ٧٤.

٤- عن رقية، قال: لما حضر الحسن بن عليّ، قال: أخرجوني إلى الصحراء لعليّ أنظر في ملكوت السماء! فلما أخرج به، قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أحتسب نفسي عندك فإنها أعزّ الأنفس عليّ^(١).

٥- لما نزل به الموت، قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار! فاخرج، فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أحتسب نفسي عندك فإنني لم أصب بمنلها. ثم قبض سنة خمسين^(٢).

٦- رأى الحسن بن عليّ في منامه: إنّه مكتوب بين عينيه: قل هو الله أحد، ففرح بذلك، فبلغ ذلك سعيد بن المسيّب، فقال: إن كان رأى هذا الرؤيا فقل ما بقي من أجله. قال: فلم يلبث الحسن بن عليّ بعد ذلك إلا أياماً^(٣).

٧- تاريخ الخلفاء (ص ٧٤) ما يقرب منها. وفيها: فاستبشر به أهل بيته فقصّوها على سعيد.

أقول: ما يظهر من هذه الروايات:

١- لقد سقيت السمّ مراراً: يدلّ على نهاية مظلوميّته، حتّى أنّه قد ظلم من جانب أقاربه وزوجته، وانتهى الظلم إلى أنّه قد سمّ مراراً، مع أنّه ابن بنت رسول الله (ص) وأعلم الأمة وأتقاهما، ولا يريد من دنياهم شيئاً، ولا يظلم أحداً، ويفوّض أمره إلى الله تعالى.

٢- فما أحبّ أن يقتل بي بريء: هذا هو الفارق بين الحاكم الإلهي والحاكم الدنيوي، فالأمير الدنيوي يأخذ ويحبس ويضرب ويقتل ويأسر باحتيال الخلفاء والرقابة وسوء النية، ولكنّ الحاكم الإلهي يقول: القصاص لا يجوز قبل الجناية، ثمّ يعفو عن كثير إن كان فيه صلاح ديني، فهو ناظر دائماً إلى المصلحة الدنيوية، ولا يراعي إلاّ رضا الخالق، ولا يزال يراقب إجراء الأحكام والنواميس الإلهية، ليس إلاّ.

(١) حلية الأولياء (الإمام).

(٢) طبقات الشعرا (الإمام).

(٣) البداية، ج ٨، ص ٤٢.

٤- إنّما هذه الدنيا ليالٍ فانية، دعه: هذا هو الفارق الآخر بين الحاكمين، فإنّ الحاكم الإلهي لا يراعي المصالح الشخصية، بمعنى أنّ الخليفة الإلهي ليس له غرض إلاّ رعاية رضاء الله تعالى وإجراء أحكامه واتباع أوامره وترويج دينه ونشر الحقّ، وليس له أن يراعي مصالح نفسه ويحفظ عوائد شخصه ويجتهد في تحصيل المقامات الدنيويّة ومنافعها.

٥- إنّني داخل في أمر من أمر الله لم أدخل: فإنّ العالم ما وراء الدنيا خصوصيّاته مجهولة وجزئيات أمورها مبهمّة وكيفيّات حيوانها لم تعرف، ثمّ إنّ ظهور سلطان الله وتجلّي جلاله وعظّمته عزّ وجلّ وانكشاف قدرته وقيومته تعالى في تلك الدار يوجب حصول غاية الخضوع والتذلل والخشوع ويجعل العبد حيران، وهذا معنى الجملة السابقة والمفهوم منها، ولا يتوجّه إليه إلاّ الأوحدي، مالك يوم الدين.

٦- اللّهمّ إنّني أحتسب نفسي عندك: فلما خرج إلى الصحراء وانقطع عن العلائق وبعد عن التظاهرات وتوجّه إلى الملكوت الأعلى وتبتّل إليه تعالى، قال: اللّهمّ إنّني أقدم نفسي إليك وأتبتّل إليك عمّا سواك ولا مطلوب لي غيرك، وتركت الكلّ وفديت نفسي فيك.

٧- مكتوب بين عينيه: قل هو الله أحد: هذا هو التوحيد الكامل والإخلاص التامّ والتبتّل والتوجّه الخالص إلى الله المتعال بحيث لا يبقى في قلبه أثر ممّا سواه، ويفنى كلّ الآثار في وجوده إلاّ وجهه ذو الجلال والإكرام.

وفي الكافي (باب مولد الحسن (ع)) عن أبي جعفر (ع): لما حضرت الحسن (ع) الوفاة بكى، فقيل له: يا ابن رسول الله! تبكي ومكانك من رسول الله (ص) الذي أنت به، وقد قال فيك ما قال، وقد حججت عشرين حجّة ماشياً، وقد قاسمت مالك ثلاث مرّات حتّى النعل بالنعل! فقال: إنّما أبكي لخصلتين لهول المطلع وفراق الأحبة. نعم، إنّ الخضوع والخشوع وذلة العبد يزيد بازدياد المعرفة والتوجّه إلى عظمة الربّ وجلاله، فإذا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً.

٥٢ - من وصايا الإمام (ع)

١- رويانا من وجوه: إنَّ الحسن بن عليٍّ لما حضرته الوفاة، قال للحسين أخيه: يا أخي! إنَّ أباك رحمه الله لما قبض رسول الله (ص) استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوَّف لها فصرفت عنه إلى عمر، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستَّة هو أحدهم، فلم يشكَّ أمَّها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان بويع ثمَّ نوزع حتى جرَّد السيف وطلبها فما صفا له شيء منها، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة، فلا أعرفنَّ استخفَّك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك.

إني وقد كنت طلبت إلى عايشة إذا متَّ أن تأذن لي فادفن في بيتها مع رسول الله (ص)، فقالت: نعم، وإني لا أدري لعلَّها كان ذلك منها حياءً، فإذا أنا متَّ فاطلب ذلك إليها، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها، وما أظنَّ القوم إلا سيمنعونك إذا أردت ذلك، فإن فعلوا فلا تراجعهم ذلك فادفني في بقيع الفرقد^(١).

٢- ثمَّ إنَّ الحسن رضي الله عنه اشتكى بالمدينة فتقل، وكان أخوه محمد بن الحنفية في ضيعة له، فأرسل إليه فوافي فدخل عليه فجلس عن يساره، والحسين عن يمينه، ففتح الحسن عينيه فرآهما، فقال للحسين: يا أخي! أوصيك بمحمد أخيك خيراً فإنه جلدة ما بين العينين، ثمَّ قال: يا محمد! وأنا أوصيك بالحسين كأنفه وأزره، ثمَّ قال: ادفنوني مع جدِّي فإن منعم فالبقيع، ثمَّ توفيَّ فمَنع مروان أن يدفن مع النبي^(٢).

(١) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٩١.

(٢) الأخبار الطوال، ص ٢٠٣.

٣- عن أبي حازم: لما حضر الحسن، قال للحسين: ادفنوني عند أبي يعني النبي (ص) إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا فيّ دماً، ادفنوني في مقابر المسلمين^(١).

أقول: تشوّف: أشرف ونظر. الجلدة بالكسر: القطعة من الجلد والعشيرة. الأنف: الترفع والتنزّه. والأزر: هيئة الانتزار، يقال: لكل قوم ازرة.

وأما قوله فصرفه الله عنه: إن صحّ ورود هذه الجملة بهذا التعبير، فهي نظير حديث الكافي: أمر الله أن يسجد إبليس لآدم ولم يشأ. وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَهَلْ لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. والبحث في حقيقتها وتأويلها الصحيح خارج عن موضوع الكتاب.

وأما قوله فلم يشكّ إثمها لا تعدوه: هذا العلم والاطمئنان كان بحسب المقدمات والشرائط الحقيقية والقرائن الواقعية، فإنه كان أعلم الأمة وأتقيا وأحقها وأفضلها، وقد وصّى له رسول الله (ص) وقال فيه ما قال.

وأما قوله أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة: يريد الخلافة المتداولة العرفية والإمارة والحكومة الظاهرية، بأن يجمع الله المقام الروحاني والمقام الدنيوي. وأما صدق مفهوم النبوة فإنها مقام روحاني إلهي غيبي يقرب من مفهوم الولاية والخلافة الحقيقية الإلهية، بل إنّ الخلافة ظلّ منها ومرتبة نازلة وامتداد من حقيقتها، فالمراد هنا مطلق مفهومه العامّ الشامل للولاية. ويمكن أن يكون المراد اجتماع النبوة والخلافة الظاهرية في أهل بيت النبوة، فيكون النظر إليهم من حيث المجموع لا إلى الأفراد.

وأما قوله فلا يستخفّنك سفهاء أهل الكوفة: يريد التوجّه والتذكّر بأن لا يعتمد عليهم بحيث يوجب التوجّه إلى غير الله تعالى وسلب الإخلاص عنه، وهذا لا ينافي العمل بما يقتضيه التكليف الإلهي.

(١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٠٠.

وفي هذه الجملة إشارتان، الأولى: الإشارة إلى انزجاره التام عن أهل الكوفة حيث نقضوا عهدهم وسامحوا في طاعة إمامهم وأظهروا الخلاف والعصيان واختلفوا وخالفوا وآذوا وانحرفوا عنه، راجع باب ٤٠.

والثانية: إخباره عن جريان دعوة أهل الكوفة أبا عبدالله الحسين (ع) وإظهار الطاعة والبيعة له، ثم تخلفهم عنها ونقضهم البيعة وانحرفهم إلى بني أمية.

وفي هذا التعبير دلالة واضحة إلى أنّ العلة الموجبة لصلحه (ع) والبعث الفرد للمداهنة: هو خلاف أهل الكوفة وعصيانهم وفشلهم عن الحرب.

٥٣ - قتل الإمام (ع) مسموماً

١ - سمّ الحسن بن عليّ، سمّته امرأته بنت الأشعث بن قيس الكنديّ. وقالت طائفة: كان ذلك بتدليس معاوية إليها وما بذل لها بذلك... فلما مات ورد البريد بموته على معاوية، فقال: يا عجباً من الحسن شرب شربة من عسل بماء رومة ففضى نحبه^(١).

٢ - وذكر أنّ امرأته جعدة سقته السمّ، وقد كان معاوية دسّ إليها إنك إن احتلت في قتل الحسن وجّهت إليك بمائة ألف درهم، وزوّجتك يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمّ، فلما مات وفيّ لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنّنا نحبّ حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه. وذكر أنّ الحسن قال عند موته: لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته، والله ما وفيّ بما وعد ولا صدق فيما قال^(٢).

أقول: الرّومة شرابٌ مخصوصٌ. حاق: لزم وأثر.

٣ - ودسّ معاوية إليه حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده وإلى سعد بن أبي وقاصّ سمّاً فماتا منه في أيام متقاربة. وكان الذي تولّى ذلك من الحسن زوجته بنت الأشعث مال بذله لها معاوية، والصحيح في اسمها جعدة^(٣).

٤ - توفّي الحسن رضي الله عنه بالمدينة مسموماً سمّته زوجته جعدة، دسّ إليها

(١) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) المروج، ج ٢، ص ٥٠.

(٣) المقاتل، ص ٢٩.

يزيد بن معاوية أن تسمه فيتروّجها، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها، فقال: إننا لم نرضك للحسن أفرضاك لأنفسنا^(١).

٥- وما ينقل من أن معاوية دس إليه السمّ مع زوجه جعدة فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك^(٢).

أقول: فليعجب المتعجب من قول هذا المتعصب! إن معاوية يحارب أبا الحسن عليّاً وهو خليفة رسول الله باتفاق من المسلمين، ويقتل في هذه الواقعة جمع كثير من أصحاب رسول الله (ص)، ثم يحارب الحسن بن عليّ وهو ریحانة رسول الله وخليفة المسلمين حقاً، ثم يستخلف يزيد ابنه وهو شارب الخمر المتهتك الفاسق، ثم يقتل حجراً وأصحاب حجر، ثم يعمل أعمالاً دون ذلك! وأما دسه السمّ: فحاشا له من ذلك!!!

نعم، يمكن العذر ظاهراً والتمويه بأن قتل المسلمين في صفين كان بالمحاربة والمقابلة والمدافعة، وقتل حجر وأصحابه بواسطة خلافهم وتهبيجهم على حكومته، واستخلاف يزيد من جهة ملاحظة المصلحة حسب نظره، وأما قتل الإمام المجتبي وهو منعزل عن الحكومة ومنقطع عن الناس ولا يدعي شيئاً مما يريد ولا يخالفه، وهو ابن بنت رسول الله (ص) والعالم الزاهد العارف بالله والأعرف بدينه والوارد في حقه ما ورد من رسول الله (ص): فهو أكبر طغياناً وأعظم عدواناً لله ولرسوله وللمسلمين.

٦- وانصرف الحسن رضي الله عنه إلى المدينة فأقام بها، وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل من أمر الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقاص، فدس إليها سماً فمات منه.

أرسل معاوية إلى ابنة الأشعث: إنني مزوّجك بيزيد ابني، على أن تسم الحسن بن

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٧٤.

(٢) ابن خلدون، بقية الثاني، ص ١٨٧.

عليّ، وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمّت الحسن، فسوّغها المال ولم يزوّجها منه^(١).

٧- عن قتادة، قال: سمّت ابنة الأشعث بن قيس الحسن بن عليّ، وكانت تحته ورشيت على ذلك مالا^(٢).

أقول: يظهر من هذه الروايات أنّ دسّ السمّ للإمام (ع) من جانب معاوية، كان من جهة رفع المانع لخلافة يزيد، فإنّ وجوده وشخصيته البارزة كانت مانعة عن تلك النيّة الشريرة الفاسدة، ولا سيّما مع عهده السابق.

فهو يستعدّ ويصمّم أن يقتل الإمام (ع) في طريق استخلاف ابنه شارب الخمر المتهتك، ولا يبالي أن يفعل أيّ جناية، ولو كانت قتل من هو ريحانة رسول الله ومحبوه وابن بنته وسيّد شباب أهل الجنّة.

٨- عن أمّ بكر، قالت: كان الحسن بن عليّ سمّ مراراً كلّ ذلك يفلت حتّى كانت المرّة الأخيرة التي مات فيها فإنّه كان يختلف كبده، فلمّا مات أقام نساء بني هاشم النوح عليه شهراً^(٣).

(١) المقاتل، ص ٧٣.

(٢) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٧٦.

(٣) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٧٣.

٥٤ - وفاة الإمام المجتبي (ع)

- ١- وتوفي بالمدينة مسموماً فيما ذكر في شهر ربيع الأول سنة ٤٩، وله ست وأربعون سنة، ودفن ببقيع الغرقد مع أمه فاطمة، وهناك إلى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها: الحمد لله مبيد الأمم ومحبي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) سيّدة نساء العالمين، والحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، رضوان الله عليهم أجمعين^(١).
- ٢- ومات الحسن بالمدينة سنة تسع وأربعين وهو ابن ست وأربعين سنة، وصلى عليه سعيد بن العاص وهو والي المدينة، وأوصى أن يدفن مع جدّه في بيت عايشة فنعه مروان بن الحكم فردّوه إلى البقيع^(٢).
- ٣- ومات بالمدينة واختلف في وقت وفاته فقيل: مات سنة تسع وأربعين، وقيل: بل مات في ربيع الأول سنة خمسين، وقيل بل مات سنة إحدى وخمسين^(٣).
- ٤- قال ثعلبة: شهدت الحسن يوم مات ودفن في البقيع فرأيت البقيع ولو طرحت إبرة فيه ما وقعت إلا على رأس انسان. قال الواقدي: مات سنة تسع وأربعين، وقال المدائني: في خمسين، وقيل: في إحدى وخمسين^(٤).
- ٥- وفد عبدالله بن العباس على معاوية، قال: فوالله إنني المسجد إذ كبر معاوية

(١) التنبيه والإشراف، ص ٢٦٠.

(٢) عقد الفريد، ج ٣، ص ١٢٨ و ٦٧.

(٣) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٩.

(٤) الإصابة (الإمام).

في الخضراء فكبر أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها فقالت: سرّك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذي بلغك فسررت به؟ قال: موت الحسن بن عليّ، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثمّ بكت وقالت: مات سيّد المسلمين وابن بنت رسول الله (ص). فقال معاوية: نعمًا والله ما فعلت إنه كان كذلك أهلاً أن يُبكي عليه.

ثمّ بلغ الخبر ابن عباس فراح فدخل على معاوية قال: علمت يا ابن عباس إن الحسن توفي! قال: أذلك كبرت؟ قال: نعم. قال: والله ما موته بالذي يؤخر أجلك ولا حفرتة بسادة حفرتك، ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين، ثمّ بعد بسيد الأوصياء، فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة! فقال: ويحك يا ابن عباس ما كلمتك إلا وجدتك معداً^(١).
أقول: الخوخة أي الكوة والباب الصغير. الحفرة: القبر.

٦- فلما كانت سنة إحدى وخمسين مرض الحسن بن عليّ مرضه الذي مات فيه، فكتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكاية الحسن فكتب إليه معاوية: إن استطعت أن لا يمضي يوم بي يمرّ إلا يأتيني به خبره فافعل، فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفي، فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلك عبدالله بن عباس وكان بالشام يومئذ، فدخل على معاوية فلما جلس، قال معاوية: يا ابن عباس! هلك الحسن بن عليّ، فقال ابن عباس: نعم هلك، إنا لله وإنا إليه راجعون ترجيعاً مكرراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أما والله ما سدّ جسده حفرتك ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه، جدّه رسول الله (ص)، فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة.

(١) المروج، ج ٢، ص ٥٢.

ثمّ شهِق ابن عبّاس وبكى وبكى من حضر في المجلس وبكى معاوية، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم، فقال معاوية: كم أتى له من العمر؟ قال: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده، قال: فسكت معاوية يسيراً، ثمّ قال: يا ابن عبّاس! أصبحت سيّد قومك من بعده! فقال ابن عبّاس: أمّا ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا، قال معاوية: لله أبوك يا ابن عبّاس ما استنبأتك إلاّ وجدتكَ معدّاً^(١).

عقد الفريد (ج ٣، ص ١٢٨)، البيان والتبيين (ج ٣، ص ٣٦٠) ما يقرب منها باختصار.

أقول: ولد الإمام (ع) في السنوات الأولى بعد الهجرة في بيت فاطمة (ع) وبيتها بيت رسول الله (ص)، وهو ابن بنته وريحانة رسول الله ومن أحبّه حبّاً شديداً، ومعاوية في ذلك اليوم من أعداء المسلمين ومن المحاربين رسول الله (ص) مع أبيه وأمه وسائر أقاربه وعشيرته من قريش وبنو أميّة.

٧- عن أبي بكر بن حفص: توفّي سعد بن أبي وقاص والحسن بن عليّ بعد ما مضت من إمرة معاوية عشر سنين، وكانوا يرون أنّه سمّها.

وكان أوصى أن يدفن مع النبيّ (ص) إلاّ أن يخافوا أن يهراق في ذلك محجمة من دم، فنعمهم مروان حتّى كادت الفتنة تقع، وأبى الحسين إلاّ دفنه مع النبيّ (ص) حتّى كلّمه عبد الله بن جعفر والمسور بن مخرمة الزهري في دفنه بالبقيع، وكان مرضه أربعين يوماً، وتوفّي رضي الله عنه وله سبع وأربعون سنة في شهر ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين، وقال بعضهم: مات في سنة خمسين وله ثمان وأربعون سنة^(٢).

٨- عن أبي جعفر: مكث الناس بيبكون على الحسن بن عليّ وما تقوم الأسواق. وعن محارب، قال: مات الحسن بن عليّ سنة خمسين لخمس خلون من ربيع

(١) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٤٤.

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، ص ٤٠٤.

الأوّل وهو ابن ستّ وأربعين سنة، وصلىّ عليه سعيد بن العاص، وكان بيكي، وكان مرضه أربعين يوماً^(١).

٩- فكانت ولاية الحسن سبعة أشهر وسبعة أيّام، ومات الحسن في المدينة سنة تسع وأربعين، وهو ابن ستّ وأربعين سنة، وصلىّ عليه سعيد بن العاص وهو والي المدينة^(٢).

أقول: هذا ملخص ما قيل في وفاته من كتب أهل السنّة، وقد اتفق آراؤهم أنّ الإمام قد توفّي فيما بين تسع وأربعين إلى إحدى وخمسين سنة من الهجرة، وله ستّ وأربعون إلى سبع وأربعين سنة.

وفي الكافي (باب مولد الحسن (ع)): ولد الحسن بن عليّ (ع) في شهر رمضان في سنة بدر سنة إثنين بعد الهجرة، وروي أنّه ولد في سنة ثلاث ومضى (ع) في شهر صفر في آخره من سنة تسع وأربعين ومضى وهو ابن سبع وأربعين سنة وأشهر. ثمّ يروي عن الصادق (ع) أنّه قال: قبض الحسن بن عليّ (ع) وهو ابن سبع وأربعين سنة في عام خمسين سنة، عاش بعد رسول الله (ص) أربعين سنة.

١٠- قال ابن عبّاس: فأقبلت عايشة في أربعين ركباً على بغل مرّحل وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحبّ، فقال ابن عبّاس بعد كلام: جمّلت وبغّلت ولو عشت تقيّلت. وقال الصقر البصري:

ويومَ الحسن الهادي على بغلك أسرعتِ

ومايستِ ومانعتِ وخاصمتِ وقاتلتِ

وفي بيت رسول الله بالظلم تحكّمتِ

هل الزوجة أولى بالمواريث من البنتِ

(١) مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٧٣.

(٢) عقد الفريد، ج ٤، ص ٣٦١.

لِكَ التُّسْعِ مِنَ التُّمْنِ فَبِالْكُلِّ تَحَكَّمَتْ

تَجَمَّلَتْ تَبَعَّتْ وَلَوْ عَشْتِ تَفَيَّلَتْ^(١)

وقد سبق ما يتعلّق بالمقام في باب ٥١، ٥٣، ويذكر أيضاً في ٥٥ ما يناسب بالباب

فراجعها.

(١) المناقب، ج ٢، ص ١٧٥.

٥٥ - بعد وفاة الإمام (ع)

١ - وفي رواية: إنَّ الحسن بعث يستأذن عايشة في ذلك فأذنت له، فلما مات لبس الحسين السلاح، وتسَلَّح بنو أميَّة وقالوا: لاندع يدفن مع رسول الله (ص) ويدفن عثمان في البقيع، فأشار سعد بن أبي وقَّاص وأبو هريرة وجابر وابن عمر على الحسين: أن لا يقاتل! فامتثل ودفن أخاه قريباً من قبر أمه بالبقيع. وعن مساور: رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله (ص) يوم مات الحسن بن عليٍّ، وهو ينادي بأعلى صوته: يا أيُّها النَّاس! مات اليوم حبَّ رسول الله فابكوا. ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية، ولم يزل مروان عدواً لبني هاشم حتى مات^(١).

٢ - أوصى أن يدفن مع جدِّه في بيت عايشة، فمنعه مروان بن الحكم فردَّوه إلى البقيع، وقال أبو هريرة لمروان: علامَ تمنع أن يدفن مع جدِّه فلقد أشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول: الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة. فقال له مروان: لقد ضيَّع حديث نبيِّه، إذ لم يروه غيرك. قال: أما إنك إذ قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من أحبِّ ومن أبغض ومن نفى ومن أقرَّ ومن دعا له ومن دعا عليه^(٢).

٣ - ودفن ببقيع الغرقد وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أمير المدينة قدَّمه الحسين للصلاة على أخيه، وقال: لولا أنه سنَّة ما قدَّمتك، وقد كانت أباحت له عايشة أن يدفن مع رسول الله (ص) في بيتها وكان سألها ذلك في مرضه، فلما مات

(١) البداية، ج ٨، ص ٤٤.

(٢) عقد الفريد، ج ٣، ص ١٢٨.

منع من ذلك مروان وبنو أمية^(١).

٤- ولما دفن الحسن رضي الله عنه وقف محمد بن الحنفية أخوه على قبره، فقال: لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضم بدنك، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبه الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أهل الكساء، غذتك بالتقوى أكف الحق وأرضعتك ثدي الإيمان، وربيت في حجر الاسلام فطبت حياً وميتاً، وإن كانت أنفسنا غير سخيّة بفراقك رحمك الله أبا محمد! ثم أنشأ يقول:

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي وخدك مغفور وأنت سليل
أأشرب ماء المزن من غير مائه وقد ضمن الأحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة وما اخضر في دوح الحجاز قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه ألا كل من تحت التراب غريب^(٢)

أقول: هد أي ضعف ووهن. العقبة: الطريق والمرق. السليل: مسلوب الأطراف. المزن: السحاب. الأيكة: الشجر الملتف.

العقد الفريد (ج ٢، ص ١٦٣) ما يقرب منها.

وفي المناقب (ج ٢، ص ١٧٥) وقال الحسين (ع) لما وضع الحسن (ع) في لحده: أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي... إلخ.

٥- لما مات الحسن بن علي (ع) ضربت امرأته فسطاطاً على قبره وأقامت حولاً ثم انصرفت إلى بيتها، فسمعت قائلاً يقول: أدركوا ما طلبوا، فأجابه مجيب: هل ملوا فانصرفوا^(٣).

(١) الإستيعاب، ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) المروج، ج ٢، ص ٥١.

(٣) العقد، ص ١٦٤.

٦- وبإزاء قبر عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب قبر عقيل بن أبي طالب وقبر عبدالله بن جعفر الطيار، وبإزائهم روضة يذكر أن قبور أمهات المؤمنين بها، ويليها روضة فيها قبر العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله (ص) وقبر الحسن بن عليّ البقيع، ورأس الحسن إلى رجلي العباس (ع)، وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بالواح بديعة الإلصاق مرصعة بصفائح الصفر البديعة العمل^(١).

أقول: هذه الروضة المطهرة قد هدمت بأيدي بني سعود الوهابيين، فإنهم كانوا يعتقدون أن البناء على القبر وتقبيله وسائر الأعمال والآثار الدالة على تجليله تخالف التوحيد والإخلاص لله تعالى، غفلة عن أن هذه الأمور من جهة تعظيم الشعائر الدينية ومن آثار المحبة ولوازمها، وقد أمرنا بحبهم واطاعتهم واتباعهم وتجليهم والخضوع لديهم. راجع أبواب ٥٧، ٦١، ٦٦. فهذا مقام آخر من مظلومية الإمام (ع).

في بيوت أذن الله أن يرفع ويذكر فيها اسمه، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر.

٧- قال الحسين بن عليّ عند قبر أخيه الحسن: رحمك الله أبا محمد إن كنت لتناصر الحقّ مظانّه، وتؤثر الله عند تداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية، وتستشفّ جليل معازم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يداً طاهرة الأطراف نقيّة الأسرّة، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غرور وأنت ابن سلالة النبوة ورضيع لبان الحكمة، فإلى روح وريحان وجنة نعيم، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأسى عنه^(٢).

(١) رحلة ابن بطوطة، ص ٧٦.

(٢) عيون ابن قتيبة، ج ٢، ص ٣١٤.

أقول: دحضه أي أبطله وأزاله وأزلقه. استشفّ: نظر ما وراءه وتبيّن له.
 الحاقرة: يقال حقره أي استصغره. الأسرّة جمع السرّ: الباطن والوسط والبطن.
 البادرة: الحدّة والغضب. الغرب: يقال سهم غرب إذا لا يدرى راميّه. اللّبان:
 الرضاع.

وقال صقر البصري:

لو أنّ عينك عاينت بعض الذي	بنيك حلّ لقد رأيت فظائعاً
أمّا ابنك الحسن الرّكبيّ فإنّه	لما مضت سقوه سمّاً ناقعا
منعوا أعزّ الخلق منك قرابة	ورضوا بجسمك للغريب مضاجعا
وينسب إلى الإمام الحسين (ع):	
إن لم أمت أسفاً عليك فقد	أصحتُ مُشتاقاً إلى الموت

٥٦ - أزواج الإمام (ع)

١- وخطب عليّ رضي الله عنه ابنة أمّ عمران بنت سعيد لابنه الحسن، فاجتمع والدها بالأشعث فأخبره الخبر، فقال له: غررت بنفسك غداً يفخر على ابنتك ويقول لها: أنا ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين، ولكن هل لك في ابن عمّها فهي له وهو لها! فقال: ومن ذاك؟ قال: محمّد بن الأشعث. فقال: قد زوّجته.

ثمّ دخل الأشعث على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين! خطبت بنت سعيد للحسن؟ قال: نعم. فقال: هل لك في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتمّ جمالاً وأكثر مالاً؟ قال: ومن هي؟ قال: جعدة بنت الأشعث.

فقال: إنا قد قاولنا رجلاً فليس إلى ردّ ما قاولنا به من سبيل. فقال له: أنّه قد زوّجها من محمّد بن الأشعث. قال: متى؟ قال: الساعة بالباب، فتزوّج الحسن جعدة. فلما لقي سعيد الأشعث قال له: يا أعور! خدعتني. قال: أنت يا أعور جئت تستشير في ابن رسول الله ألسنت أحمق.

ثمّ جاء الأشعث إلى الحسن، فقال له: يا أبا محمّد! ألا تزور أهلك؟ فلمّا أراد ذلك، قال له: لا تمشي والله إلّا على أردية قومي، فقامت له كندة سهاطين وجعلت له أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث^(١).

أقول: الأشعث كما في الإستيعاب (ج ١، ص ١٣٣) هو ابن قيس بن معدي كرب الكندي، قدم على رسول الله (ص) سنة عشر في وفد كندة وكان رئيسهم، كان في

(١) تهذيب ابن عساکر، ج ٣، ص ٧٣.

الجاهليّة رئيساً مطاعاً في كندة، وكان في الاسلام وجهاً في قومه، ارتدّ بعد رسول الله (ص) ثمّ راجع في خلافة أبي بكر، وزوّج أبوبكر أخته أمّ فروة منه، وهي أمّ محمد بن الأشعث. مات سنة اثنتين وأربعين، وصلى عليه الحسن بن عليّ (ع).

٢- ونزل الأشعث بن قيس الكوفة وابتنى داراً في كندة ومات بها، والحسن بن عليّ بن أبي طالب يومئذ بالكوفة حين صالح معاوية وهو صلى عليه^(١).

وقال (ص ٢٣): لما مات الأشعث وكانت ابنته تحت الحسن بن عليّ، قال الحسن: إذا غسلتموه فلا تهيجوه حتى تؤذوني. فأذنه فجاء فوضّاه بالحنوط وضوءاً. أقول: هيّجه تهيجاً إذا أثاره وبعثه.

٣- فولد الحسن حسناً أمّه خولة بنت منظور بن زبّان الفزاريّة، وزيداً وأمّ الحسن أمّها بنت عقبة بن مسعود البدريّ، وعمر وأمّه ثقفية، والحسين الأثرم لأمّ ولد، وطلحة وأمّه أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله، وأمّ عبدالله لأمّ ولد^(٢).

أقول: قال في المعارف (ص ١١٢): كانت مليكة بنت سنان بن حارثة تحت زبّان ابن سيّار الفزاريّ، فتزوّجها بعده ابنه منظور بن زبّان فولدت له خولة وهاشم، فتزوّج الحسن بن عليّ خولة.

٤- زيد بن الحسن وأخته أمّ الحسن وأمّ الحسين أمّهم أمّ بشير بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الحزرجية، والحسن بن الحسن أمّه خولة بنت منظور الفزاريّة، وعمر بن الحسن وأخوه القاسم وعبدالله أمّهم أمّ ولد، وعبدالرحمن بن الحسن أمّه أمّ ولد، والحسين بن الحسن أمّه أمّ إسحاق بنت طلحة، وأمّ عبدالله وفاطمة وأمّ سلمة ورقية بنات الحسن (ع) لأمّهات شتى^(٣).

(١) الطبقات، ج ٦، ص ٢٢.

(٢) المعارف، ص ٢١٢.

(٣) الإرشاد، ص ١٩٩.

٥- وأمّ فاطمة بنت الحسين أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله، وقد كانت أمّ إسحاق عند الحسن، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين، فقال: يا أخي! إني أرضى هذه المرأة لك، فلا يخرجنّ من بيوتكم، فإذا انقضت عدتها فتزوّجها، فلما تُوفي تزوّجها الحسين، وقد كانت أمّ إسحاق من أجمل النساء بقريش وأسوأهنّ خلقاً^(١).

٦- ويروي أيضاً (ج ٢١، ص ١٦٧): وأمّا محمّد بن طلحة فإنه تزوّج خولة بنت منظور، فولدت له إبراهيم بن محمّد، ثمّ قتل عنها يوم الجمل، فتزوّجها الحسن بن عليّ، فولدت له الحسن بن الحسن.

٧- ويروي (ج ١٤، ص ١٩١): إنّ عبدالله بن الحسن بن عليّ زوج سكينه، كان يكتنّى أبا جعفر، وأمّه بنت السليل بن عبدالله البجلي أخي جرير.

أقول: ويظهر من مراجعة المآخذ أنّ تزوّج الإمام إمّا على حسب ظهور الطلب والاستدعاء والتقاضى من جانب المرأة، وأمّا على ما يكشف من تمايلها وعلاقتها وهويها فيه، وأمّا من جهة حفظها وضبطها لئلا تختلّ أمورها ولا تقع في مضيقه ومظلمه، وأمّا لتأمين معاشها والقيام بأموورها والإعانة لها، وعلى كلّ حال، فهو على نية خالصة وعلى حسب العمل بوظيفة إلهية وعلى أغراض صالحة روحانية، وذلك إمّا كان في موارد مخصوصة وبالنسبة إلى أشخاص اقتضت حالاتهنّ وجريان أمورهنّ تلك المساعدة.

البداية والنهاية (ج ٨، ص ٣٧) كان ابن الزبير يقول: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن عليّ.

٨- وكانت أسماء بنت عطار بن حاجب التميمي تحت عبيدالله بن عمر، ثمّ خلف عليها الحسن بن عليّ^(٢).

(١) الأغاني، ج ١٨، ص ٢٠٣.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٦.

أقول: كان عبيدالله بن عمر يوم صفين مع حمير وفي ميمنة أهل الشام، وقتل هناك.

وقد تحصل من هذه الروايات أمور:

١- إن جعدة تزوجها الإمام في عهد أبيه أمير المؤمنين، والظاهر أنها أول زوجة تزوجها وكانت عنده إلى أن توفي، ولم يذكر لها ولد، ويحتمل أن يكون هذا هو الباعث لتزوج نساء آخر، كما أن هذا المعنى (بأنها لم تلد، وتزوج الإمام بعدها) هو الموجب لحدوث البغضاء وانتفاء المحبة والوفاء منها.

٢- وقد تبين أن زوجة الإمام التي تزوجها باكرة بعقد نكاح دائمٍ رسمي هي جعدة، وأما غيرها فهي إما أم ولد أو تيبية، وإنما تزوجها إما للإجابة، أو للتأمين، أو لإظهار المحبة والعطوفة، أو للولد، أو لأغراض إلهية أخرى.

٣- المشهور المسلم بين المحققين من علماء التاريخ والنسب: أن أولاده ينتهون إلى خمسة عشر، ما بين ذكر وأنثى، وينتسبون إلى خمس أو ست أو سبع أمهات، ما بين حرّة وأم ولد، فما اشتهر بين الناس من كثرة أزواجه وأنه (ع) مطلق وأن أزواجه تنتهي إلى سبعين أو ثلاثمائة: فهي كلمات لا شاهد لها ولعلها قد انتشرت من المخالفين المعاندين له.

٤- ثم لا يخفى أن تعدد الزوجات بأي سبب كانت وبأي علة شاعت، قد كانت مرسومة في تلك الزمان، وما من رجل إلا وله زوجات متعدّدة، وهذا واضح لمن راجع كتب الرجال والتواريخ.

وفي سنن البيهقي (ج ٧، ص ٨٥): قال مغيرة بن شعبة: فنظرت إليها ثم تزوجتها، فما وقعت عندي امرأة بمنزلتها ولقد تزوجت سبعين امرأة.

وأمثال المغيرة من رجال ذلك العصر كثيرون.

وفي المعارف (ص ٢٣١): ولد طلحة عشرة بنين وأربع بنات، لأمهات مختلفات.

وقد تزوج رسول الله (ص) أربع عشرة زوجة وتوفي عن تسع.

٥- يظهر من بعض القرائن أن بعضاً من الناس أو القبائل يعرضون بنتاً منهم إلى زواج الإمام لتحصيل الفخر والفضل والانتساب إلى النبي (ص)، وهو يقبل التزويج ويعقدتها ثم يطلقها، ويدل على هذا قلة الأولاد.

٦- يظهر من الروايات الواردة أن الإمام (ع) كان يمسك بالمعروف أو يسرح بالإحسان، وعلى أي حال فأزواجه كن راضيات، وهو كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِيَتَّعِدُوا﴾، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وهذا هو المناط في المزاوجة، بأن يكون كل من الزوجين راضيين وموافقين على ما يريدان من الزواج أو الفراق.

٩- عن ابن سيرين: إن الحسن بن علي رضي الله عنه طلق امرأة له، فتمتعها بعشرة آلاف درهم، فقالت: متاع قليل لحبيب مفارق. فبلغه ذلك فراجعها^(١).

١٠- وكان الحسن تزوج سبعين امرأة، وكان قل ما يفارقه أربع حرائر، وكانت عنده ابنة منظور وامرأة من أسد فطلقها، وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف درهم وزقاق من عسل، وقال لغلّامه: احفظ ما يقولان لك، فقالت الفزارية: بارك الله فيه وجزاه خيراً، وقالت الأسدية: متاع قليل من حبيب مفارق. فلما بلغه قولها راجع الأسدية وترك الفزارية. وقال علي رضي الله عنه: يا أهل الكوفة! لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلق، فقال رجل من همدان: والله لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق^(٢).

(١) سنن البيهقي، ج ٧، ص ٤٤.

(٢) تهذيب ابن عساکر، ج ٤، ص ٢١٦.

أقول: هذه الروايات تدلّ على الوجه الخامس والسادس، ولا سيما قول عليّ أمير المؤمنين: لا تزوّجوه، فإنّه في مقام النهي عن عرض نسائهم وبناتهم لتزويجه وفي مقام الإشارة إلى هذه النكتة، لئلا يقول بعضهم: إنّنا كنّا غافلين مموّهين، ويؤيّد قَوْلهم: والله لزوجّته فما رضي أمسك وما كره طلق، ولا يمكن الحمل على النهي المطلق: فإنّه يوجب إمّا نهياً عن السنّة المشروعة أو إثبات عمل منافٍ للإمام المجتبي المطهر (ع).

١١- قال عبدالله بن الحسن بن الحسن: كان الحسن قلماً تفارقه أربع حرائر، وكان صاحب ضرائر. وقال عليّ بن الحسين: كان مطلقاً، وكان لا يفارق امرأة إلاّ وهي تحبّه^(١).

١٢- كان أرخى ستره على مأتي حرّة^(٢).

أقول: تدلّ هذه الروايات على أنّ تزويجه كان بعنوان التأمين والحفظ والرحمة والضبط وارضاء الستر عليهنّ ورفع حوائجهنّ والتربية والتأديب وسوقهنّ إلى الله وإلى رسوله ودينه، وبهذا النظر ترى ما ذكر من أنّ كلّ زوجة تفارقه إلاّ وهي تحبّه. ففي هذين الخبرين ما يحتاج إلى الدقّة والنظر والاعتبار، وهو جملة: لا يفارق امرأة إلاّ وهي تحبّه، وكذا جملة: أرخى ستره على مأتي حرّة.

١٣- قال المدائني: وكان الحسن كثير التزوّج، تزوّج خولة بنت منظور بن ريثان الفزارية وأمّها مليكة بنت خارجة بن سنان، فولدت له الحسن بن الحسن، وتزوّج أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله فولدت له ابناً سبّاه طلحة، وتزوّج أمّ بشر بنت أبي مسعود الأنصاري عقبه بن عمرو فولدت له زيد بن الحسن، وتزوّج جعدة بنت الأشعث بن قيس وهي التي سقته السمّ، وتزوّج هنداً بنت عبدالرحمن بن أبي بكر،

(١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٢) البدء والتاريخ، ج ٥، ص ٧٤.

وتزوَّج امرأة من كلب، وتزوَّج امرأة من بنات عمرو بن أهيم المنقري، وامرأة من ثقيف فولدت له عمر، وتزوَّج امرأة من بنات علقمة بن زرارة، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرّة، فقيل له: إنّها ترى رأي الخوارج، فطلّقها وقال: إنّني أكره أن أضمّ إلى نحري جمرة من جمر جهنّم. وقال المدائني: وخطب إلى رجل فزوَّجه وقال: إنّني مزوّجك وأعلم أنّك ملق طلق قلق، ولكنّك خير الناس نسباً وأرفعهم جدّاً وأباً. قلت: أمّا قوله: ملق طلق فقد صدق، وأمّا قلق فلا، فإنّ القلق الكثير الضجر وكان الحسن أوسع الناس صدرأً وأسجحهم خلقاً.

قال المدائني: أحصى زوجات الحسن بن عليّ فكنّ سبعين امرأة^(١).

أقول: ونحن أحصينا زوجاته من هذه الروايات ومن سائر ما روي في الكتب غيرها، فلا تتجاوز عن اثنتي عشرة زوجة، واحدة منها باكرة والباقية بين أمّ ولد وثيبية.

وأما الأقوال التي نقلت: فهي غير مستندة ولا برهان لها، وتنتهي إلى قول المدائني وهو دعوى بلا دليل، وأمّا كونه (ع) طلقاً أو مطلقاً: فيتحقّق مفهومه عرفاً بثلاثة طلاقات أو أكثر منها.

فالمسلّم المقطوع: هو تزوّجه (ع) باكرة واحدة، وخمس زوجات ثيبيات أو سبعاً، وتملّكه خمس أمّهات أولاد، وأمّا الزائدة عليها: فلا سند لها في كتب الحديث والتاريخ والأنساب. والله أعلم بحقيقتها. وعلى أيّ حال فلا إشكال فيها.

(١) ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٨.

٥٧ - أولاده عليه السلام

١- فالعقب للحسن بن عليّ: من زيد والحسن. والعقب لزيد: من الحسن بن زيد. والعقب للحسن بن الحسن: من جعفر وداود وعبدالله والحسن ومحمد وإبراهيم^(١).

٢- كان الحسن بن الحسن بن عليّ يخطب إلى عمّه الحسين، فقال له الحسين: قد كنت أنتظر هذا منك، انطلق معي. فخرج به حتى أدخله منزله فخيره في ابنتيه فاطمة وسكينة، فاستحيا، فقال له: قد اخترت لك فاطمة بنتي أكثرهما شبيهاً بأُمِّي فاطمة بنت رسول الله (ص)^(٢).

٣- وفيه (ص ١٩١): تزوّجت سكينة بنت الحسين عدّة أزواج، منهم: عبدالله بن الحسن بن عليّ، وهو ابن عمّها. ويروي في (ص ١٦٣): إنّ أوّل أزواج سكينة عبدالله ابن الحسن، قتل عنها ولم تلد له.

٤- ثمّ بعد أن قام أبو جعفر المنصور بعد أخيه أبي العباس السفّاح عبدالله بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن العباس سنة ٣٦ هـ، كتب إلى عبدالله بن الحسن بن الحسن، وذلك مبدء سنة تسع وثلاثين ومائة، يسأله عنهما (ولديه محمد وإبراهيم) ويأمره باظهارهما ويخبره إنّه غير غادره، فكتب عبدالله إليه أنّه لا يدري أين هما ولا أين توجّها وإنّ غيبتهما غير معروفة، ثمّ وضع لهما العيون والأرصاد حتى علم بمكانهما ومقصدتهما، وكتب فيهما مع عبدالله أبيهما مرّات حتى ظهر دعويهما فلما حضر أبو جعفر المدينة أرسل إلى بني الحسن فجمعهم، وبنو حسن اثني عشر رجلاً، فأمر

(١) التنبيه والإشراف، ص ٢٥٨.

(٢) الأغاني، ج ١٤، ص ١٥٨.

بجسهم جميعاً، وخرج أبو جعفر فعسكر من ليلته على ثلاثة أميال من المدينة وعبى على القتال ولم يشك أن أهل المدينة سيقاتلونهم في بني الحسن، فخرج محمد بالمدينة وبايعه أهل المدينة وأهل مكة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة فاجتمع الناس إليه وأخذ الأهواز وواسط بغير قتال، ثم إن أبا جعفر جهز إليهم عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس فقتل محمداً بقرب المدينة يقال لها: أحجار الزيت، وقتل إبراهيم بقرية قريبة من الكوفة يقال لها باخرى، نقل ملخصاً^(١).

٥- وولد أبو محمد الحسن في رواية شيخ الشرف العبيدي: ستة عشر ولداً منهم خمس بنات وأحد عشر ذكراً، هم: زيد والحسن المثني والحسين وطلحة وإسماعيل وعبدالله وحمزة ويعقوب وعبدالرحمن وأبو بكر وعمر. وقال الموضح التسابة: عبدالله هو أبو بكر، وزاد القاسم، وهي زيادة صحيحة. وأما البنات فهن: أم الحسين رملة وأم الحسن وفاطمة وأم سلمة وأم عبدالله. وزاد الموضح: رقية. فهن في روايته ستة بنات، وجملة أولاده في روايته سبعة عشر. وقال أبو نصر البخاري: أولاد الحسن بن علي ثلاثة عشر ذكراً وستة بنات. أعقب من ولد الحسن أربعة: زيد والحسن والحسين الأثرم وعمر، إلا أن الحسين الأثرم وعمر انقرضا سريعاً، وبقي عقب الحسن من رجلين لا غير: زيد والحسن المثني^(٢).

أقول: في هذا المقدار كفاية، ومن أراد الاطلاع الواسع فليراجع إلى الكتب المبسوطة المؤلفة في هذا الموضوع.

(١) عقد الفريد، ج ٣، ص ٢٧٤.

(٢) عمدة الطالب، ص ٤٧.

٥٨ - كلمات الإمام (ع)

ومن كلام له في العلم وكتابه:

كان يقول لبنيه وبني أخيه: تعلّموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوا في بيوتكم^(١).

قال لبنيه وبني أخيه: تعلّموا فإنكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غداً، فمن لم يحفظ منكم فيكتب^(٢).

ودعا بنيه وبني أخيه، فقال: يا بنيّ وبني أخي! إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلّموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه ويجعله في بيته، وكتب على خاتمه:

قَدِّمَ لِنَفْسِكَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ التَّقَىٰ إِنَّ الْمَنِيَّةَ نَازِلٌ بِكَ يَا فَتَىٰ
أَصْبَحْتَ ذَا فَرْحٍ كَأَنَّكَ لَا تَرَىٰ أَحِبَابَ قَلْبِكَ فِي الْمَقَابِرِ وَالْبِلَالِ^(٣)

وقال (ع): علّم الناس علمك وتعلّم علم غيرك فتكون قد أنفقت علمك وعلمت ما لم تعلم^(٤).

وقال: حسن السؤال نصف العلم^(٥).

(١) طبقات الشعراني، الإمام.

(٢) البداية، ج ٨، ص ٤١.

(٣) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢١٩.

(٤) مطالب السؤل، الباب الثاني، في كلامه.

(٥) كشف الغمّة، ص ١٧١.

أقول: يجب على كل مسلم مكلف أن يتعلم ما يتعلّق به من الأحكام والمسائل والوظائف بأيّ طريق يمكن، ثمّ يجب له تعليم أهله ومَن هو تحت نظره وكفالته وقيمومته بأيّ وسيلة ممكنة، ويجب عليه أيضاً حفظ العلم من التلف والضياع.

ومن كلامه (ع) في العقل والأدب:

إنّه قال: لا أدب لمن لا عقل له ولا مروءة لمن لا همّة له ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرّة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومن حزم العقل حشرهما جميعاً^(١).

أقول: الحزم هو الضبط. والحشر أي الجمع.

فالعقل رأس السعادة ومبدء كلّ الخير والكمال، ومن آثار العقل: التأدّب والنظم في الأمور، ومن التأدّب حسن المعاشرة والسلوك في الناس. ومن أعطي العقل فقد يُعطى الخير والفراغ والعافية في الدنيا والآخرة.

ومن كلام له (ع) في الصدق والخلوص:

عن أبي الجوزاء، عن الحسن بن عليّ (ع)، كان رسول الله (ص) يقول: دَع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنّ الصدق طمأنينة وإنّ الكذب ريبة^(٢).

عن أبي الحوراء كما في التهذيب^(٣).

سمع الحسن بن عليّ متكلماً يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرقّ عندها، قال: يا هذا! إنّ بقلبك لشرّاً أو بقلبي^(٤).

(١) مطالب السؤل، الباب الثاني، في كلامه.

(٢) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٠٠.

(٣) أخبار اصهبان، ج ١، ص ٤٥.

(٤) البيان والتبيين، ج ١، ص ٩٨.

أقول: راب أي تحيّر وفتر، وأرأبه أي جعله متحيّراً.

ومن كلام له (ع) في الصبر والرّضا:

عن الأصبع، قال: دخلت مع عليّ بن أبي طالب إلى الحسن بن عليّ نعوذه، فقال له عليّ: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: أصبحت بحمد الله برئاً، قال: كذاك إن شاء الله، ثمّ قال الحسن: أسندوني! فأسنده عليّ إلى صدره، فقال: سمعت جدّي رسول الله (ص) يقول: إنّ في الجنّة شجرة يقال لها شجرة البلوى، يؤقّى بأهل البلوى يوم القيامة فلا يرفع لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان، يصبّ عليهم الأجر صبّاً، وقرء: ﴿إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

قيل للحسن بن عليّ: إنّ أباذرّ يقول الفقر أحبّ إليّ من الغنى والسقم أحبّ إليّ من الصحة! فقال: رحم الله أباذرّ، أمّا أنا فأقول: من أتكل على حسن اختيار الله لم يتمنّ أنّه في غير الحالة التي اختار الله له، وهذا حدّ الوقوف على الرضا بما تصرّف به القضاء^(٢).

تهذيب ابن عساكر (ج ٤، ص ٢١٧) ما يقرب منها.

ومن كلامه (ع) في رذائل الصفات:

وقال (ع): هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين ومنه لعن إبليس، والحرص عدوّ النفس ومنه أخرج آدم من الجنّة، والحسد رائد الجوع ومنه قتل قابيل هايبيل^(٣).

(١) أخبار اصبهان، ج ١، ص ٤٥.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ٧٤.

(٣) مطالب السؤل، الباب الثاني، في كلامه.

ومن دعاء له (ع) في المعرفة والشكر والزهد :

وكان من دعاء الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَحْسَنَ فِي لَامِعَةِ الْعَيُونِ عَلَانِيَتِي ، وَتَقْبِحَ لَكَ فِيهَا أَخْلُو سَرِيرَتِي ، أَحَافِظُ عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي ، وَأَضَيِّعُ مَا أَنْتَ مَطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي ، أَبْذِي لِلنَّاسِ حَسَنَ أَثْرِي ، وَأَقْضِي إِلَيْكَ بِأَسْوَأِ عَمَلِي ، تَقَرَّبًا إِلَى النَّاسِ بِحَسَنَاتِي ، وَفِرَارًا مِنْهُمْ إِلَيْكَ بِسَيِّئَاتِي ، فَيَحِلَّ بِي مَقْتِكَ وَيَجِبَ عَلَيَّ غَضَبُكَ ، أَعْزِدْنِي مِنْ ذَلِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(١) .

أقول : هذا كلام جامع لقاطبة الخير ودعاء يشير إلى كمال أدب السعادة في الدنيا والآخرة .

إنَّ الحسن بن علي قال : رأيت عيسى بن مريم في النوم فقلت : يا روح الله ! إنِّي أريد أن أنقش على خاتمي فما أنقش عليه ؟ قال : انقش عليه : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ^(٢) .

أقول : ظهور الحق يوجب التثبُّت والاطمئنان ويرفع التردد والتزلزل ويذهب بالهم والغم ، ولما كان الله تعالى حقاً ومبين الحق ومظهره : فالتوجه إليه من جهة ابانته الحق وليبين الحق ، يوجب رفع الاضطراب والتشويش والغم .

همَّ الحسن (ع) أن يكتب إلى معاوية ، فرأى النبي (ص) في منامه ، كأنه يقول له : يا حسن ! أتكتب إلى مخلوق تسأله حاجتك وتدع أن تسأل ربك ! قال : فما أصنع يا رسول الله وقد كثر ديني . قال : قل : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ضَعَفْتَ عَنْهُ حِيلَتِي وَلَمْ تَنْتَه إِلَيْهِ رَغْبَتِي وَلَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي وَلَمْ يَبْلُغْهُ أَمَلِي وَلَمْ يَجْرَ عَلَى لِسَانِي مِنَ الْيَقِينِ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ أَحَدًا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الْأَوَّلِينَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا خَصَصْتَنِي بِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(٣) .

(١) الرعاية لحقوق الله ، ص ١٨٣ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ .

(٣) تهذيب ابن عساكر ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ .

وزاد البيهقي في أوله: أَللّهُمَّ اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمّن سواك حتّى لا أرجو أحداً غيرك. وفيه أنّه قال: فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتّى بعث إليّ معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه. فرأيت النبيّ (ص) في المنام، فقال: يا حسن! كيف أنت؟ فقلت: بخير، وحدثته حديثي، فقال: يا بُنيّ! هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق.

أقول: يستفاد من هذا الحديث أمران:

الأوّل: أنّ معاوية لم يعمل بما عهده به ولم يعط ما صالحا عليه، حتّى جعله في مضيقه من العيش.

الثاني: أنّ الشيعة كانوا في كمال الضعف مالاً ودينياً، حيث إنّ إمامهم كان في ضيق شديد، مع ديون كثيرة عليه، ولا يتوجّهون إليه ولا يقضون حوائجه، فإنّ الإمام (ع) كان متكفلاً لمعايش فقراء ذوي القربى والعلويين، وجمع من العيالات التي مات أولياؤهم في الجمل وصفين، وكان يعطي السائلين والمحتاجين والمتوقّعين.

ومن كلام له (ع) في المعرفة:

وروي إنّ أباه عليّاً قال له: قم فاخطب لأسمع كلامك! فقام، فقال: الحمد لله الذي من تكلم سمع كلامه ومن سكت علم ما في نفسه ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فإليه معاده، أمّا بعد: فإنّ القبور محلّتنا والقيامة موعدنا والله عارضنا، إنّ عليّاً باب من دخله كان مؤمناً ومن خرج عنه كان كافراً. فقام إليه عليّ (ع) فالتزمه، فقال: بأبي أنت وأمي ذرّبة بعضها من بعض والله سميع عليم^(١).

ويروي أيضاً (ص ١٧١): ومن كلامه (ع): إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور، فليجلّ جلال بظوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإنّ التفكير حياة القلب

(١) كشف الغمّة، ص ١٧٠.

البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور.
أقول: العارض هو ما يستقبلك. جلا يجلو: خرج.

ومن كلام له (ع) في الشكر:

ولد للحسن بن أبي الحسن غلام، فقال له بعض جلسائه: بارك الله لك في هبته وزادك في أحسن نعمته. فقال الحسن: الحمد لله على كل حسنة، وأسأل الله الزيادة في كل نعمة، ولا مرحباً بمن إن كنت عائلاً أنصبي وإن كنت غنياً أذهلني، لا أرضي بسعيي له سعياً ولا بكدي له في الحياة كدّاً، حتى أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي، وأنا مجال لا يصل إليّ من همّه حزن ولا من فرحه سرور^(١).

ومن كلام له (ع) في الزهد والموعظة:

يا ابن آدم! عَفَّ عن محارم الله تكن عابداً، وارضَ بما قَسَمَ الله سبحانه تكن غنياً وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عدلاً، إته كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً، يا ابن آدم! إنك لم تنزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فخذ ممّا في يديك لما بين يديك فإنّ المؤمن يتزوّد والكافر يتمتّع. وكان يتلو بعد هذه الموعظة: وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى^(٢).

أقول: هذا الكلام من جوامع الكلم في الزهد والموعظة، ومن أتقن الحكم في تدبير الأمور الشخصية والاجتماعية، وهو يجمع خير سعادة العاجل والآجل، ومن جعل هذا الكلام المحكم برنامج حياته وعمل به في سلوكه: فقد أوتي خيراً كثيراً وحاز

(١) البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٤٦.

(٢) كشف الغمّة، ص ١٦٦.

كلّ الخير في الدارين. فما أحسن لكلّ مسلم أن يكتبه ويجعله نصب عينيه على كلّ حال.

فخذ ممّا في يدك لما بين يديك.

وفي أعيان الشيعة يروي عن المناقب: وقوله (ع):

لكسرة من خسيس الخبز تشبعتني وشربة من قراح الماء تكفيني
وظمرة من رقيق الثوب تسترني حياً وإن متّ تكفيني لتكفيني^(١)

ومن كلامه (ع) في حبّ الدنيا:

قال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما: يا بُنَيَّ! لا تخلف وراءك شيئاً من الدنيا، فإنّك تخلفه على رجلين: رجل عمل بطاعة الله تعالى فسعد بما شقيت به، ورجل عمل بمعصيته فكنت عوناً له على ذلك، وليس أحد بحقيق على أن تؤثره على نفسك، أغبن الغبن كدّك فيما نفعه لغيرك.

وقال أبي لأخيه وكان مثيراً بخيلاً: يا أخي! إنّ مالك إن لم يكن لك كنت له، فلا تبق عليه فإنّه لا يبق عليك، وكله قبل أن يأكلك^(٢).

وقال أبو هاشم القتّاد: كنت أحمل المتاع من البصرة إلى الحسن وكان يماكسني، ولعليّ لا أقوم من عنده حتّى يهب عامّته، ويقول: إنّ أبي حدّثني أنّ رسول الله (ص) قال: المغبون لا محمود ولا مأجور^(٣).

أقول: المغبون من ضعف رأيه ومن خدع في المعاملة، فإنّه لا يحمّد في ضعفه ومخدوعيته. وأشدّ الغبن من كان غبنه في الله وفي معاملته. والمماكسة: الانتقاص في الثمن.

(١) أعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٠٨.

(٢) المحاضرات، ج ١، ص ٣٢٥ و ٣٥٤.

(٣) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢١٤.

إنّ الحسن عليه السلام أعطى شاعراً، فقال له رجل من جلسائه: سبحان الله! أتعطي شاعراً يعصي الرّحمن ويقول البهتان، فقال: يا عبد الله! إنّ خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وإنّ من ابتغاء الخير اتّقاء الشرّ^(١).

وقال (ع): اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به بمنزلة ما لم تحظره بذلك، واعلم أنّ مروّة القناعة والرضا أكبر من مروّة الإعطاء، وتمام الصنعة خير من ابتدائها^(٢).

أقول: أي بمنزلة ما ظفرت به ولم تمنعه عن الغير ولم تجبسه عند نفسك ليستفيد الناس منه. وفي كشف الغمّة (ص ١٧٠): بمنزلة ما لم يخطر ببالك.

ومن كلام له (ع) في التوجّه إلى الإمام:

وقال: من أتانا لم يعدم خصلة من أربع: آية محكمة، أو قضيّة عادلة، أو أخاً مستفاداً، أو مجالسة العلماء^(٣).

أقول: يشير إلى أنّ من يصاحبنا إن كان من أهل المعرفة واليقين فيستفيد منّا آية محكمة ومعرفة يقينيّة من الحقائق والمعارف الإلهيّة، وإن كان من أهل العلم فيستفيد منّا حكماً من الأحكام الدينيّة في العلوم الرسميّة والآداب والسنن الشرعيّة، وإن لم يكن من أهل العلم والمعرفة فيصاحب أخاً إلهياً يستفيد منه ما يحتاج إليه في مطلق الأمور، وإن لم يكن من أهل الاستفادة فيستفيد منها الأُنس والمصاحبة.

ومن كلام له (ع) في صفات المصاحب:

قال الحسن بن عليّ: ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني

(١) ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٤.

(٢) مطالب السؤل، الباب الثاني، في كلامه.

(٣) البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٩٩.

وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يتشمى ما لا يحل ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يداً إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشكى ولا يتبرم، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بَدَّ القائلين، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجدُّ فهو الليث عادياً، كان إذا جامع العلماء على أن يسمع أحرص منه على أن يقول، كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول، كان إذا عرض له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحقّ نظر أقربهما من هواه فخالفه، كان لا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر في مثله، زادني غيره: كان لا يقول حتى يرى قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً^(١).

وفي تهذيب ابن عساكر يروي نظيره باختلاف ما في الكلمات والعبارات والتقديم والتأخير.

يقول (ج ٤، ص ٢١٦): وقال ذات يوم لأصحابه: إنني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد.

وكان خارجاً من سلطان بطنه بوجه فلا يستجد له عقله ولا رأيه، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة، كان لا يسخط ولا يتبرم، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، كان إذا غلب عليه الكلام يغلب على الصمت، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بَدَّ القائلين، كان لا يشارك في دعوى ولا يدخل في مرأ ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً، كان يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكراً، كان لا يغفل عن إخوانه، ولا يتخصّص بشيء دونهم، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله، كان إذا ابتدأه أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحقّ نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه.

(١) عبون ابن قتيبة، ج ٢، ص ٣٥٥.

ويروي أيضاً (ص ٢١٩): وروى ابن المرزبان: إنّ الحسن رضي الله عنه خطب بالكوفة فقال: اعلموا يا أهل الكوفة! إنّ الحلم زينة والوفاء مروءة والعجلة سفه والسفر ضعف، ومعاشرة أهل الدناءة شين ومخالطة أهل الفسوق ريبة. وقال (ع): لا تأت رجلاً إلاّ أن ترجو نواله أو تخاف يده أو تستفيد من علمه أو ترجو بركته ودعاءه أو تصل رحماً بينك وبينه^(١).

أقول: التشكّي هو الشكوى والتظلم والتوجّع. والتبرّم: التضجّر. البدّ: التفوّق والغلبة. استجدّد: صار جديداً. أدلىٰ بحجّته: أحضرها واحتجّ بها.

في هذه الكلمات بيان دقيق لصفات الرفيق المصاحب، فإنّ المصاحب من يهدي إلى الهدى أو الضلال، ولا يمكن السير إلى الكمال إلاّ بالرفيق الصالح، ولا توجد وسيلة للوصول إلى الخير والسعادة أحسن من الرفيق السعيد.

في بعض أجوبته عن الأسئلة:

عن الواحدي في تفسيره الوسيط: دخل رجل مسجد المدينة، قال: فإذا أنا برجل يحدث عن رسول الله (ص) والناس حوله، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة وأمّا المشهود فيوم عرفة. فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله (ص)، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة وأمّا المشهود فيوم النحر. فجزتها إلى غلام آخر كان وجهه الدنيا وهو يحدث عن رسول الله (ص)، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ فقال: نعم، أمّا الشاهد فحمّد وأمّا المشهود فيوم القيامة، أمّا سمعته يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾. فسألت عن الرجل الأوّل؟ فقالوا: ابن عباس. وعن الثاني؟ فقالوا: ابن

(١) مطالب السؤل، الباب الثاني، في كلامه.

عمر. وعن الثالث؟ فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب، فكان قول الحسن أحسن^(١).

ويروي أيضاً فيه (في كلامه): وسئِل عن الصمت؟ فقال: هو ستر العيِّ وزين العرض وفاعله في راحة وجليسه آمن.

وسئِل عن الذلِّ واللوم؟ فقال: مَنْ لا يغضب من الجفوة ولا يشكر على النعمة.

وسئِل عن العقوق؟ فقال: أن تحرمها.

وسئِل عن العقوق؟ فقال: أن تحرمها وتهجرها^(٢).

وفيه أيضاً: وقيل له (ع): فيك عظمة! قال: لا بل في عزة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفيه أيضاً (ص ١٧١): وسئِل عن البخل؟ فقال: هو أن يرى الرجل ما أنفقته تلفاً وما أمسكه شرفاً.

وقال معاوية للحسن (ع): ما المروءة يا أبا محمد؟ قال: فقه الرجل في دينه وصلاحه واصلاح معيشتة وحسن مخالفتة. وفي رواية: حفظ الرجل دينه واحراز نفسه من الدنس وقيامه بضيفه واداء الحقوق وافشاء السلام. قال: فما النجدة؟ قال: التبرّع بالمعروف والاعطاء قبل السؤال والإطعام في المحل^(٣).

أقول: المروءة كل المروءة أن يتوجّه الانسان إلى صلاحه وسعادته الحقيقية، وأن يجلب إليه الخير والحياة الطيبة، وأن يجتهد في تحصيل كمال نفسه، وأن يقوم بنظم أموره في معاشه ومعااده.

(١) مطالب السؤل، الباب الثاني، في علمه.

(٢) كشف الغمّة، ص ١٧٠.

(٣) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢١٩.

بإسناده عن الحارث: سأل عليّ ابنه الحسن عن أشياء من أمر المروءة، فقال: يا بُنيّ! ما السداد؟ قال: يا أبت! السداد دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف واصلاح المال. قال: فما الرأفة؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير. قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه. قال: فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر. قال: فما الشح؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً. قال: فما الاخاء؟ قال: المواساة في الشدة والرخاء. قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو. قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة. قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قلّ وإنما الغنى غنى النفس. قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء. قال: فما المنعة؟ قال: شدة البأس ومنازعة إغراء الناس. قال: فما الذلّ؟ قال: الفرع عند المصدوقة. قال: فما العي؟ قال: العبث باللحية وكثرة البزق عند المخاطبة. قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعينيك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وتعفو عن الجرم. قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كلّما استوعبته. قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما السناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاية. قال: فما السفه؟ قال: اتباع الدناة ومصاحبة الغواة. قال: فما الغفلة؟ قال: تركك المجدّ وطاعتك المفسد. قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك. قال: فما السيّد؟ قال: الأحمق في ماله والمتهاون في عرضه يشتم فلا يجيب والمتحزّن بأمر عشيرته هو السيّد. فقال عليّ: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا فقر أشدّ من الجهل ولا مال أعود من العقل^(١).

(١) حلية الأولياء، الإمام.

البداية (ج ٨، ص ٣٩) ما يقرب منها.

تهذيب ابن عساكر (ج ٤، ص ٢١٨) يروي نظيرها. وفيها: ومقارعة أشد الناس... فما الثناء؟ قال: إتيان الجميل... والرفق بالولاة، والاحتراس من الناس بسوء الظنّ هو الحزم. قال: فما الشرف؟ قال: موافقة الإخوان وحفظ الجيران.

ثمّ قال بعد الرواية: قال القاضي أبو الفرج زكريّا بن المعافا في هذا الخبر من جوابات الحسن إياه عمّا سأله عنه من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه ووعاه وعمل به وأدّب نفسه بالعمل عليه وهذّبها بالرجوع إليه، وتتوفّر فائدته بالوقوف عنده.

أقول: التحقيق في هذه الرواية وكشف النقاب عن حقائق هذه الكلمات يحتاج إلى تأليف كتاب مستقلّ.

ومن كلام له في مختلف المعاني:

قال لجعيد بن همدان: إنّ الناس أربعة فمنهم من لا خلاق له وليس له خلق، ومنهم من له خلق وليس له خلاق، ومنهم من ليس له خلق وله خلاق فذاك أشرّ الناس. ومنهم من له خلق وخلاق فذلك أفضل الناس^(١).

أقول: الخلاق بالفتح: النصيب الوافر من الخير في حياته.

قال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما لرجل سأله شيئاً فلم يمكنه: لو أمكنتني لكان الحظّ فيه لنا دونك، فإن حُرمتنا شكرك فلا تُحرمنا سعة عذرك^(٢).

أقول: فإذا كان الحظّ والنصيب للمعطي، وكان الباعث له هو السائل: فالشكر يعود إليه، بمعنى أنّ للمعطي أن يشكر السائل في سببئته لهذا العمل الصالح والتوفيق له.

(١) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢١٧.

(٢) المحاضرات، ج ١، ص ٣٦٦.

عن عبدالله بن نافع، قال: عاد أبو موسى الأشعري الحسن بن علي رضي الله عنه، فقال له علي رضي الله عنه: أعائداً جئت أم زائراً؟ قال: لا بل جئت عائداً. قال علي رضي الله عنه: أمّا أنّه ما من مسلم يعود مريضاً إلاّ خرج معه سبعون ألف ملك كلّهم يستغفر له (١).

أقول: إنّ الزيارة تكون بقصد الاستفادة والاستفاضة في غالب الأوقات. وهذا بخلاف العيادة فإنّها تكون بقصد المواساة واطهار المحبّة ورفع الحاجة والنصرة، وعلى هذا يكون لها من الأجر ما ليس للزيارة.

ومن كلام له (ع) في جابلقا وجابرسا:

عن أبي عبدالله (ع): إنّ الحسن (ع) قال: إنّ لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد وعلى كلّ واحد منهما ألف ألف مصراع، وفيها سبعون ألف لغة كلّ لغة بخلاف لغة صاحبهما، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيها وما بينهما، وما عليها حجّة غيري وغير الحسين أخي (٢).

وقال في الوافي: بيان: كأنّ المدينتين كناية عن عالمي المثال المتقدّم أحدهما على الدنيا وهو المشرقيّ، والمتأخّر آخر عنها وهو المغربيّ، وكون سورهما من حديد كناية عن صلابته وعدم امكان الدخول فيها إلاّ عن أبوابهما، وكثرة اللغات كناية عن اختلاف الخلايق في السلايق والألسن اختلافاً لا يحصى، وحجّيته وحجّية أخيه في زمانها ظاهرة فإنّها كانت عامّة لجميع الخلق.

أقول: عالم المثال فيما وراء عالم الطبيعة محيطاً بها من قبل ومن بعد، وهو عالم جسمانيّ لطيف ليس فيه كثافة الجسد، يظهر ما فيه ويظهر عمّا وراءه.

(١) مسند أحمد، ج ١، ص ١٢١.

(٢) الكافي، باب مولد الإمام عليّ (ع).

ومن كلمات له (ع) في أبواب الفقه :

عن عاصم بن ضمرة: كنت أسير مع الحسن بن عليّ على شاطئ الفرات، وذلك بعد العصر ونحن صيام وماء الفرات يجري على رضراض والماء صاف ونحن عطاش، فقال الحسن بن عليّ: لو كان معي مئزر لدخلت الماء، قلت: إزارى أعطيكه، قال: فما تلبس أنت؟ قلت: أدخل كما أنا، قال: فذاك الذي أكره، إني سمعت رسول الله (ص) يقول: إنّ للماء عوامر من الملائكة كعوامر البيوت استحيوهم وهابوهم وأكرمهم، إذا دخلتم عليهم الماء فلا تدخلوا إلا بمئزر^(١).

أقول: الرضراض بالفتح: ما صغر من الحصى. العامر: الساكن في الدار.

ومن كلام له (ع) في اللباس والزكاة:

عن الحسن بن عليّ (ع) قال: أمرنا رسول الله (ص) في العيدين أن نلبس أجود ما نجد وأن نتطيب بأجود ما نجد وأن نضحّي بأسمن ما نجد، البقرة عن سبعة والجزور عن عشرة، وأن نظهر التكبير وعلينا السكينة والوقار^(٢).

أقول: التضحية بالشاة: ذبحها. البقرة عن سبعة: أي إذا كانت الأضحية في الأمصار لا في منى، فتكفي بقرة واحدة عن سبع نفرات من أهل بيت واحد أو من غيرهم. وإذا كانت جزوراً وهو الإبل فيكفي عن عشرة. والمراد من العيدين: عيد الأضحى والفطر.

من دعائه (ع) في الوتر والصبح:

وأخرج المحافظ بسنده إلى أبي الجوزاء أنّه قال: قال الحسن بن عليّ: علّمني رسول الله (ص) قنوت الوتر: ربّ اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولّني

(١) رجال اصبهان، ج ١، ص ٣٣١.

(٢) مستدرک الحاکم، ج ٤، ص ٢٣٠.

فيمن تولّيت وبارك لي فيما أعطيت وقني شرّ ما قضيت إنك تقضي ولا يُقضَى عليك
إنه لا يذلّ من واليت تباركت ربّنا وتعاليت^(١).

عن حجّاج بن فرافصة، عن الحسن بن عليّ، قال: أنا ضامن لمن قرء هذه
العشرين آية إذا أصبح وإذا أمسى، أن لا يمسه لصّ عاد ولا سبع ضار ولا سلطان
ظالم ولا ماء غالب: آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ - إِلَى قَوْلِهِ - الْمُحْسِنِينَ﴾، وعشر آيات من أول الصافات، وثلاث
آيات من آخر سورة الحشر ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ﴾ إلى آخرها، وثلاث
آيات ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ - إِلَى قَوْلِهِ - إِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّمَوَاتِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ﴾^(٢).

ومن كلام له (ع) في الاختلاف إلى المسجد:

عمير بن مأمون، قال: سمعت الحسن بن عليّ يقول: من أدام الاختلاف إلى
المسجد أصاب ثمان خصال: آية محكّمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة
منتظرة، وكلمة تدلّه على هدى أو تردعه عن ردى، وترك الذنوب حياءً أو
خشية^(٣).

أقول: لعلّ الخصال الثمان باعتبار الكلمة الهادية، والكلمة التي تردعه عن
الضلال، ثمّ ترك الذنوب من جهة حصول الحياء، أو تركها بواسطة الوصول إلى مقام
الخشية. هذا إذا لم يسقط من الرواية شيء.

ومن كلام له (ع) في الصلّاة:

وروى عن النبيّ (ص) حديثين: من صلّى الغداة وجلس في مجلسه حتّى تطلع

(١) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ١٩٩.

(٢) أخبار اصهبان، ج ١، ص ٣١٥.

(٣) عيون ابن قتيبة، ج ٣، ص ٣.

الشمس ستره الله من النار^(١).

ومن كلام له (ع) في الصدقة:

عن أبي الجوزاء أنه قال: قلت للحسن: ما تذكر من رسول الله؟ قال: أذكر أنني أخذت تمرة من تمر الصدقة فجعلتها في فيّ، قال: فنزعها رسول الله بلعابها فجعلها في التمر، فقيل: يا رسول الله! ما كان عليك من هذه التمرة لهذا الصبي؟ قال: إنا آل محمد لا تحلّ لنا الصدقة^(٢).

روى عن النبيّ (ص) أحاديث حفظها عنه، منها في السنن الأربعة... ومنها عن أبي الحوراء - بالمهملة والراء - الحديث^(٣).

ومن كلام له (ع) في الطلاق:

عن حميد الطويل، قال الحسن بن عليّ (ع): لا طلاق إلا من بعد نكاح. وقال: إن رجلاً سأل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قلت: إن تزوّجت فلانة فهي طالق؟ قال: قال عليّ رضي الله عنه: تزوّجها فلا شيء عليك^(٤).

أقول: من شرائط العقد الإنشاء، ومن شرائط الإنشاء التنجّز، والتنجّز في صورة التعليق والشرط غير محقق، فيبطل عقد الطلاق المعلق بشرط.

ومن كلام له (ع) في الإنفاق على الأهل:

عن الحسن بن عليّ (ع) قال: جاءت امرأة إلى النبيّ (ص) معها إبنها، فأعطاهما

(١) البدء والتاريخ، ج ٥، ص ٧٤.

(٢) تهذيب ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٠٠.

(٣) الإصابة، الإمام.

(٤) سنن البيهقي، ج ٧، ص ٣٢٠.

ثلاث تمرات، فأعطت كل واحد تمرّة فأكلاها، ثمّ نظرا إلى أمّهما فشقت التمرة باثنين فأعطت كل واحد منهما نصف تمرّة، فقال رسول الله (ص): رحمها الله برحمتها ابنهما^(١).
 سُئِلَ المحسن رضي الله عنه عن رجل آتاه الله مالا فأنفق على أهله ما لو أنفق
 دونه لكفى؟ فقال: وسّع على نفسك وعلى عيالك كما وسّع الله عليك، فإنّ الله قد أدب
 عباده أحسن تأديب، فقال: لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق
 ممّا آتاه الله، وما عذب الله قوماً وسّع عليهم فشكروه، ولا غفر لقوم ضيق عليهم
 فكفروه^(٢).

هذا تمام الكلام في كلماته عليه السلام، وبتمامها يتمّ هذا الكتاب المستطاب، وليعلم
 أنّ كلماته الجامعة ورواياته المرويّة في كتب الشيعة التي تجمع أحاديث أهل البيت
 عليهم السلام كثيرة.

ولمّا كان نظرنا في تأليف هذا الكتاب إلى جمع الروايات المرويّة في كتب أهل السنّة
 عن الإمام عليه السلام: لم نتعرّض إلى غيرها، إلّا استطراداً أو في مقام التوضيح أو
 التأييد.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا، والصلاة والسّلام على
 سيّد المرسلين وخاتم النبيّين وآله الطّاهرين المعصومين المنتخبين.

(١) أخبار اصبهان، ج ١، ص ٤٥.

(٢) المحاضرات، ج ١، ص ٣٠٩.

فهرس بأسماء الكتب المنقولة عنها في الكتاب

- ١- أخبار اصبهان لأبي نعيم المتوفى سنة ٤٣٠ - طبع ليدن سنة ١٩٣١ - في مجلدين .
- ٢- الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد الدينوري، طبع مصر، مطبعة عبد الحميد بنفقة النعمان ببغداد.
- ٣- إرشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني، عشر مجلّات، طبع مصر سنة ١٣٠٧ - هـ.
- ٤- الإستيعاب لابن عبدالبرّ، طبع مصر سنة ١٣٨٠، أربع مجلّات.
- ٥- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، مطبوعة مصر سنة ١٣٥٨ - هـ، أربع مجلّات.
- ٦- الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني، مطبوعة مصر سنة ١٣٢٣ - هـ، في إحدى وعشرين مجلّدة.
- ٧- الإمامة والسياسة لابن قتيبة في جزأين، مطبوعة مصر سنة ١٣٣١ - هـ.
- ٨- أنساب الأشراف للبلاذري، طبع مصر ١٩٥٩ - م.
- ٩- البدء والتاريخ لأبي زيد البلخي، طبع باريس سنة ١٩١٦ - م، في ستّ مجلّات.
- ١٠- البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، مطبوعة مصر سنة ١٣٥١ - هـ، في أربعة عشر مجلّداً.
- ١١- البيان والتعريف لابن حمزة الحنفيّ الدمشقيّ، طبع حلب سنة ١٣٢٩ هـ، جزءان.
- ١٢- البيان والتبيين للجاحظ، مطبوعة مصر سنة ١٣٦٦ هـ، ثلاث مجلّات.
- ١٣- تاريخ ابن خلدون، مطبوعة مصر سنة ١٢٨٤ هـ.
- ١٤- تاريخ ابن الوردي، طبع مصر سنة ١٢٨٥، في مجلدين .

- ١٥- تاريخ الطبري، الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣٢٦، في ١٢ مجلداً.
- ١٦- تاريخ الخلفاء للسيوطي، طبع ميمنيّة مصر سنة ١٣٠٥ هـ.
- ١٧- تذكرة خواصّ الأئمّة لسبط بن الجوزي، طبع إيران سنة ١٢٨٥ هـ.
- ١٨- التنبيه والإشراف للمسعودي، طبع مصر سنة ١٣٥٧ هـ.
- ١٩- تهذيب ابن عساكر الشافعي (من تاريخه الكبير)، طبع مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣٢ هـ، في ٧ مجلّات.
- ٢٠- تهذيب التهذيب في الرواة في مجلّدين.
- ٢١- حلية الأولياء لأبي نعيم، طبع مصر سنة ١٣٥١ هـ، في عشر مجلّات.
- ٢٢- خصائص النسائي، طبع مصر سنة ١٣٠٨ هـ.
- ٢٣- خلاصة تذهيب الكمال في الرجال للحافظ الخزرجي، طبع مصر سنة ١٣٢٢ هـ.
- ٢٤- رحلة ابن بطوطة في جزأين، مطبوعة مصر سنة ١٣٥٧ هـ.
- ٢٥- الرعاية لحقوق الله للمحاسبي، طبع ليدن.
- ٢٦- سنن ابن ماجة القزويني في مجلّدين، طبع مصر سنة ١٣٤٩ هـ.
- ٢٧- سنن أبي داود، المجلّد الأوّل، طبع كراچي سنة ١٣٦٩ هـ، والمجلّد الثاني، طبع دهلي سنة ١٢٨٣ هـ.
- ٢٨- سنن البيهقي في عشر مجلّات، طبع حيدرآباد سنة ١٣٤٤ هـ.
- ٢٩- سنن الترمذي (الجامع)، طبع كراچي باكستان، الناشر نور محمد، لم تعرف سنة الطبع.
- ٣٠- سير أعلام النبلاء للذهبي في مجلّدين، طبع مصر سنة ١٩٥٦ م، وفي الجزء الثاني، تمّ طبعه سنة ١٩٥٧ م.
- ٣١- شرح النهج لابن أبي الحديد، طبع مصر ١٣٢٩ هـ، بمطبعة دار الكتب العربيّة، في أربع مجلّات.
- ٣٢- شرح المواهب اللدنيّة للقسطلاني، من الزرقاني المالكي، طبع مصر سنة ١٣٢٨ هـ، في ٨ مجلّات.

- ٣٣- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، ط مصر.
- ٣٤- الصحيح للبخاري، طبع مصر سنة ١٣١٢هـ، محشّى بجواشي من السندي، أربع مجلدات.
- ٣٥- الصحيح للمسلم، طبع إسلامبول سنة ١٣٣٢هـ-١٣٣٤هـ، في ثمانية أجزاء.
- ٣٦- الطبقات للشعراني، مطبوعة سنة ١٣٤٣هـ.
- ٣٧- الطبقات الكبرى لابن سعد، ثماني مجلدات، طبع بيروت سنة ١٣٧٧هـ.
- ٣٨- عيون الأخبار لابن قتيبة، أربع مجلدات، طبع مصر سنة ١٣٤٣هـ-١٣٤٩هـ.
- ٣٩- العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي، مطبوعة مصر سنة ١٣٥٣هـ، أربع مجلدات. وقد ينقل عن طبعة ١٣٤٦هـ.
- ٤٠- الفائق في غريب الحديث للزمخشري، طبع القاهرة سنة ١٣٦٤هـ، في ثلاث مجلدات.
- ٤١- الفتنه الكبرى (عليّ وبنوه) لظه حسين، طبع مصر سنة ١٩٥٣م.
- ٤٢- الفصول المهمّة لابن صباغ المالكي، طبع النجف.
- ٤٣- الكامل لابن الأثير في اثني عشر مجلداً، مطبوعة مصر سنة ١٢٩٠هـ.
- ٤٤- الكامل للمبرّد، ثلاثة أجزاء، طبع مصر سنة ١٣٤٧هـ، وقد نقل عن طبعة ١٣٥٥هـ.
- ٤٥- كفاية الطالب للحافظ الكنجي الشافعي، طبع النجف سنة ١٣٥٦هـ.
- ٤٦- الكنى للدولابي، الطبعة الأولى.
- ٤٧- لسان العرب لابن منظور، ١٥ مجلداً، ط بيروت.
- ٤٨- المحاسن والأضداد للجاحظ، طبع مصر سنة ١٣٢٤هـ.
- ٤٩- محاسن البيهقي، طبع بيروت، سنة ١٣٨٠.
- ٥٠- محاضرات الأبرار، طبع مصر.
- ٥١- مروج الذهب للمسعودي، طبع مصر، في مجلدين سنة ١٣٤٦هـ.
- ٥٢- مستدرک الحاكم النيسابوري على الصحيحين، أربع مجلدات، طبع حيدرآباد الدكن سنة ١٣٣٥هـ.

- ٥٣- مسند أحمد، طبع مصر في ست مجلّدات، سنة ١٣١٣هـ.
- ٥٤- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحة الشافعي، طبع إيران منضماً إلى تذكرة الخواص، سنة ١٢٨٧هـ.
- ٥٥- المعارف لابن قتيبة، طبع مصر سنة ١٩٦٠م.
- ٥٦- معجم ما استعجم للوزير البكري الأندلسي، طبع مصر سنة ١٣٦٦هـ، في مجلّدين.
- ٥٧- المقاتل لأبي الفرج، طبع مصر سنة ١٣٦٩هـ.
- ٥٨- مقتل الخوارزمي في مجلّدين، طبع النجف.
- ٥٩- المنجد، الطبعة ١٦، بيروت.
- ٦٠- نزهة المجالس للصفوري الشافعي، في مجلّدين، طبع مصر سنة ١٣٢٢هـ.
- ٦١- نور الأبصار للشبلنجي، طبع مصر.

كتب الإمامية المنقول عنها

- ١- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد للشيخ المفيد، طبع تبريز سنة ١٣٠٨ هـ.
- ٢- أعيان الشيعة للعالمي، طبع بيروت، ٥٥ مجلداً، سنة ١٣٦٧ هـ.
- ٣- تنقيح المقال، طبع النجف في ٣ مجلدات.
- ٤- ديوان العلامة السيد بحر العلوم مخطوط في ٨٠ صحيفة.
- ٥- ديوان العلامة الغروي الاصفهاني، طبع النجف.
- ٦- روضة الواعظين للفتال النيسابوري، طبع إيران سنة ١٣٠٣ هـ.
- ٧- فارسنامه، طبع إيران.
- ٨- الفخري لابن الطقطقي.
- ٩- الكافي للكليبي (أصوله) مخطوط مقروء على العلامة المجلسي وفي آخره إجازة منه في سنة ١٠٩٢ هـ.
- ١٠- كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي، طبع طهران سنة ١٢٩٤ هـ.
- ١١- المناقب لابن شهر آشوب في مجلدين، طبع إيران سنة ١٣١٧ هـ.
- ١٢- نهج البلاغة في كلمات أمير المؤمنين (ع) للسيد رضي الدين، طبع مصر.
- ١٣- الوافي للعلامة الفيض القاساني، ثلاث مجلدات، طبع إيران.

فهرس مباحث الكتاب

- ١- كلماتهم فيه عليه السلام ٧
- ٢- علو مقامه وفضله ٩
- ٣- حسبه ونسبه (ع) ١٣
- ٤- ولادة الإمام (ع) ٢٧
- ٥- بعد ميلاد الإمام (ع) ٣٢
- ٦- كنيته وألقابه (ع) ٣٦
- ٧- شمائله (ع) ٣٧
- ٨- أهل البيت (ع) والإمام (ع) ٤١
- ٩- الإمام (ع) وآية التطهير ٤٦
- ١٠- المودّة في القُرْبى ٥٠
- ١١- إتيهما سيّدا شباب أهل الجنّة ٥٢
- ١٢- وهو حامل الحسن والحسين (ع) ٥٤
- ١٣- اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهَا فَأَحْبِبْهَا ٥٦
- ١٤- اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبْتُهُ ٦٠
- ١٥- شدّة حبّ النبيّ (ص) له (ع) ٦٥
- ١٦- مَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى رَسُولَ اللَّهِ (ص) ٦٧
- ١٧- إِنَّهُ رِيحَانَةُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ٦٩
- ١٨- الأحاديث في الصّلى ٧٠

- ١٩- الإمام (ع) وأيام الشورى ٧٤
- ٢٠- البعث إلى عثمان ٧٥
- ٢١- الإمام (ع) ويوم الجمل ٧٨
- ٢٢- الإمام (ع) وحرب صفين ٨٦
- ٢٣- أسفاره (ع) ٩٠
- ٢٤- عبادات الإمام (ع) ٩٢
- ٢٥- جوده (ع) ٩٦
- ٢٦- حلمه (ع) ١٠٢
- ٢٧- وصية أمير المؤمنين له (ع) ١٠٥
- ٢٨- الإمام (ع) عند وفاة أمير المؤمنين (ع) ١٠٨
- ٢٩- الإمام (ع) وابن ملجم ١١١
- ٣٠- خطبة الإمام (ع) بعد قتل أبيه ١١٣
- ٣١- خلافة الإمام (ع) والبيعة ١١٩
- ٣٢- الخلافة الحقيقية ١٢٥
- ٣٣- مكاتبة الإمام (ع) معاوية ١٣١
- ٣٤- ممّا روي في معاوية ١٣٨
- ٣٥- من مطاعن معاوية ١٤٥
- ٣٦- حكّام معاوية وولاته ١٥١
- ٣٧- معاوية وعمرو العاص ١٥٤
- ٣٨- استخلاف معاوية يزيد ١٥٦
- ٣٩- التهيؤ والمسير إلى الحرب ١٥٩
- ٤٠- خلاف أصحاب الإمام (ع) ١٦٥

- ١٧٢..... ٤١- الصلح بين الإمام (ع) ومعاوية
- ١٧٦..... ٤٢- أسرار صلح الإمام (ع)
- ١٨٤..... ٤٣- ما انعقد عليه الصلح
- ١٨٩..... ٤٤- قيس بن سعد ومعاوية
- ١٩٢..... ٤٥- من خطبه بعد الصلح
- ١٩٧..... ٤٦- معاوية ينقض عهده
- ٢٠٠..... ٤٧- اعتراضات وأجوبتها
- ٢٠٩..... ٤٨- الجرأة والتعرض له (ع)
- ٢٢٢..... ٤٩- مجاري الأمور بعد الصلح
- ٢٢٦..... ٥٠- من كرامات الإمام (ع)
- ٢٢٨..... ٥١- في أيام مرضه (ع)
- ٢٣١..... ٥٢- من وصايا الإمام (ع)
- ٢٣٤..... ٥٣- قتل الإمام (ع) مسموماً
- ٢٣٧..... ٥٤- وفاة الإمام المجتبي (ع)
- ٢٤٢..... ٥٥- بعد وفاة الإمام (ع)
- ٢٤٦..... ٥٦- أزواج الإمام (ع)
- ٢٥٣..... ٥٧- أولاده عليه السلام
- ٢٥٥..... ٥٨- كلمات الإمام (ع)
- ٢٥٨..... ومن دعاء له (ع) في المعرفة والشكر والزهد
- ٢٦٤..... في بعض أجوبته عن الأسئلة
- ٢٦٩..... ومن كلمات له (ع) في أبواب الفقه
- ٢٧١..... ومن كلام له (ع) في الإنفاق على الأهل